نَثَراتٌ تَشكِيل فِلسطِينية

قراءة بصرية في مشهدية الفن التشكيلي الفلسطيني

الكتاب الأول

زاهد عِزَّت حَرَش

مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع

2017 م – الطبعة الأولى – 1438 هـ

كافة الحقوق محفوظة للمؤلف

اسم الكتاب : نثرات تشكيل فلسطينية – الكتاب الأول

اسم المؤلف : زاهد عِزَّت حَرَش

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق: 2017/13044

الترقيم الدولي: 3 - 352– 783 – 977 – 987

بلد الناشر : جمهورية مصر العربية

سنة النشر : 1438 هـ - 2017 م

الناشر

مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية

هواتف : 3798988 – 048 – 002

المبيعات : تحويل داهلي 14

الفاكس : تحويل داخلي

أدارة النشر : 00201142022174

الشراء عبر الإنترنت عبر موقع معرض المؤلفين العرب:

WWW.ARABOUTHORS.NET

الإهداء

إلى روح رائد حركة الفنون التشكيلية الفلسطينية، الفنان إسماعيل شموط.. وإلى كل الذين ساهموا في إرساء قواعد الفن التشكيلي الفلسطيني في كل مكان.

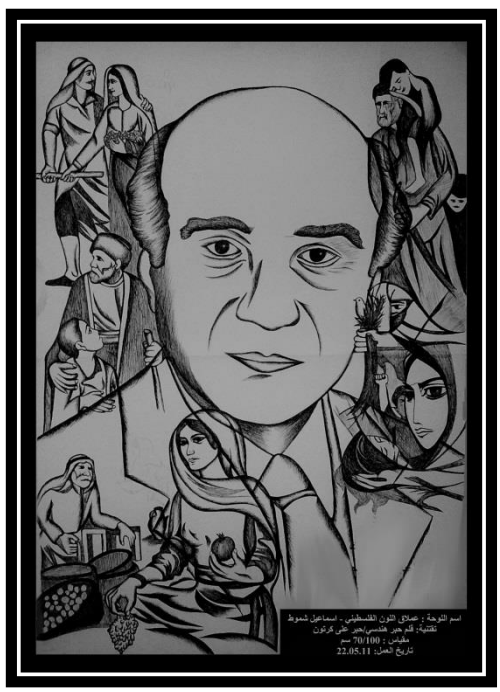

زاهد

من أعمال زاهد عِزَّت حَرَش

من مقتنيات متحف د. رمزي دلول

بيروت / لبنان

بداية

استطاعت الكاتبة أحلام مستغانمي في روايتها "ذاكرة الجسد" أن تعطي تفسيراً قريباً حد التطابق مع واقع حالنا العربي بصورة عامة، وحال العرب الفلسطينيون الباقون في وطنهم بشكل خاص، من خلال تعاملها مع ظروف المبدعين الجزائريين المشتتين في فرنسا حيث كتبت تقول:

"أنت تعيش في بلد يحترم موهبتك ويرفض جروحك، بيد أنك تنتمي لوطن يحترم جراحك ويرفضك أنت" والقصد هنا عن المؤسسات العربية "الوطنية" الرسمية.

منذ أواسط الثمانينات تزايد عدد الذين انهوا دراستهم في موضوعات الفنون التشكيلية من أبناء الشعب الفلسطيني في الداخل، فالبعض منهم تلقى تعليمه داخل المؤسسات الاكاديمية الإسرائيلية المختلفة، والبعض الآخر من خلال المؤسسات التعليمية في الخارج.. وأصبحت لدينا أسماء معروفة في مجال الإبداع والتربية الفنية. كما أن البعض منهم شارك في العديد من المعارض المحلية والدولية ضمن مشروع ثقافي ملتزم لفنانين فلسطينيين وإسرائيليين. وعمل البعض منهم أيضًا في المؤسسات التعليمة الإسرائيلية والعربية في الجليل والمثلث.

بالرغم من تزايد عدد الفنانين الفلسطينيين في الداخل وتواجد المؤسسات الثقافية البلدية، من خلال ما يسمى المراكز الجماهيرية في المدن والقرى العربية وأقسام الثقافة والفنون في المجالس والبلديات، وتخصيص الميزانيات لدفع الحركة الثقافية. إلا أن التعامل الفعلي مع

موضوعات واحتياجات مشروع الفن التشكيلي فيها ما زال متواضعاً ومخجولاً. فمكتبتنا المحلية لا تمتلك كتاباً واحداً عن تاريخ الحركة التشكيلية في الداخل وليس هناك من مادة تحمل السمات الأساسية لوجودها. كما إنها تفتقر لدراسات عن الفنانين الفلسطينيين العرب، وربما هناك عدد من الكتب "سيرة ذاتية" عن فنانين نشرت في الآونة الأخيرة، ضمن مشاريع معارض أو دراسات متواضعة عنهم، وذلك بتوجه وتمويل مُتفرد المصدر والهوية يعود معظمه إلى مؤسسات اسرائيلية. إضافة إلى انعدام ايجاد قاعات عرض (جاليري) بالشكل الذي يسد الاحتياجات المطلبية لإقامة المعارض المحلية في قرانا ومدننا العربية، سوى قاعة الفنون الجميلة في أم الفحم، والمركز الثقافي على اسم محمود دروش الذي استحدثه المركز الثقافي البلدي في الناصرة. ناهيك عن عدم وجود أي متحف، أو شبه متحف، يرعى الإبداعات الفنية من إنتاج الفنانين العرب في الجليل والمثلث.

لا زالت تقام عشرات المعارض كل سنة، منها المعارض الجماعية ومنها الشخصية، منها المشتركة مع الفنانين اليهود الإسرائيليين ومنها الخاصة بالفنانين العرب. وتلك الأخيرة لا تتعدى حدود المدن والقرى العربية. وهذه المعارض تقام بشكل عفوي بدافع العمل التطوعي الغير مهني في اغلب المرات، حتى أن الدعوات تطبع بأقل ما أمكن من تكلفة.! على الرغم من كل ذلك يمكن القول إن هناك تجاوب جماهيري بدأ يأخذ حيزه في الحركة الثقافية المحلية، نوعًا ما، وربما بدأ يعي ظاهرة المعارض ويتردد عليها.

هناك العديد من الفعاليات التي فرضت نفسها على الواقع، وهناك أعمال مشتركة وتواصل بين مؤسسات ثقافية وطنية في المناطق الفلسطينية وأبناء شعبنا هنا. وقد تجلى ذلك في استضافة بعض من الفنانين من الجليل والمثلث وإقامة المعارض لهم في مراكز وقاعات في رام الله والقدس

وغزة. وبالمقابل كان هناك استضافة لفنانين من المناطق الفلسطينية المحتلة، وإقامة معارض لهم في حيفا وشفاعمرو وأم الفحم وعكا والناصرة. يبقى أن يقال إن هنالك حاجة للكتابة عن موضوعات الفنون التشكيلية وعن الفنانين وأعمالهم، بصيغة القراءة البصرية الموضوعية، تتيح الفرصة أمام متذوقي هذه الفنون للتفاعل معها بذوقية استيعابية وتَفهم يعتمد على الرؤية الفنية ألحقه.

إضافة إلى ذلك فهناك عدة فعاليات ثقافية ظهرت وتعود لتظهر كل سنة بشكل عفوي، أتاحت الفرصة للتعامل الايجابي مع الفنون التشكيلية في بلادنا. وقد اعتمدت بالأساس على إقامة المعارض بشكل أو بآخر، شاركت فيها مراكز جماهيرية بلدية ومراكز جماهيرية تابع للسفارات الأجنبية كالمركز الثقافي الفرنسي والانجليزي في الناصرة وحيفا.

في أواخر كانون أول من عام 1994 نجحت مجموعة من الفنانين يتقدمهم الأستاذ عبد عابدي وكل من الفنانين إبراهيم نوباني وكمال ملحم وإيليا بعيني، في تشكيل إطار لرعاية وتطوير الفن المرئي في الوسط العربي تحت اسم (إبداع). وقد **"حددت (إبداع) في مقدمة أهدافها العمل على تنظيم الرسامين والنحاتين وعشاق الفن في الوسط العربي"**. ووضعت عدة نقاط أساسية لدعم وتطوير الحركة التشكيلية للفنانين العرب. وفي اجتماعها السنوي في أواخر سنة 1999، والذي جاء بعد عدة اجتماعات سابقة، تبين من خلالها أن هناك انحراف مقصود عن الخط الوطني، وان هناك توجه التفافي من بعض الأعضاء لاستبعاد البعض الآخر، قام على أثر ذلك عدد من الفنانين بالانسحاب من الجمعية. الجدير بالذكر أن للجمعية نشاطات في إقامة المعارض المختلفة في القرى والمدن العربية، منها المشتركة مع مؤسسات إسرائيلية عديدة، وأخرى خاصة بأعضاء الجمعية، وقد أتاحت هذه الفعاليات الفرصة

أمام الفنانين والجمهور العربي لمشاهدة أعمال لفنانين عرب ويهود معاً، كما أتاحت الفرصة أمام أعضائها للمشاركة في معارض مشتركه في المدن الإسرائيلية الكبرى. وهي اليوم تضم في صفوفها ما يزيد على الثلاثين فنانة وفنان من محترف وهاوٍ. منذ سنة تم تغير دستورها وأصبحت تعرف اليوم باسم (إبداع) رابطة الفنانين التشكيليين العرب.

يقام في كل سنة على ارض الجليل مشروع "أيام غصن الزيتون" وهو عبارة عن احتفالات قطف الزيتون في قلب الجليل. يبدأ عادة في أواخر تشرين أول وينتهي في أواسط تشرين ثاني. يتخلله إقامة معارض تشكيلية لأعمال تتعلق بموضوعات الزيتون، ومعرض تسويق لمنتجات غذائية وصناعات يدوية. أن هذه الفعالية مشبوهة من وجهة نظري!! فهي تقام تحت شعار "تشجيع السياحة في الجليل". مع العلم إنها لم ترصد أية ميزانيات ذات قيمة فعلية لتطوير المرافق السياحية هناك. وقد قمت من خلال مشاركتي بعرض عمل يحمل العلم الفلسطيني المنتشر على كامل الأرض الفلسطينية بفضح الشعار الكامن خلف هذه الفعالية، والتي تهدف إلى تشجيع الاستيطان اليهودي في الجليل.

إن المؤسسات البلدية والاقتصادية العربية في الجليل والمثلث. لا تقوم بدور يذكر في دعم ودفع مسيرة الفنون التشكيلية. رغم انه من الضروري إتباع سياسة تشجيعية للفنانين العرب، من خلال شراء إنتاجهم وإقامة المشاريع الفنية التي يستطيع من خلالها الفنان أن يقوم بعمل ما لتجسيد بعضاً من أفكاره على ارض الواقع. وحتى لا يضطر إلى القيام بأعمال أخرى لإعالة أسرته، خاصة في خضم الواقع المتفكك للجماهير العربية.

في مهرجان الزيتون

أنزلوا لوحة لفنان عربي لأنها تزعج الزائرين اليهود

من : زياد شليوط

فوجىء الفنان التشكيلي الشفاعمري زاهد حرش، عندما حضر الى المعرض التشكيلي لمهرجان الزيتون، يوم السبت الماضي، بمشاهدة لوحته وقد قلبت نحو الحائط بحيث لا يراها الزائرون، بالاضافة الى العبث بالمنحوتات التي عرضها. واللوحة المذكورة تحمل علم فلسطين وعليه آلة العود تحمل الحجارة والصبار ويبلغ حجمها ١٦٠/١٠٠ سم.

وعندما استفسر الفنان حرش من أصحاب مطعم البتراء حيث اقيم المعرض، أجابوه بأن اللوحة سببت الازعاج للزائرين وخاصة اليهود الذين تضايقوا من عرض العلم الفلسطيني، ونتيجة للضغوط عليهم أقدموا على هذه الخطوة. وكان رد الفنان زاهد حرش على ذلك إما ان تعرض جميع أعماله أو انه سينسحب من المعرض، وأمام تعنت المسؤولين، انسحب الفنان من المعرض مع أعماله.

وصرح الفنان حرش لـ" فصل المقال" معقباً على المهرجان قائلاً: "لقد سمعت بعض الهمس في حفل الافتتاح بان لوحتي ستسبب مرارة للزائرين اليهود وغيره من الكلام الغريب، واستغربت اكثر مما شاهدته وسمعته لدى تقديم الشرح للزائرين عن القرى والمدن العربية وقبور الاولياء والدبكة الشمالية والشعراوية بمرافقة كلمات عربية، الى جانب اهتمام الوافدين بمناقيش الزعتر واللبنة العربية وغيرها".

واتصلت "فصل المقال" مع مدير عام جمعية السياحة في الجليل الغربي، يوني جدعوني، الذي أنكر معرفته بالموضوع، وقال بأن حفل الافتتاح كان ناجحاً وموفقاً.

وفي اتصال آخر مع أحد المسؤولين في مطعم البتراء قال: " ان اللوحة المذكورة أزعجت الكثيرين من اليهود اليساريين، فاليمينيين لا يحضرون لعندنا ولا نستقبلهم، وانتقد العديد من اليساريين الرسام لانه نشر علم فلسطين على كل البلاد، وطلبوا منه أن يضعه على جزء ما، كما أنه وضع عوداً مع أغان وطنية، فإلى متى سنستمر برفع الشعارات؟!".

الدائرة الطلابية في الجامعات تنطلق بحملة ضد الطائفية

لمراسلنا في الجامعات

قررت الدائرة الطلابية في الجامعات في اجتماعها الذي عقد في بداية هذا الاسبوع الانطلاق بحملة ضد الطائفية ، ومواصلة الحوار مع قيادة التجمع الوطني

صحيفة فصل المقال - تشرين ثاني 1997

خبر نشرته صحيفة فصل المقال عما حدث معي في مهرجان الزيتون 1977

هو احدى اسقاطات سياسة التميز القومي المتبع منذ إقامة الكيان الإسرائيلي على ارض فلسطين!! إضافة لانتشار الخطاب الطائفي والفئوي المدعوم من أجهزة السلطة من جهة والذي يفرزه التقاطب الحزبي والطائفي من ناحية أخرى، والذي وجد متنفسه في ظل غياب قيادة سياسية وحدوية وطنية واعية قادرة وحكيمة. هذا الواقع الذي أتاح الفرصة أمام ضعاف النفوس من الفنانين الذين يهون الانبطاح والزحف من اجل قبولهم في المؤسسات الإسرائيلية، أو قبول مشاركتهم من باب الفن للفن، وفذلكة التعايش على نمط "احتفالات أكل اللبنة العربية والحمص والزعتر." التي جاءت في سياق السعي المستميت لتسويق إنتاجهم الفني والترويج الذاتي لهم هناك.

الفنانة سامية حلبي ترسم الزيتون في ارض الجليل – زيتون الرامة 2016

لا بد وان يقال

في العقد الأخير من القرن العشرين، سقط كثير من المسلمات في حياة الشعوب، وأصبح النضال والكفاح المسلح يوصف بالإرهاب. انقلبت الموازين، وأصبح إرهاب الدول، في عالم أحادي القطب، تنفيذ لرغبة النظام العالمي الجديد، دعاية مغرضة في سبيل الحفاظ على الإنسانية جمعاء!! وهكذا سقط أيضاً الكثير من الأخلاقيات والمثل الإنسانية، على الرغم من أن العالم لا يزال، بأكثرية شعوبه، يرزح تحت وطأة الظلم والاحتكار والفقر والعهر السياسي. وهذا بالطبع يؤدي إلى البحث عن وسائل أخرى جديدة، أو تطوير وسائل قديمة، لم يكن بمقدورها العمل، فيما مضى بشكل علني مكلل بالافتخار والتباهي، كوسائل تزوير الحقائق التاريخية، والانتساب إلى مفاهيم عمل المجتمع الإنساني للقضاء عليها، أو المزايدة في سوق العرض والطلب بموجب ما يقتضيه الأمر وظروف الزمان والمكان. وكل ذلك بالطبع يؤثر على الإنسان، أي إنسان، فمنهم من تشبث بتاريخه ومبادئه وما بدل تبديلا. ومنهم من غير ألف قناع ودخل في سوق المزايدات وزاود حتى على الوطن. وهنا (ضاعت الطاسة) وتلاشت الفوارق في زمن العولمة والسرعة المروعة لظهور الأشياء واختفائها. تداخلت الأمور وتلاشت الصورة الحقيقية للحقيقة، حتى غدا قول الصدق حول تاريخ العمل السياسي أو الثقافي أو الفني لأي إنسان، ضرباً من التجريح الذي يختفي وراءه كل الذين لا يزالون إلى اليوم، وفي عز الظهيرة، "يزنون بالكلام".

من هنا يتوجب علينا العودة إلى تاريخ تكوين حركة الفنون التشكيلية فيما بعد النكبة، وخاصة للأقلية الباقية على أرضها وفي وطنها، رغم قسوة الاحتلال وفداحة الخسائر الإنسانية والمادية، من جراء جرائمه القذرة وتعاون العملاء من ضعاف النفوس. ورغم كل شيء

كان هنالك دائماً أناساً أوفياء لقضايا الإنسانية ولقضاياهم الوطنية تحديداً. وقد عمل كل بما أوتي من قدرة وبما أتيح له من وسائل، ما بعد النكبة خاصة، لتحقيق أمانيه الوطنية والإنسانية والحضارية أيضاً.

كما لا بد من ذكر أسماء لم تعطِ حقها في الذكر من الفنانين الأوائل، كالفنان المرحوم إبراهيم حنا إبراهيم من قرية الرينة قضاء الناصرة، الذي دخل إلى كليه "بتسلئيل" لدراسة الرسم والنحت، كأول طالب عربي في ذلك الحين. حيث تخرج منها في أوائل الستينيات، ليمارس مهنته في الفن من خلال المعارض التي أقامها في بعض المدن والقرى العربية. تبعه فيما بعد الفنان عبد يونس من قرية عاره من قضاء المثلث الشمالي، حيث أنهى دراسته سنة 1965، عمل بعدها في مجال الغرافيك وتزين الكتب لغاية سنة 1969، ومن ثم هاجر إلى اليابان. وبعدها انقطعت كل أخباره عن الوطن.

وفي خضم ذلك وقف الرافد الأساسي الذي عمل من اجل دعم الشباب والمثقفين العرب، وساهم في تحقيق أمانيهم الوطنية والإنسانية. وقد تمثل هذا الرافد بالحزب الشيوعي وقيادته الوطنية، حيث قام بالدور الأساسي البارز في الحفاظ على الأقلية العربية الفلسطينية للبقاء في أرضها وعلى ترابها الوطني، والخروج بها من دائرة الذل والهزيمة إلى مرحلة الاستقرار والمواجهة الحضارية والإنسانية، ولم الشمل بعزة وكرامة. وذلك من خلال معركته السياسية من اجل إحقاق الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، وقد استطاع أيضًا، دفع مسيرة الانتماء الوطني وأعداد الكوادر الثقافية الوطنية الملتزمة، فقد ترعرعت تحت مظلته طلائع حركتنا الثقافية من أدب وشعر وموسيقى ومسرح وفنون تشكيلية أيضًا. ناهيك عن خلق

قيادات وطنية محلية وقطرية استطاعت أن تهزم عكاكيز السلطة وأزلام المخابرات الإسرائيلية لتصنع يوم الأرض الخالد في آذار من عام 1976.

لقد كتب الفنان عبد عابدي حول ذلك في مقالا أعدهُ عام 1986، جاء فيه ما يلي: "وأعني بالظروف الاجتماعية تواجد هذه الأقلية مع أكثرية يهودية مطلقة، وقيام عناصر ديمقراطية، وعلى رأسها الحزب الشيوعي، في الإسراع بتعبئة هذه البقية الباقية، بالتمسك بالأرض وبمصارعة العدمية القومية والاضطهاد ألاحق بهم."، وكتب الفنان كمال بلاطه حول أعمال الفنان عبد عابدي ومساهمة الحزب الشيوعي في دعم المسيرة الفنية، وذلك في الدراسة التي قدمها للمؤتمر السنوي الثاني لجمعية الخريجين الأمريكي العرب، المنعقد في ديترويت في كانون أول عام 1969، ما يلي: "عُرضت أعماله على إخوانه الفلسطينيين في الناصرة وحيفا في معارض نظمها الحزب الشيوعي".

من هنا أستطيع الدخول في تحديد مرحلة التكوين، وما يمكن تسميته "مرحلة المخاض" أي مرحلة ما قبل بناء حركة تشكيلية ذات ملامح واضحة في الداخل، وهي مرحلة البداية بعد لملمة الجراح، حيث جاء من بين صفوف الحزب الشيوعي، رائد الحركة التشكيلية الفنان عبد عابدي، ومن ثم تبعه آخرين، منهم على سبيل المثال لا الحصر، حنان يوسف، تريز نصر عزام، سعاد نصر مخول، سيسيل كاحلي، بشير مخول، عيسى ديبي، مروان أبو الهيجا، مخائيل توما، جهينة حبيبي قندلفت، زاهد عزت حرش وآخرون.

لم يعتمد الحزب الشيوعي فيما مضى، على جذب الناس بواسطة النزعة العاطفية، مما جعل إمكانية تأثيره على السواد الأعظم من الناس محدودا.. أن لم نقل محدوداً جداً. ومن الجدير ذكره أن استغلال القيادات السياسية "الوطنية والقومية " اليوم، ولعب دوراً إعلامياً بارزاً على الساحة المحلية الفلسطينية، نابع من استغلالها إما للمشاعر الدينية والطائفية، أو لضربها على وتر القومية العربية والمناداة بالوحدة العربية السامية، خداعًا. والتي لا يستطيع شعبنا في

الداخل، أن يحرك قيد أنملة في دفع مسيرتها والتأثير عليها في الوطن العربي الكبير، خاصة لأنه محاصر في موقعه الحالي!! على ألا ننسى أن العديد من هذه القيادات والزعامات "الجديدة،" ترعرعت وشبت في صفوف الحزب الشيوعي، وتعلمت وحصلت على شهاداتها من خلال البعثات والمنح التي أمنها الحزب الشيوعي، من خلال علاقاته المميزة مع دول الكتلة الاشتراكية في ذلك الزمان. وأكثر من ذلك، حتى أن المناصب التي وصلوا إليها، كانوا قد وصلوها من خلال تحالفهم مع الجبهة والحزب الشيوعي. وبعد أن أمنوا موقعهم، نصبوا عدائهم الشديد ضد الحزب الشيوعي والجبهة قبل أي عداء آخر.

لقد ساهمت هذه النماذج "الوطن/جية" بإعطاء شرعية ومصداقية للمتلونين والانتهازيين، وشرعت كل الوسائل المتذبذبة والانتهازية لأجل تحقيق الأهداف الشخصية، والوصول إلى مواقع قيادية من خلال استغلالهم لكافة الوسائل والسبل التي تخدم مسيرتهم الذاتية. حتى وان جاء ذلك على حساب الجميع، وعلى حساب "الوطن،" إذا ما نظرنا إلى الأمور بصورة شمولية أوسع.! من هنا يجب الأخذ بعين الاعتبار، انه في غضون العقد الأخير من القرن العشرين ظهرت على السطح العديد من الحالات المنافقة، وغير الملتزمة إلا بالشكليات، إذ أخذت تتغنى بالشعارات الرنانة، وتعمل على بث أنغامها في سياق نشر إنتاجها وتسويقه، وتسويق ذاتها الفنية خاصة. ومن هذه الحالات من استطاع الوصول إلى مراكز اخذ القرار وزمام المبادرة محليًا، من خلال حصوله على امتياز تحصيل الميزانيات والإغراءات الأخرى الكامنة خلف تواصلها مع المؤسسات الصهيونية، إضافة إلى المنح والتسهيلات للمشاركة في المعارض الإسرائيلية والولوج إلى ما يسمى بالصف الآخر.

حول مسيرة الفنانين التشكيليين الفلسطينيين في الداخل وتأثرهم بالعولمة وما بعد الحداثة من خلال المزاولة الحياتية والفنية، وحول اندماجهم بقضايانا الاجتماعية والثقافية، ومدى ما يقدمونه لتعميق التواصل بين أبناء الشعب الواحد. يجب الأخذ بعين الاعتبار، أنه ليس بمقدوري أن اعد كل ذلك خلال فترة محدودة من الزمن، خاصة، وإنني لا أتمكن خلال هذه المدة من العودة إلى كل الفنانين، ودراسة أعمالهم بشكل موضوعي مكثف. لذلك ستجد هنالك نقص في تحديد الرؤية بين فنان وآخر، ممن لا أمتلك وقائع وإثباتات تجعل ما أحس به، أو وصلني عن طريق طرف ثالث، لشيء مؤكد حقًا، لذا سأمتنع عن إبداء الرأي حول أي ظاهرة فنية لا املك حقيقتها التامة.

ما يشبه المقدمة

تحتوي بالأساس، هذه القراءة الميدانية، التي احاول فيها سبر مسيرة الحركة الفنية التشكيلية الفلسطينية المتصاعدة في كل أرجاء الدنيا، لكن بقدر ما استطعت الوصول اليه حقاً، وأيضًا في قرانا ومدننا العربية، والتي جاءت انطلاقًا من الحاجة الماسة لتوثيق هذه الظواهر! كرسالة لتوثيق واقع اعتبر نفسي واحدً ا من الشهود المعاصرين له عبر الزمان والمكان. ويمكن القول إن ذلك هو اقل بكثير مما يجب أن يكون، إلا إنني اطمح من وراء ذلك إلى أن أكون قد وضعت حجر الأساس للتعريف بأسماء التشكيلين والتشكيليات العرب الفلسطينيين في ارض الوطن، إضافة إلى فنانين فلسطينيين التقيت بهم وتعرفت على تاريخهم وإنجازاتهم التشكيلة. ولذا يتوجب أن نتعامل معها بصورة تعادل مصداقيتها. إضافة إلى ما تقدم فان بعض الأسماء التي تحتويها هذه القراءة الميدانية، كُنت قد كتبت عنها أو عن معرض أقيم لها في السنوات الواقعة ما بين 1997 – 2002.. لذا سأرفقها تباعاً للتعريف بالفنانين، فربما تعطي صورة أكثر عمقاً عن أعماله في هذه المرحلة. مع الضرورة الملحة للتعامل مع الأمور بشمولية أكثر من خلال وضع دراسات مكثفة عن الأسماء ذات الإنتاج المميز والمتفرد تاريخًا وعطاءً.

خلال التقدم في وضع هذا الكتاب تناولت الكثير من الدراسات التي املك بعضًا منها، والتي ساهم في وضعها في سنوات الثمانينيات كل من الأستاذ إسماعيل شموط، والمخرج فؤاد عوض، والكاتب ناجي الضاهر، والأستاذ الفنان عبد عابدي، والأستاذ مروان العلان والأستاذ كمال بلاطة والفنانة الفلسطينية المغتربة سامية حلبي. وآخرون. وقد استطعت الاستفادة من رؤيتهم الفنية وتحليلهم والمعلومات التي وردت في كتاباتهم لتدعيم موقف هنا أو آخر هناك، وذلك مما يتعلق بعمل أو فنان أو ظاهرة. تمنياً مني أن أبقى على أكثر ما أمكن من

صلة بالرؤية الموضوعية حول أي منها. ومحاولة للابتعاد عن المؤثرات العاطفة والرغبة الشخصية في تعريف أي ظاهرة أو عمل أو موقف!

جاءت الأسماء بصورة عفوية مع بداية وضع هذا المادة، ودون تحديد للمستوى الفني، أو الأقدمية أو الترتيب الأبجدي، لأنني اعتقد أن كل هذه الأمور ما هي إلا صيغة ثانوية في حال التعامل مع الموضوع من خلال الرؤية التعريفية ليس إلا. إلا أنني ومع التقدم بالمشروع، وجدت إني املك مواد وتراث لا بأس به يمكن توظيفه في خدمة حركة الفنون التشكيلية ودعم مسيرتها. وغدا ما يمكن أن يحمله هذا المشروع ذات حلم كبير، أكبر بكثير من حلم بدايته. إذ تراكم لدي كم من المعلومات والأسماء والمواد والكتابات، التي أعطت للمشروع بعداً أخر، يمكنه أن يصبح أكثر من مجرد قراءة ميدانية لأسماء وظواهر وحالات من تعريف بهوية الفنان أو إنتاجه الإبداعي، ومن هنا تعمقت الرؤية الشمولية للمشروع، وطرحت فكرة توسيع أهدافه، وخاصة بعد اطلاع عدد من الزملاء الفنانين والإخوة الأصدقاء على حيثياته، حتى غدا عبارة عن مشروع له رؤية تشمل عدد لا بأس به من الأسماء والمظاهر التشكيلية في ارض هذا الوطن! لذا أصبح من الصعب نشر كل ذلك في كتاب واحد، كما انه من المفضل بداية ان يصدر أجزاء من هذا العمل على مراحل، كي أتمكن من استيفاء كافة المتطلبات لبقية الأسماء والظواهر الفنية، احترامًا لقدرة الفنانين وأعمالهم قبل كل شيء.! ومن اجل إعطاء كل موضوع حقه في الجهد والبحث والموضوعية.

نقطة أخرى يجب التطرق إليها. إن ما لمسته من خلال الاطلاع على كتب عربية والبومات تناولت سيرة فنان أو حركة تشكيلية عربية. تبين لي أن الكلام يحتل المساحة القصوى من أي إصدار فني، وذلك على عكس ما تتناوله الدراسات والأبحاث باللغات

الإنجليزية او غيرها.. كما انه من غير المعقول أن نكتب عن موضوعات في الفنون التشكيلية دون أن يرافق ذلك عينات من الأعمال التشكيلية بتنوعات مصادرها ومنتجيها ومدارسها وأساليبها وتقنياتها والى ما ذلك.. كي يكون هناك شيء من الربط النفسي ما بين الكلمة والرؤية.. اللذان يمتدان بصورة تلقائية روحانية إلى البصيرة، فتؤكد بتمازجها حالة من الصلة والتواصل بين الإنسان رؤيته ورؤياه.. وذلك الحلم الإنساني الذي نسجته الأيام والعصور من خلال التراكم الحضاري لشعوب الأرض.. والتي تؤكد بدون شك أن حضارة هذا الزمان ما هي سوى نتاج طبيعي لاستمرار المسيرة الحضارية للبشرية عبر التاريخ.

خصوصية المنظر الطبيعي بالمشهد الفلسطيني

إن الواقع الذي عاشه الإنسان (الفنان) الفلسطيني قبل النكبة له ارتباط بالواقع الذي عايشه آنذاك رغم أن الواقع الحياتي في ذلك الزمان كانت له صلة بالمآسي والمواجع التي امتدت منذ القرن التاسع عشر. حيث مرت البلاد، والشرق بشكل عام في صراعات دموية عديدة، لكن واقع الحال للإنسان الفلسطيني كانت له صلة وثيقة بالطبيعة وبالحياة العادية، ولقد اعتاد هذا الشعب أن ينقل صورة الفرح في أعماله وإنتاجه بعدة صور وأشكال، بواسطة الفنون التراثية، إن كان ذلك من خلال الغناء الشعبي وان كان بواسطة إنتاجه لأدوات الاحتياجات اليومية. ولقد عرف هذا الوطن أناس استطاعوا نقل هذه الصورة الجمالية لطبيعة بلادنا، وارتباطها التاريخي بالرسالات السماوية، وخاصة بالديانة المسيحية، رابط وثيق بين ما تختزنه الذاكرة وما يتطلبه واقع الحياة وتطلعاتها.. من هنا يمكننا أن نجد في العديد من الأديرة والكنائس المنتشرة في بلادنا صور رسمها أناس هذا المكان، امتازت بشكل جمالي ملحوظ.. أما واقع النكبة واسقاطاتها فقد هدم واقعًا كان يعيشه بشكل طبيعي أبناء هذا الشعب.. وقد احضر معه خلال السنوات الأولى (واقع النكبة) من حدوثها فراغًا دام مدة سنوات، لغاية ظهور الرعيل الأول من الفنانين الفلسطينيين المعاصرين.. هؤلاء الفنانين الذين ولدوا من رحم المأساة، والذين لم يستطيعوا ولو بشكل جزئي، أن يتعاملوا مع الجمالية الخلاقة لطبيعة المكان، دون ربطه بالمأساة التي خيم مشهدها العام المرعب على الذات الإنسانية، وعلى الحضور الشمولي لهذا الوطن والإنسان الباقي فيه.

من هنا يتوجب علينا عندما نريد أن نبحث عن الوضع الجمالي للمشهد الطبيعي في الوطن أن نربط ذلك بقصد، ومن دون قصد، بما ورثته ذاكرة هؤلاء الفنانين في معاصرتهم لواقعهم المأساوي.

وان الربط ما بين الوطن الجميل المحبب الراسخ في الذاكرة، وما بين الواقع الحالي المأساوي المعاش، في علاقة جدلية من خلال الأعمال الفنية لما يمكن رؤيته يتجلى بالإصرار والإلحاح على استمرارية الظهور الفني التشكيلي بحد ذاته، أي بمعنى آخر عدم فقدان الحس الإنساني الخلاق نتيجة للمأساة وواقعها الاستمراري المرير.

إن هناك عدة مشاهد واعمال فنية لعديد من الفنانين الفلسطينيين ومنهم الفنان الفلسطيني المبدع إسماعيل شموط.. الذي استعمل بأسلوبه الكلاسيكي الإبداعي في تشكيل اللوحة، مشاهد متعددة ومتغيرة للواقع المأساوي الفلسطيني ضمن أعماله، ورغم كل ذلك فانه حافظ في الكثير من الحالات على المشاهد الرائعة للإنسان الفلسطيني بطابعه النضالي البطولي، الذي يمثل الأداة الأساسية لبقاء الطبيعة واستمرار عطائها. بالمقابل، هناك أعمال للفنانة تمام الأكحل مبنية بشكل جمالي خلاق.. حيث نقلت صورة الواقع الراسخ في الذاكرة منذ طفولتها في يافا إلى لوحات جمالية بحرية ومعمارية حجرية رائعة.. ويمكننا اعتبار الأعمال الفنية التي استنبطت من ذاكرة الفنان الفلسطيني، لزمن ما قبل النكبة، إنها الواقع الجمالي للمنظر الطبيعي الذي كان يسود هذا الوطن، والذي كان من المفروض له أن يستمر واقعاً حياتياً متجدداً على مر الأيام.. وذلك ينطبق أيضًا على أعمال الفنان ألعكي المهاجر إبراهيم هزيمة.

هناك مشاهد أخرى للإبداع الفني حول المنظر الطبيعي والمتمثل باللوحات التعبيرية للعادات والتقاليد التي عاشها هذا الشعب في وطنه وفي الشتات.. ونأخذ مثال ذلك لوحة (كرم الزيتون) 1986 للفنان سليمان منصور.. إن خصوصية الأعمال الفنية للرعيل الثاني - والتي بدأت تظهر بإبداعات فنية للواقع الجمالي في القرى والمدن الفلسطينية ما قبل الاحتلال (انتقلت) فيما بعد إلى مرحلة مأساوية حياتية معاشية وتحول المشهد الطبيعي إلى مشهد كارثيّ، كما يظهر في تطور أعمال الفنان المقدسي سليمان منصور.. حيث خيم ظل المأساة والصراع في المنطقة على مجمل أعماله وأعمال جميع الفنانين الفلسطينيين، ومنهم على سبيل المثال، كامل المغني، نبيل عناني، فتحي غبن وعبد الرحمن المزين. لكن هناك ما يدعوا إلى الوقوف هنا بشكل محدد وخاص حول الأعمال الإبداعية للفنان الفلسطيني كامل المغني، والذي ابتكر بحسه الفني المرهف طريقة تشكيلية خاصة تُظهر العام في حياة الشعب الفلسطيني، في خصوصية الذات المتركزة بشكل رائع، لتروي قصة البقاء والبيوت والإنسان بأبعد الأفاق الجمالية التي يمكنها أن تكون.

ومن ثمّ بدأت تظهر بوادر حركة فنية للفلسطينيين الباقين في وطنهم، والتي تميزت بشكل أو بآخر، وانطبعت بالانطباع السياسي السائد، والتي أخذت تظهر بشكلها الواضح في ظاهرة الفنان الحيفاوي عبد عابدي. هذه الظاهرة التي أخذت تتبلور وتتطور من خلال المؤسسات التثقيفية المحدودة الإمكانيات، في العديد من القرى والمدن الفلسطينية. والتي أدت إلى انتشار التعامل مع الفن التشكيلي المحلي بشكل ملحوظ. إن ظاهرة عبد عابدي وارتباطه والتزامه بالقضايا الحياتية للإنسان الفلسطيني البسيط، أدت بشكل غير مباشر إلى طرح قضايانا بصورة فنية تشكيلية مؤكدة، أكثر بكثير من التعامل مع المشهد الطبيعي بشكله الرومانسي الكلاسيكي. مع العلم أن هناك العديد من الفنانين غير المعروفين الذين تعاملوا مع المنظر الطبيعي ونقلوه بصورته الحية إلى أعمالهم الفنية الرائعة التركيب والتلوين.

إن الواقع الحياتي للإنسان الفلسطيني - هنا وهناك أيضًا - ومأساته المتكررة وتكالب هذا الزمن الرديء عليه وعلى أحلامه. قد حد من التعامل الهرموني ما بين الإنسان - الفنان - وما بين الطبيعة، حيث سيطر الواقع ومتاعب الحياة الناتجة عن المأساة بكل أبعادها، على مجمل الإنتاج الثقافي الأدبي والفني التشكيلي. ويمكن اعتبار ذلك أداة تعبيرية إنسانية فوق اعتيادية، للعبور من خلال مرحلة الألم إلى مرحلة الأمل.

وبناء على ما تقدم، يمكن اختزال المنظر الطبيعي للمشهد الفلسطيني والذي كان مقروء بصريًا - مرئي - من خلال القرى الوادعة والمدن الرائعة والطبيعة الخلابة المتجددة على مدار فصول السنة، كان يمكنه أن ينتقل بشكل طبيعي في أعمال الفن التشكيلي الفلسطيني لو بقي الواقع طبيعياً. بيد أن دخول المأساة بشكلها الإجرامي الهدام للإنسان وللطبيعة، حول هذا المشهد والمنظر من خلال اللون والريشة إلى حكاية مأساة مروية، كشاهد أزلي رصد احداث المأساة واستمرار تداعياتها. حتى أن بناء اللوحة التراثية أو الجمالية - للمشهد الطبيعي، دخل في المسامات التكوينية للوحة بشيء من مرارة المأساة، حتى انطبعت بذات الطابع الإنساني في كل مراحل إبداعها.

كتبتها وقدمها الرسام أسامه سعيد في مؤتمر أفاق الوجود الفلسطيني الذي عقد في الناصرة سنة 1999.

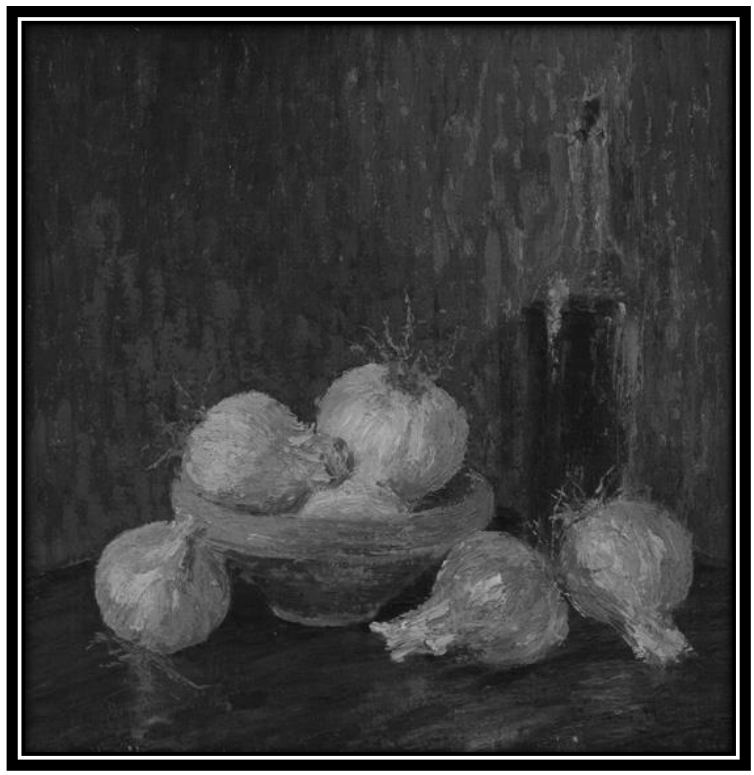

من اعمال الفنانة صوفي حلبي ألوان زيتية على ورق – 1933

موجز من تاريخ الفن التشكيلي الفلسطيني

يعود تاريخ فلسطين إلى تاريخ الأرض والإنسان.. وهناك بقايا أثرية تثبت وجود حياة مجتمع بشري في ربوعها تعود لتاريخ العصر الحجري، إي ما بين سبعة الاف الى عشرة الاف سنة.. وأكبر دليل على ذلك وجود مدينة أريحا كأقدم المدن في التاريخ.

وقد جاء في كتاب "العصور القديمة" الصادر عام 1933 لمؤلفه جيمس هنري برستيد حول الكنعانيين ما يلي: "لا يخفى أن مدن الكنعانيين كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ 2500 سنة ق.م، وقد كانت لهم منازل حوت بداخلها كثيراً من أدوات الراحة والرفاهية، وكانت لهم حكومة وصناعة وتجارة ومعرفة بالكتابة والديانة"

لا أحد يستطيع أن ينكر أن ارض فلسطين هي مهد انطلاق الديانة المسيحية ومنبتها الأول، وهناك ألف وألف دليل قاطع على ذلك، فالناصري. أي السيد المسيح ارتبط اسمه بمدينة الناصرة.. والجليلي.. هو السيد المسيح أيضًا، حيث ارتبط اسمه بأرض الجليل.. ومعالم البلاد وأسماء مواقعها الواردة في الكتاب المقدس هي أكثر من دلالة على أن ارض فلسطين هي مهد هذه الديانة ومنبتها الأول.

ففي عصور المسيحية الأولى بدأت الرسوم الكنسية التي عرفت فيما بعد.. بالفن الأيقونغرافي أو الفن البيزنطي المقدس. من هنا فان أول الذين مارسوا هذه الفنون كانوا من المسيحيين العرب.. ويحتفظ سجل الرسم الأيقونغرافي الكنسي بكتابات تدل على أن القديس

لوقا الرسول كان أول من رسم الأيقونة المقدسة.. حيث رسم السيدة العذراء "رقاد السيدة" وقام من بعده القساوسة والرهبان بنقل هذه الأيقونة ورسمها من جديد. وقد شيد في تلك الحقبة من تاريخ المسيحية العديد من المباني الدينية والمعابد، من كنائس وأديره، ومنها كنيسة القيامة وكنيسة المهد.. وقد زينت هذه المعابد بالرسوم الفسيفسائية والرسوم الحائطية والأيقونات والزخارف والتماثيل "أن بداية أعمال البناء في الصخرة (المسجد الأقصى) بدأت من عام 685م وانتهى العمل بها عام 691م (692م) بحسب الوثائق الأمويةّ التي لا زالت موجودة في الصخرة"

وقد قالوا في فن بناء وزخرفة قبة الصخرة الكثير إلا أننا نورد فيما يلي بعض من شهادات عينية حول ذلك "وقد جاء على لسان هايتر لويس، وهو أحد أهم الخبراء المعماريين حولها ما يلي:

«إن بناء قبة الصخرة المشرفة في القدس هو أجمل المباني التي خلدها التاريخ»، كما ذكرها ماكس فان برشم: "لعل عظمتها وجمالها يعودان لما نشاهده في مخططها من البساطة والتنسيق، حقاً إنها مفخرة العمارة الإسلامية"، هذا وأشاد غوستاف لوبون المؤرخ الفرنسي المشهور بقوله: "إن بناء قبة الصخرة أعظم بناء يستوقف الناظر، وأن جمالها وروعتها لا يصلان إلى خيال بني البشر"، أما العلامة كرزويل فذكر أن لمخطط بناء قبة الصخرة خصوصية نادرة في تاريخ العمارة الإسلامية، فقد أذهلت كل من حاول دراستها من حيث فخامتها وسحرها وتناسق أقسامها ودقة النسب الهندسية فيها.

إلا انه قياسًا بما حققته حركة الفنون التشكيلية العربية رغم الفارق الكبير بين أحوال البلدان العربية الأخرى وفلسطين.. خاصة تلك التي نعمت بشيء من الاستقرار السياسي، على غرار مصر وسوريا ولبنان والعراق.. فان الحركة التشكيلية الفلسطينية لم تبتعد عنهم سوى بعض سنوات.. إلا إنها وبجدارة حققت وجودها وتواجدها الفني وهي اليوم تثبت خطواتها الإبداعية على ساحة الحركة التشكيلية العربية والعالمية بثقة واحترام. وجاء عن هذه المدرسة المقدسية "الأورشاليمية" وعن رساميها أيضًا **"يعود الفضل العميم في سلوك هذا المنهج الشرقي الخاص إلى الرسام الشهير القسيس نعمة الله بن الخوري يوسف المصور الحلبي (القرن ال 17)."**

نقولا الصايغ - القدس المتوفى عام 1930

كان رساما محترفًا، رسم عدد كبيرًا من اللوحات الزيتية، لكنها لم تُعرض إلا مرة واحدة، وكان جل إنتاجه، إما لوحات أيقونية، تُعمل للكنائس أو الأديرة، أو لوحات لطبيعة صامتة. اعتبر عميد المعلمين والحرفيين لمدرسة القدس في الفن الأيقوني كما كان في طليعة الرواد الذين قاموا بتصوير اللوحات الزيتية.

مبارك سعد 1880 – 1964

رَسم وصَور أشخاص وصورته الشخصية بالذات والمنظر الطبيعي بشكل متقن، وواحدة من تلك للوحات للحرم الشريف بالقدس، كان متفوقًا بإنتاجه من الناحية الفنية والتقنية عن زملائه في تلك الفترة.

حنا حاج مسمار 1898 – 1988

من الناصرة وهو صاحب أول فاخورة وأول خزاف درس هذه المهنة في تاريخ فلسطين، فقد أرسلته البعثة التبشيرية الألمانية العاملة في الناصرة سنة 1921 إلى ميونخ لدراسة هذا الفن. ومما كتبت عنه "وفي خضم سقوط جماهير الأمة العربية، تحت طائل الهزيمة التي مُنيت بها جيوشها، في حرب حزيران.. تبلورت الصورة الشمولية في وعي حنا مسمار، الذي كان يؤمن إيمانا قاطعًا، بأن دولة للظلم لا تدوم، وان ساعة الحق آتية لا ريب فيها.. إلا انه تحت وطء هذه الهزيمة، اكتشف أن اللعبة السياسية التي نسجت خيوطها خفافيش الظلام، ورعتها الإمبريالية العالمية بكل قدراتها المالية والإعلامية والعسكرية.. هي أكبر بكثير من أن يتم التصدي لها بالمقدرات التقليدية التي تمتلكها الشعوب العربية عامة.. والشعب الفلسطيني خاصة.! إلا أن حلمه بعودة الوطن لم يمت.!! فجسده من خلال أعماله وتماثيله الفخارية، التي شكلت محاكاة تراجيدية للصورة الإجمالية، لما حل بأبناء شعبه منذ النكبة الأولى.. واخذ من خلال ذلك يجسد الحلم بالعودة، من خلال إعادة صياغة الشخوص الفخارية، التي حملت ملامح غير محددة بعيدة عن النحت الجمالي، الذي تحلى به فن النحت الغربي.. ليترجم صرخته الإنسانية والتعبيرية، في صرخة هموم أولاك البشر الذين يشكل وجوده جزءاً باقياً منهم".

"الفاخورة" فاخورة حنا مسمار التي يعمل بها أحفاده إلى اليوم

ومن أبرز أعماله لوحة خزفية لم تكتمل توضح رجلا فلسطينيا يحمل غصنا مليئًا بثمار الزيتون الذي يتحول فورا إلى زيت صاف دليلا على التمسك بالأرض وخيراتها الغنية.

اللوحة من أعمال الفنانة زلفة السعدي من عام 1930م "نموذج 41"

زلفى السعدي (1905 – 1988)

يعتقد بأنها تعلمت الرسم على يد نقولا الصايغ وربما عند بعض الراهبات. "تعرفنا على بعض أعمالها أواسط التسعينيات لأول مرة قَدم لنا اكتشافا مهما في مضمار الفن التشكيلي الفلسطيني. تُم بعض أعمالها، الزيتية منها بشكل خاص، عن قدرة فنية ملفتة للنظر لأسباب كثيرة، كونها فتاة فلسطينية من عائلة مقدسية مسلمة، أتقنت تعلم هذا الفن واستعملت

الأدوات الفنية التشكيلية بشكل سليم وجديّ، وتناولت مواضيع في لوحاتها لم يتناولها أحد من زملائها من قبل، فبالإضافة إلى رسمها للمنظر الطبيعي والطبيعة الصامتة فقد رسمت الشخصيات العربية البارزة كطارق بن زياد وعمر المختار والشريف حسين وجمال الدين الأفغاني وأحمد شوقي، ومواضيع شعبية، وهي الأكثر أهمية ، لفتيات ورجال قرويين يحملون نتاج حقولهم الزراعية أو يبيعونها، وصوّرت شيخًا عجوزًا يتكئ على عكازه وآخرين مثلهم، كما رسمت المنظر الطبيعي، كالمسجد الأقصى بإتقان مرهف. لم يكن اختيارها لهذه الشخصيات والمواضيع صدفة بل بدافع من الموقف الإنساني الحياتي لهذه الفنانة" منقول عن الفنان إسماعيل شموط.

زلفى السعدي عرضت بعض إنتاجها الفني من اللوحات ومن أشغال نسويه كأشغال الإبرة والتنسيل والتطريز في إحدى غرف المكان الذي أقيم فيه "المعرض العربي القومي" الذي أقامته "شركة المعرض العربي بفلسطين المحدودة" في القدس عام 1933، وهو معرض فلسطيني عام عرضت فيه منتجات زراعية وصناعية وما إلى ذلك. وقد زار هذا المعرض أعداد غفيرة من المواطنين الفلسطينيين وشخصيات عربية معروفة. وحازت فيه زلفى السعدي على إعجاب وتقدير زوار المعرض.

داود زلاطيمو) 1906 – 1999)

داود زلاطيمو 1906 – 1999 "هو الأستاذ الأول لي في طفولتي وصباي"، رسم العديد من اللوحات الزيتية لشخصيات تاريخية كعمر ابن الخطاب عندما وصل القدس فاتحا، وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي وزنوبيا، وأخرى صور فيها أحداث تاريخية عربية مثل "معاوية يركب البحر"، كما رسم بالألوان الزيتية والمائية والطباشيرية مناظر طبيعية في فلسطين. كان أسلوبه واقعي توثيقي "بلاطة يقول إنه أيقوني الأسلوب وهذا غير صحيح".

"بعض لوحات زلاطيمو كانت معلقة في بعض غرف مدرسة اللد "التي درست فيها" أو في بيوت الأقارب والأصدقاء، ولم تُعرض أبدًا في معرض خاص." إسماعيل شموط.

جمال بدران 1909 - 1979

جمال بدران وشقيقاه نزعا تخصصًا في مجال الفنون التطبيقية، وهي فنون جميلة لكنها تظل في إطار الفن التطبيقي.

جمال بدران في معمله

بطرس لوسيا 1915) - 2000)

ولد في شفاعمرو.. بعد وفاة والده سافرت العائلة إلى حيفا لطلب الرزق.. هناك بدأت تتفتق موهبته، وفي بيت القنصل الفرنسي في أحد الأيام، حيث رافق أخته التي كانت تعمل هناك.. فجلس يرسم صورة لفتاة معلقة في احدى الردهات، وأثناء ذلك رآه القنصل فأعجب بما

رسم.. وكانت تلك صورة الثائرة جندارك.. فأرسل القنصل معاونه ليشتري للصبي مجموعة من الأوراق والألوان.. ومنذ ذلك الحين لم تنقطع علاقته مع الفنون.

تتلمذ لوسيا على يد بعض الكهنة الألمان في حيفا، كما أرسل من قبلهم إلى دير تابع لهم في القدس وهناك تلقى عدة دروس في المهن اليدوية وخاصة النجارة التي برع فيها بشكل جيد.. كما أمضى سنتين من صباه في معمل الفنان اللبناني الاصل عوض الرومي الذي رسم العديد من الأيقونات اللاتينية لأديرة وكنائس فلسطين ولا يزال الكثير منها باقياً في كنيسة شفاعمرو للروم الكاثوليك وفي كنيسة مار الياس في فسوطه والأخرى في دير مار الياس في حيفا.. ويعود تاريخ أعمال الرومي إلى سنوات 1920- 1930م.

رسم لوسيا الأيقونات اللاتينية بألوان زيتية على القماش كما رسم العديد من لوحات لمناظر طبيعية منقولة أو من طبيعة بلادنا.. كما صنع التماثيل الخشبية الجصية.. ومن أهم أعماله لوحة كبيرة لساحة عين العذراء بالناصرة.

فاطمة المحب من أريحا، مواليد 1920

وهي التي كانت لها قصة مع الفن حيث حققت بعض طموحاتها..

"رسمت كهاوية للرسم أواخر الثلاثينات صورة للملك فاروق، ملك مصر في ذلك الحين. وأرسلت تلك الصورة مع رسالة إلى الملك فاروق تتمنى فيها أن تتاح لها الفرصة لدراسة الفن في القاهرة. فاستجاب قصر الملك لذلك الطلب، وكان لها ما تمنت. والتحقت بمدرسة معلمات الفنون (المعهد العالي لمعلمات الفنون لاحقا) وكانت فاطمة المحب بذلك أول فتاة فلسطينية تسافر لدراسة الفن خارج فلسطين. وتخرجت عام 1942 لتعود وتعمل في مجال التربية الفنية في فلسطين ثم الأردن."

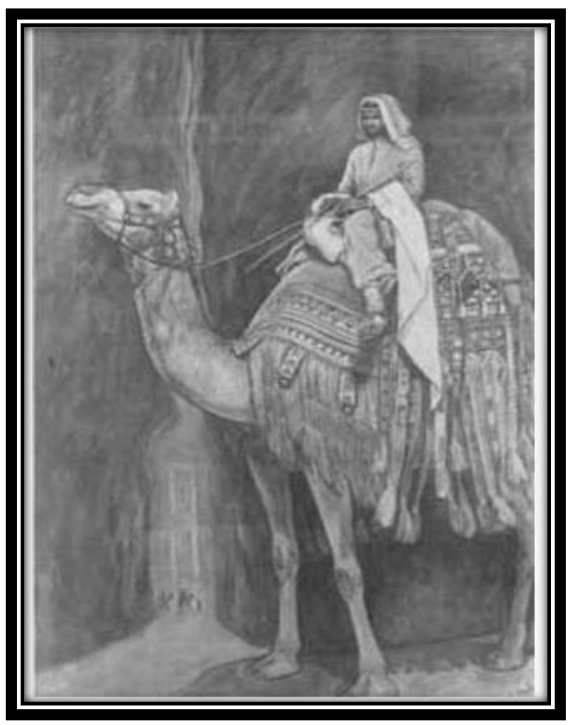

كان نشاطها التشكيلي محدودا، إذ لم يُعرف لها معرض خاص بإنتاجها، وكانت مشاركتها في المعارض شحيحة. اهتمت بتصوير الأشخاص والمناظر الطبيعية وبخاصة معالم فلسطينية بارزة كمسجد الصخرة في القدس. يغلب على إنتاجها الطابع الأكاديمي البسيط. عرفت لها لوحة كانت تزين صالة مطار القدس احتوت على معالم سياحية وهي ذات أسلوب أكاديمي واقعي. "إسماعيل شموط"

إسماعيل شموط مواليد يافا 1930 – 2006

ترأس إسماعيل شموط طليعة الحركة التشكيلية الفلسطينية بكل أجزائها ما بين الوطن والشتات والغربة، وكان هو وبحق رائد الحركة التشكيلية الفلسطينية.

شردته النكبة سنة 1948 أسوة بالكثير من أبناء الشعب الفلسطيني، فنزح مع ذويه إلى مخيم "خان يونس" بقطاع غزة. عمل هناك في بيع الحلوى ومن ثم في تعليم الرسم عن طريق وكالة غوث اللاجئين.

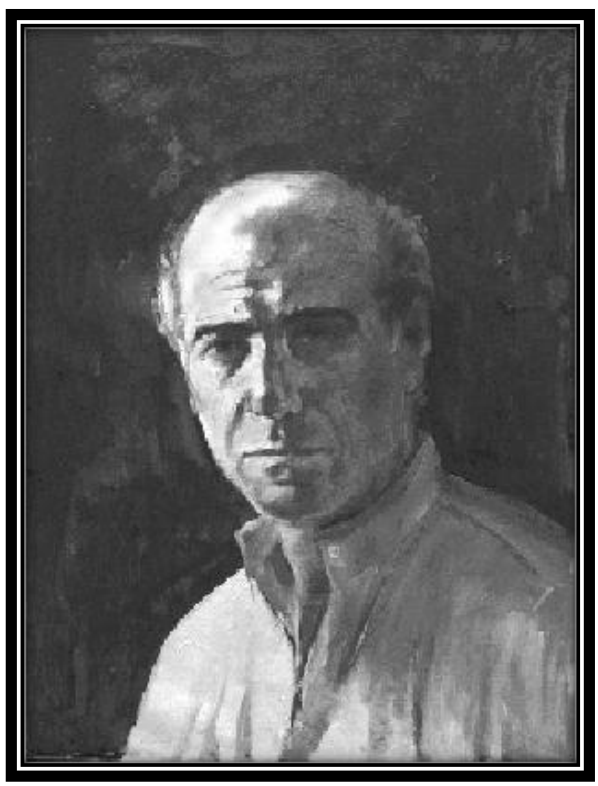

1950 – 1956 درس فن التصوير في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ثم في أكاديمية الفنون الجميلة بروما.

1953 أقام أول معرض للوحاته في مدينة غزة، وفي عام 1954 أقام معرضه الثاني في القاهرة بمشاركة تمام الأكحل وقد رعاه وافتتحه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

1959 تزوج من رفيقة دربه الفنانة تمام الأكحل.

1969 انتخب أول أمين عام لاتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين.

1971 انتخب أول أمين عام لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب.

أصدر العديد من المؤلفات والكتابات الفنية والثقافية والتراثية، أقام عشرات المعارض في البلاد العربية والعالم معظمها بمشاركة زوجته تمام الأكحل. حصل على العديد من الجوائز الفلسطينية والعربية والدولية.

"بلوحاته شعرت بالصمت الرقيق، للمعاناة والعشق المرّ، للتحّليق في الربيع. ليحلق فوق شاطئ بعيد يمتلئ بإشارات شمسية. لم أشعر أبداً بمثيل لتلك الرقة والأحاسيس، ولم أشعر بجاذبية الأحاسيس الكامنة، بمثيل لذلك الصمت والهدوء المتغلغل في مقاصده الفكرية الكامنة في الأعماق، وبتناغم الألوان وغزلها البصري، وانتشارها على سطح اللوحة، لمسة لونية بعد لمسة لتأخذ شكل أضواء الفجر، وعندها يتنفس المشاهد حيث يضع إسماعيل شموط ألوانه بخيوط نقية شفافة". من مقالة كتبها البروفسور الدكتور إيمانويل ميناردو ونشرت عبر الانترنيت في أيار 2005

إبراهيم غنام - ياجور 1930

ظهرت لديه موهبة فنية منذ أيام الطفولة. - احترف الرسم عام 1960، كما مارس الغناء والموسيقى .- شارك في جميع المعارض التي أقيمها الاتحاد العام للفنانين التشكيليين في بيروت ودمشق والعراق والكويت والجزائر - عمل في الإعلام الموحد - قسم الفنون التشكيلية في منظمة التحرير الفلسطينية.- توفى ودفن في بيروت.

جاء في كتاب "الفن التشكيلي في فلسطين "لإسماعيل شموط" عنه.. "فنان مقعد، لم يكن يحرك من جسمه سوى يديه وعينيه، تعلم الفن على نفسه، انفرد بالأسلوب الفطري الساذج المميز، انه يغرف من ذاكرته صور "البيدر الفلسطيني" المليء بالحيوية والحياة، وصور "العرس الفلسطيني" و "زفة العروس" و "ليلة الحناء" و "ويوم الطهور" وصوراً عن قطف الزيتون، وعصره، وكل ما يعيش في الذاكرة الفلسطينية من صور جميلة وعزيزة. وهو غني الذاكرة فلا تفوته صغيرة في اللوحة ولا ينسى إبريق فخار صغير في شباك بيت القرية الذي يمثل جزءاً صغيراً في اللوحة لا يكاد يرى"

"الصورة "إبراهيم غنام – رسم زاهد عزت حرش

جورج الصايغ – القدس 1931

جاء في كتاب "الفن المعاصر في الأردن لوجدان علي" عنه ما يلي: **"ولد جورج صايغ في القدس عام 1931م وهو طبيب تخرج من جامعة القصر العيني في القاهرة عام 1956م كما انه ناقد فني له نظرة جدية في استقراء الفنانين الآخرين واهم من كل هذا أن ثقافته الفنية الغنية وإلمامه بفنون الحضارات الشرقية والغربية الماماً عميقاً يرفدان أسلوبه الفني بأرضية خصبة. للصايغ أسلوبان في التصوير الأول مؤسلب فيه تسطيح يعتمد على تقسيم اللوحة إلى أجزاء هندسية مترابطة، واستخدام الألوان النقية دون الدخول في تفاصيل الظلال وتدرجاتها. أما الثاني فهو أسلوب تعبيري قوي يعتمد تعدد الخطوط المسترسلة والتدرج اللوني في تصوير الوجوه والإشكال الآدمية فتبدوا وكأنها استمرار لأشكال عصر النهضة الأوروبية في المواضيع الدينية ولكن برؤية معاصره."**

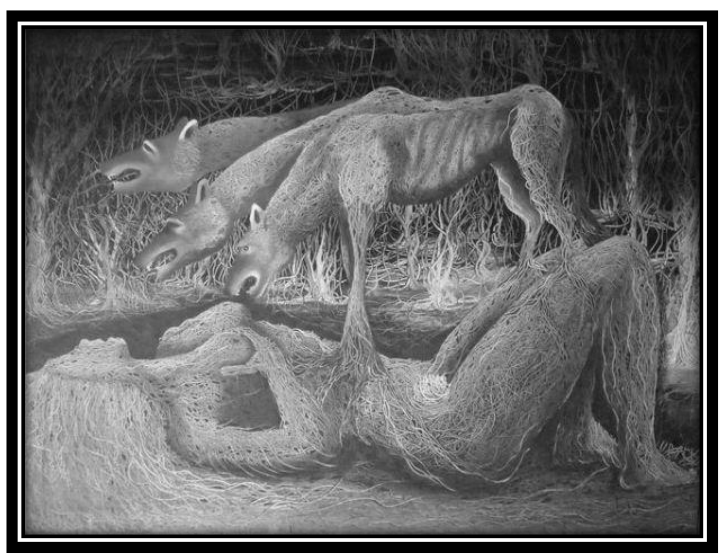

مقطع من جدارية الفنان مصطفى الحلاج

لوحة "القصر " من اعمال الفنان توفيق جوهرية ألوان زيتية من عام 1930

زاهد عِزَّت حَرَش

نثراتُ تشكِيل فلسطينية

قراءة بصرية في مشهدية الفن التشكيلي الفلسطيني

الكتاب الأول

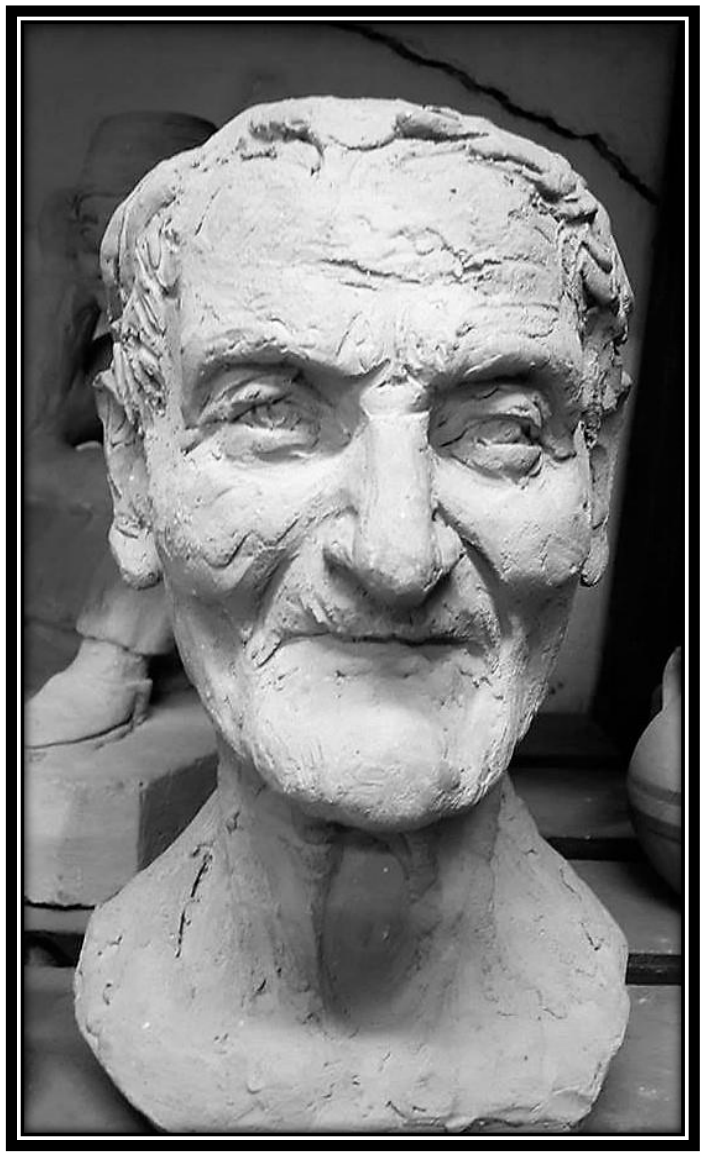

"حنا مسمار"

تمثال من الطين صنعه فنان إيطالي ابان زيارته للفنان مسمار، وذلك حين كان الفنان الإيطالي يعمل على انجاز تمثال في مستشفى العائلة المقدسة بالناصرة

حنا مسمار – الناصرة

ولد سنة 1889 وتوفى سنة 1988

صاحب أول فاخورة عصرية في فلسطين..

من خلال البحث عن عناصر تركيب الحركة التشكيلية في الفن الفلسطيني.. وخاصة هنا في ارض هذا الوطن، زرت فاخورة حنا مسمار في الناصرة، التي لا يزال أحفاده يمدونها من شريان حياتهم من اجل بقائها واستمرارها في الوجود، كحلم لم يفارق المرحوم حنا مسمار.. وحلم يتجدد بأحفاده منذ سنوات.

الفاخورة، فخر صناعتنا الوطنية

من الطين والى الطين تعود

لم يتجاوز عمر السوسن، ولم يكن قد أشعل شمعته الأولى بعد، حتى غدا يتيم الأم، فتربى في كنف والده وعماته وزوجة أبيه.. في ظروف معيشية قاسية، وخاصةً في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. فقد كان والده سعيد حاج مسمار عامل بناء، يكد في إعالة أسرة تتألف من أبويه وأخواته وأسرته، التي أضيف لها ابن آخر وعدة بنات.. فلم يتمكن من إرسال وحيده الأول إلى المدرسة، إضافة إلى قلة المدارس وندرتها وتعذر الوصول أليها في ذلك الحين.

ولد حنا سعيد حاج مسمار سنة 1889 في مدينة الناصرة، في بيت من أحيائها القديمة، تلك البيوت المعجونة جدرانها وأرضية مساطبها بالطين ورقائق من الحجر الممسوح. وفي باحة البيت أمام رواق المطبخ القديم، الذي كان يحتوي على فرن الدار، وساحة يتوسطها بئر ماء التجميع

الشتوي.. حيث كانت تحاذيه مساحات من الأرض الصلصالية.. قام حنا، ذلك الطفل الذي لم يتجاوز بعد السبع سنوات من عمره، بتشكيل أول تمثال من صنع يديه، جبله من تراب أرضه البتول.. ظناً منه انه يمضي بعضاً من الوقت في صراعه العفوي.. مع المادة التي عايشها عن قرب، بيد انه حين عاد إليها في اليوم التالي صدفة، أدهشته المفاجئة!! حين وجد أن لعبته الصغيرة ما زالت متماسكة فوق الثرى الذي صنعها منه.. وقد جفت أطرافها ونتوءاتها العلوية، كما جف قسم من الأرض المحاذية لها، فلم يستطع الطفل أن يتمالك نفسه، فشرع يرقص وينادي بأعلى صوته من شدة الفـرح.

من أعمال حنا مسمار الخزفية الباقية لغاية الآن في الفاخورة

هكذا شهدت قناطر البيت القديم، وثرى الأرض الطيبة من ارض الناصرة، ميلاد أول خزاف فلسطيني.. هذا الخزاف الذي ترك بصماته الأزلية على جدران بيته وبيوت أولاده.. وعلى آلاف القطع الخزفية والأواني المنزلية التي أنتجها، من خلال أول مصنع للخزف أقيم على ثرى فلسطين.. وذلك بعد أن كادت هذه الصناعة أن تزول، حيث تراجعت "صناعة الخزف في

العصر التركي إذ انتقلت هذه الصناعة إلى الأناضول، عدا بعض الورشات الصغيرة التي حافظت على صناعة الفخار، ولبت حاجة السوق من القطع المنزلية."

بداية المشوار

في ظل الحياة اليومية القاسية التي عاشتها الأسرة.. عملت إحدى أخوات حنا مسمار في التمريض، مما سهل عليها إيجاد وسيلة للاتصال بإحدى الإرساليات التبشيرية، التي كانت تعج بها فلسطين آنذاك.. هكذا قدر لهذا الطفل، وهو بعد بحاجة إلى حنان والديه.. ذلك الحنان الذي اختزل ومضى منذ أن فارقت أمه الحياة، قدر له، أن ينتقل إلى مدرسة "شلنر" في القدس، التي قامت على رعايتها البعثة اللوثرية الألمانية. بقي حنا مسمار في مدرسة البعثة اللوثرية الألمانية في القدس حتى سنة 1920، من ثم حصل على منحة لدراسة الفنون الجميلة، عن طريق البعثة الألمانية ذاتها، فسافر سنة 1921 إلى ميونخ في ألمانيا لدراسة الفنون الجميلة في إحدى الكليات هناك، وقد تركزت دراسته على فن الخزف والأعمال الفخارية.

قضى حنا مسمار خمس سنوات من عمره في مدينة ميونخ، وعاد سنة 1926 إلى الناصرة، حيث شرع في البحث عن مكان يجد فيه تربة صالحة لصناعة الفخار والقطع الخزفية.. فانتقل ما بين فلسطين ولبنان وسوريا، إلى أن وجد ضالته في إحدى تلال حوران المحاذية لمنطقة الشام، فاشترى هناك قطع ارض، وشرع ينقل من ترابها ما صلح لصناعة الخزف والفخاريات. وبعد مضي سنة أو سنتين اكتشف قطعة ارض في التلال الواقعة شرقي الناصرة.. التي تجثم عليها اليوم مباني "الناصرة العليا".!! فأشترى هناك ارضًا تمتد مساحتها لما يقارب أربعة عشر دونماً، وعلى تلال هذه البقعة المطلة على ناصرته، شرع حنا مسمار في إقامة أول "فاخورة"، معمل ممهي للخزف والفخاريات، في فلسطين.

تزوج حنا مسمار من فتاة مثقفة درست في إحدى المدارس الروسية في الناصرة، تدعى جوليا مستوري، وهي من عائلة لبنانية الأصل، وقد عملت في التدريس في أول حياتها الزوجية، كما عمل حنا مسمار نفسه في سلك التعليم، في مجال الفنون التطبيقية، في مدرسة "اجزم" التابعة لقضاء حيفا. بيد انه ما لبث أن حصل على ذلك الموقع الهام، الذي وجد فيه ضالته من التربة الصالحة لصناعة الخزف والفخار، فأقام مصنعه هناك.. وشرع يعمل في مهنته هو وزوجته وأخواته من أمه.. لكن طموحه لم يقف عند هذا الحد، فشرع يبحث عن مصدر للمياه، حتى استطاع استنباطها من نبع في باطن أرضه، وهكذا أتيحت له فرصة تكوين مزرعة للمواشي، وبيارة من الأشجار المثمرة، وأحواض من الزراعات الريفية الفلسطينية، لتنتشر على كُل مساحات وطنه الصغير، وتشكل جنة طالما حلم في إنشاءها.

النكبة الأولى

كان حنا مسمار ابن باراً لشعبه الآبي، فلم يتردد في العمل والعطاء من اجل الحفاظ على مكونات هذا الشعب وسيادته. فيوم سقطت البلاد في أيدي العصابات الصهيونية.. قام عدداً من الجنود باحتلال بيته.. أسوة باحتلال مدينة الناصرة البطلة! إذ إن بيته كان يبعد عن بيوت الناصرة، ويطل عليها من ذات التلال التي ترتفع فيها الآن الأبنية السكانية للناصرة العليا.. فاحتل الجنود قسماً من بيته وتركوا قسماً آخر له ولأفراد أسرته.. ولم يكتفوا بذلك، بل أنهم اخضعوا أهل البيت للإقامة الجبرية ومنع التجول، مما أدى إلى عراك بينهم وبين صاحب الدار، أدى في نهايته إلى رضوخ الضابط المسؤول للمطلب الحق، فأعطى فرصة ساعتين عند الصباح وساعتين عند المساء، لأجل القيام بإطعام المواشي والاهتمام بالدواجن والمزروعات.. وكانت هذه أول معركة ينتصر فيها حنا مسمار على غطرسة القوة والاضطهاد القومي، الذي لازم العصابات الصهيونية إبان احتلال البلاد وإعلان قيام الدولة.

بعد مضي سنوات قلائل، جاء أمر بمصادرة الأرض التي يعيش عليها حنا مسمار وعائلته، كجزء من المساحة التي شملتها أوامر المصادرة، والتي وصلت مساحتها إلى 1800 دونم من أراضي الناصرة، في تلك المنطقة التي تقع عليها اليوم بيوت ومباني "الناصرة العليا".! إلا أن هذا الرجل ذو الملامح الفلاحية الحادة، تلك التي جسدها إحدى أصدقائه من الفنانين الإيطاليين، حين صنع له تمثالاً من الطين، يوم جاء خصيصاً لزيارته، حيث كان أبو سامي يبلغ من العمر قرابة الثمانين عام.. تلك الملامح التي تبث ابتسامتها العفوية، جاءت لتسنح لي بلقاء هذا المبدع الرائد، من خلال الطين الذي شهد ميلاده الفني الأول.

كان حنا مسمار قد وطد العزم على مواجهة الحالة الاستثنائية التي حلت بالبلاد، ولعلاقته بالعناصر الوطنية من خلال أواصر الصداقة المتينة التي جمعت بينه وبينهم، حيث كانت تربطه صداقة تاريخية مع رموزها الأوائل، من أمثال فؤاد خوري ومنصور كردوش وآخرين، ولدعمه لحركة الأرض وقربه من خط النضال اليومي للرفاق الشيوعيين في الناصرة.. تكونت لديه قناعات مطلقة بحق البقاء على أرضه وتراب وطنه.!! من هنا جمع أفراد أسرته، زوجته وابنته الصغيرة وأبناءه الثلاثة في احدى الأمسيات، ليتعاهد الجميع على التصدي بوحدة رجل واحد لمواجه مصادرة أرضهم.. فإما الحياة فيها أو الموت فداءً لها.!

امتد الصراع على الأرض لسنوات، أي منذ أوائل الخمسينيات وحتى بداية الستينيات. فمن محكمة مركزية تقر قرار المصادرة وتُسقط حق عائلة مسمار وملكيتها، إلى استئناف تلو الاستئناف.. حتى وصلت القضية في نهاية المطاف، إلى جلسة استثنائية في محكمة العدل العليا، لنظر فيها من قبل طاقم وصل تعداده لسبعة قضاة.. ومن الجدير بالذكر أن محامي الأرض والشعب، المحامي حنا نقاره، هو الذي حمل عبء هذه القضية ودافع عن حق

صاحبها، أمام أروقة محكمة العدل العليا لسنوات! وكان طيب الذكر رفيقنا المرحوم فؤاد خوري يدعم حنا مسمار بكل طاقته، إذ كان يرافقه إلى جلسات المحكمة في كل حين. وفي اليوم الذي تقرر فيه النطق بالحكم، وبعد مداولات وعرض قدمته المحكمة لتعويض حنا مسمار، بمساحة تعادل نصف مساحة أرضه الحقيقية.. ما كان منه إلا انه تقدم يخاطب القضاة باللغة الألمانية، التي أتقنها من خلال دراستها ومواكبته لها منذ نعومة أظفاره، لأنه أراد من خلال ذلك أن يوصل كلماته إليهم مباشرة.. كرد على ادعائهم بان حقهم في ارض فلسطين هو حق مقدس، تشهد به الكتب السماوية بأنها عطية الله إلى شعبه المختار.. فقال لهم، انه حقي الأزلي الذي جاء من السماء أيضًا، لأموت على هذه الأرض التي خلقتها بيدي.. ولساعات طويلة من التداول، توصلت المحكمة إلى اتفاق مع محاميه أبا طوني، يمكنه من الحصول على كامل حقوقه، ذرة تراب مقابل كل ذرة تراب، وتعويض كامل عن الأشجار والأبنية التي كان قد أقامها.

وان الأرض التي يتشبث بها أولاده وأحفاده إلى الآن، والواقعة على السفح الممتد للغرب من الطريق الالتفافي الواقع بين الناصرتين.. والمؤدي إلى مباني الحكومة، هي الدليل القاطع على انتصاره ثانية، في تصديه ليد التهويد والترحيل.. فأقام بها "فاخورته" الجديدة وبنا صرحه الإبداعي على ثرى بلدته التي قدسها حتى يومه الأخير.

النكبة الثانية.. حرب الأيام الستة

كان حنا مسمار قد "أُسر من قبل البريطانيين أثناء الحرب العالمية الأولى لعدة أشهر".. من خلال نشاطه السياسي الرافض للوصاية الانتدابية. ونتيجة لإحساسه ووعيه للمؤامرة، التي غزلتها يد الأنظمة الرجعية، والاستعمار البريطاني، مع الحركة الكولونيالية الصهيونية، لإقامة وطن قومي لليهود على ارض فلسطين.!! جاء استمرار نضاله الفعال من خلال دعمه المباشر "لحركة الأرض"، وعقد الاجتماعات السرية في بيته، ودعمه المستمر لنضال الحزب الشيوعي ورفاقه من أصدقائه في الناصرة، لينتقل ذلك بصورة تلقائية إلى الدعم المباشر، الذي قام به ابنه البكر سامي للحزب الشيوعي وتبنيه للموقف النضالي والعقلاني الذي نادي به الحزب، وذلك ما هو الدليل قاطع، على الصلة العميقة للتربية الوطنية المقدسة، التي تحلى بها حنا مسمار وأنشأ أبنائه عليها.

وفي خضم سقوط جماهير الأمة العربية، تحت طائل الهزيمة التي منيت بها جيوشها، في حرب حزيران.. تبلورت الصورة الشمولية في وعي حنا مسمار، الذي كان يؤمن إيمانا قاطعاً، بأن دولة للظلم لا تدوم، وان ساعة الحق آتية لا ريب فيها.. إلا انه تحت وطء هذه الهزيمة، اكتشف أن اللعبة السياسية التي غزلت خيوطها خفافيش الظلام، ورعتها الإمبريالية العالمية بكل قدراتها المالية والإعلامية والعسكرية.. هي أكبر بكثير من أن يتم التصدي لها بالمقدرات التقليدية التي تمتلكها الشعوب العربية عامة.. والشعب الفلسطيني خاصة.! إلا أن حلمه بعودة الوطن لم يمت.!! فجسده من خلال أعماله وتماثيله الفخارية، التي شكلت محاكاة تراجيدية للصورة الإجمالية، لما حل بأبناء شعبه منذ النكبة الأولى.. واخذ من خلال ذلك يجسد الحلم بالعودة، من خلال إعادة صياغة الشخوص الفخارية، التي حملت ملامح غير محددة بعيدة عن النحت الجمالي، الذي تحلى به فن النحت الغربي.. ليترجم صرخته الإنسانية والتعبيرية، في صرخة هموم أولئك البشر الذين يشكل وجوده جزءاً باقياً منهم.

صورة لفاخورة مسمار من الداخل – الجزء الشرقي الشمالي

ماتت صناعة الفخار.!

مع تطور الصناعات الحديثة، ودخول العالم في وتيرة التصنيع الإلكتروني، شهدت أواسط الثمانينيات ركود يشبه حد الموت البطيء، لصناعة المواد الفخارية والأواني الخزفية، فنضب نبع العطاء المستمر، الذي شبت السنة لهيبه منذ العقد الثالث للقرن العشرين.. ذلك على الرغم من أن حنا مسمار وأبناءه كانوا قد هيأوا أنفسهم لمواجهة السوق، فقد اشتروا الآلآت الحديثة التي استوردها خصيصاً من ألمانيا، إضافة إلى المكابس التي استطاعت أن تنتج كميات كبيرة خلال وقت قصير.. إلا أن كل ذلك توقف في العام 1984, واغلق باب الفاخورة وتراكمت خيوط العنكبوت على التماثيل الفخارية، التي أنجزها حنا مسمار فيما بعد حزيران 1967.. كما تكاثف الغبار على كميات متراكمة من الأعمال الخزفية والفخارية، من أباريق وخوابي وقوارير وصحون وأواني منزلية، والى ما ذلك من الأدوات التي كان يحتاجها الإنسان الفلسطيني، قبل أن تغزوا بيوتنا المنتجات الصناعية الحديثة.

هكذا رحل حنا مسمار وفي قلبه غصة على معمله المقفل، حيث كانت أمنيته الوحيدة أن تبقى تلك الحركة الإبداعية، التي نقلها من خلال الممارسة والروح الطيبة.. إلى أيدي أبناءه الثلاثة لينقلوها بدورهم، وبمؤازرته إلى أحفاده أيضا.. ففي ليلية من أوائل عام 1988 رحل حنا مسمار عن دياره، وعن الأرض وعن التربة التي أحبها، وأفنى عمره بالعمل فيها ولها. إلا أن ذريته المشبعة بالروح الطيبة، والتي غرس نبتتها الأولى ذلك الجد العصامي.. أبت إلا أن تعيد فتح أبواب "الفاخورة.." فاخورة عائلة مسمار، التي يحق لها أن تفخر بذاتها، لأنها رغم كل الظروف.. ستظل مفخرة صناعتنا الوطنية.

تساؤلات

ليس لي هنا من فضل، سوى في صياغة هذا المقال.. الذي زودني بكل ما ورد فيه، الابن البكر لحنا مسمار، الذي حمل كنية أبيه، فدعي بابي حنا، واسمه سامي حنا مسمار، كما ساهم مساهمة جادة في تجميع هذه المعلومات ابنه الأستاذ بسام وابنه حنا. إضافة إلى ذلك الجو الآسر.. والمشبع بعبق التاريخ والأيام، والممتلئ بمواد صلصاليه، تحكي قصة هذا الإنسان الرافض لكل أشكال المساومة.. حتى عندما تهدد معمله بالإقفال، نتيجة كساد الإنتاج الفخاري، رفض بشكل قاطع بيع تلك التماثيل الصلصالية، والتي عرض عليه وعلى أولاده فيما بعد، ما يوازي ثلاثة آلاف دولار مقابل نسخ كل تمثال منها.

ولقد استنبط الأحفاد وسيلة تثقيفية مستحدثة، لإعادة افتتاح الفاخورة وتشغيلها، وذلك من اجل الحفاظ عليها ولاستمرارية وجودها، وعمل آلاتها البدائية والميكانيكية، حتى تكون شاهداً للأجيال القادمة، إن شعب هذه البلاد كان شعباً حي.. ولا يزال. إلا انه، هناك

حقيقة موجعة تتساقط أسئلتها على وعينا الوطني.. إذ كيف لم ننتبه حتى الآن إلى أهمية هذا الثروة الوطنية؟؟ وكيف لم تقم المؤسسات الوطنية بتبني عملية دفعها إلى الأمام؟؟ وكيف سنترك تلك التماثيل التعبيرية الممتلئة بهموم الوطن والإنسان، على رفوف خشبية تأكلها عوامل الطبيعة.. دون أن نجد لها مكاناً آمن تستريح فيه؟؟ أن هذا الطين يستصرخ ضمائرنا.. فأنه لن يقوى على الصمود أمام عوامل الزمن، في حالته هذه.. ابد الدهر!

الصورة - الفنان حنا مسمار يستضيف الفنانة فيرا تماري في "الفاخورة"

وكلمة عتاب إلى حنا الحفيد.. إن هذا الكنز الذي بين يديك، يستصرخ إبداعاتك وقدراتك النحتية، وما عليك إلا أن تشمر عن ساعديك، فأنا شخصياً لن اغفر لك هذا الصمت والسكون.! ولك مني عهد بوقفة مطولة مع أعمالك المعبرة، من خلال صرخات الألم والعيون الفاغرة ... فانتظر.!!

" الاتحاد " الجمعة 24 آب 2001

إسماعيل شموط

ولد عام 1930 في مدينة اللد لعائلة متوسطة الحال مكونة من عشرة أنفار وكان والده يعمل ببيع الخضار، بدأ بالرسم منذ صغره وكانت رسومه الأولى للطبيعة الجميلة وقد لاقى التشجيع والتوجيه من معلم الفنون في مدرسته داود زلاطيمو- الذي علمه أصول الرسم بأقلام الرصاص والأحبار الصينية والألوان المائية والطباشير - ومزاولة هواية النحت على أحجار الحوار الكلسي.

عام 1948 لجأ إسماعيل مع عائلته إلى مخيم للاجئين في خان يونس بقطاع غزة وقد توفي أخوه الصغير توفيق عطشاً أثناء الهجرة مما جعله يرسم لوحة "العطش" في الخمسينات، وقد قال إسماعيل شموط في إحدى المقابلات أن للنكبة كان التأثير الأكبر على مجرى حياته وعلى توجهه الفني.

عام 1950 أقام معرضا ارتجاليا في مدرسة خان يونس باع خلالها لوحة، الأمر الذي شجعه على الالتحاق بكلية الفنون الجميلة في القاهرة وأثناء تعليمه هناك عمل في رسم الإعلانات السينمائية .

عام 1953 أقام أول معارضه الفنية في غزة بمشاركة أخيه جميل وكان ذلك أول معرض لفنان فلسطيني على أرض فلسطين.

عام 1954 أقام معرضا بالقاهرة بمشاركة زميلته تمام الأكحل والفنان الفلسطيني "نهاد سياسي" ويحمل عنوان "اللاجئ الفلسطيني" وكان المعرض تحت رعاية الرئيس المصري آنذاك جمال عبد الناصر وبحضور القيادة الفلسطينية.

بعد المعرض حصل على منحة دراسية مقدمة من الحكومة الايطالية، فانتقل في تلك السنة إلى إيطالية ليدرس في أكاديمية الفنون الجميلة بروما حيث قضى فيها عامين انتقل بعدها للعيش في بيروت حيث أقام مع شقيقه مرسماً للرسم والإعلان التجاري وتصميم أغلف الكتب والرسوم الداخلية التوضيحية فاعتاش من رسم أغلفة الكتب، والصحف والمجلات وذلك بين الأعوام 1957- 1964.

عام 1957 أقام معرضاً مشتركاً مع الفنان توفيق عبد العال وزميلته الفنانة تمام الأكحل. وقد تزوج زميلته الفنانة تمام الأكحل عام1959.

عام 1965 انضم إلى منظمة التحرير الفلسطينية وأسس قسم الفنون فيها.

عام 1969 بادر مع عدد من التشكيليين الفلسطينيين إلى تأسيس أول اتحاد للفنانين التشكيليين الفلسطينيين وانتخب أول أمين له وعام 1971 انتخب أول أمين عام لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب.

عام 1983 بُعيد الاجتياح الإسرائيلي للبنان نزح مع عائلته إلى الكويت. بعد اندلاع حرب الخليج الثانية عام 1992 انتقل إلى كولون في ألمانيا عام 1994 استقر في عمان، الأردن.

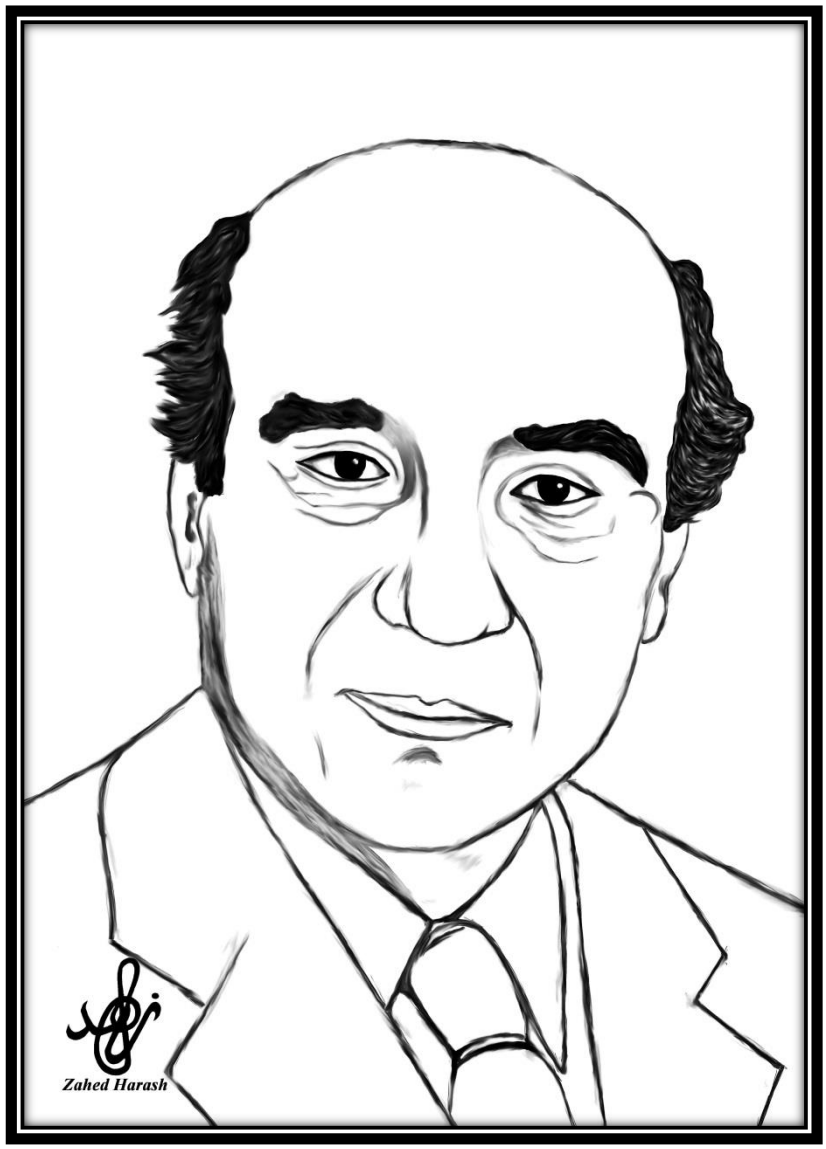

"الصورة" الفنان إسماعيل شموط رسم زاهد عزت حرش

قراءة متجددة لتاريخ عملاق الفن التشكيلي الفلسطيني

الفنان إسماعيل شموط

طفل.. تمرغ على رمال مدينة اللد

في الأربعينيات من هذا القرن المخضب الجبين بوصمة العار التي ستلاحقه ابد الدهر، هناك في إحدى مدارس اللد العربية، كانت تتناثر على جدران غرف التدريس لوحات ورسومات مائية، زيتية وغيرها، تحمل موضوعات جمالية لطبيعة صامتة أو مشاهد لمعالم فلسطين الدينية، كقبة الصخرة المشرفة. إضافة إلى الكثير من الموضوعات التاريخية التي سميت الغرف بأسماء أبطالها، كغرفة طارق بن زياد، وصلاح الدين الأيوبي، وخالد بن الوليد.. كانت هذه الأعمال الأولية في العطاء الفني التشكيلي الفلسطيني، ممهورة بتوقيع أستاذ الفن والأشغال اليدوية، الفنان داود زلاطيمو، الذي رعى موهبة الفنان الفلسطيني إسماعيل شموط منذ تفتق زهر عمره الأول، حيث كان طفلاً يتمرغ على رمال وطنه الأم ما بين الساحات ومقاعد المدرسة الابتدائية.

فقد عمل الفنان داود زلاطيمو أستاذا للفنون والأشغال اليدوية في اللد منذ العام 1930 ولغاية العام 1948، فاهتم بشكل ملحوظ بالمواهب الناشئة ورعاها، وخاصة بالظاهرة الفذة التي امتاز بها الصبي إسماعيل شموط. ولا يزال الفنان إسماعيل شموط يحتفظ بالكثير من الذكريات الطيبة عن مدرسته الأولى وأستاذه الأول..

الصورة السابقة "لوحة: إلى أين – من أعمال المرحلة الأولى"

النزوح.. وبداية المأساة

في أحد أيام تموز من عام 1948، استفاقت مدينة اللد على نعيق أجهزة الاقتلاع الصهيوني، تدعوا الأهالي إلى التجمع في ساحة "النواعير" في وسط المدينة. تلك كانت بداية المأساة، بدأت هناك كما بدأت في سائر المدن والقرى والتجمعات السكانية الفلسطينية. لقد أحاط الجنود المدججين بالسلاح بالناس، يصوبون فوهات بنادقهم باتجاه صدور الخلق، يغتصبون إرادتهم ويلزمونهم على التحرك باتجاه واحد، "عرف خلال اقل من ساعة انه يؤدي إلى خارج المدينة". كان بكاء الأطفال والنساء وسط الخوف والغبار وحرارة الشمس الحارقة يشق عباب الفضاء.. والعطش والجوع يستصرخ العيون الباحثة عن أجوبة لأسئلة جارحة، تتمحور حول سؤال واحد، يصرخ إلى أين...؟؟ بين هؤلاء كان الشاب إسماعيل شموط الذي بلغ من العمر آنذاك ثمانية عشر عاماً، كان برفقة والديه وأخواته وإخوانه الصغار. وبعد خمس عشرة ساعة من السير وسط العذاب والجوع والظمأ وصل النازحون إلى قرية "نعلين"، فقام أهلها بتقديم المعونة الغذائية للنازحين، والتي لم تكن سوى قليل من الخبز والماء.. فهذا أقصى ما كان يمكن تقديمه في ذلك الزمان الأزعر.

توالت الأيام القاسية السوداء الممزوجة بالألم والغموض، وخلال أسابيع قليلة وصلت رحال عائلة شموط، ونصبت خيمتها الأولى، على رمال "خان يونس" في قطاع غزة. أن هذه المشهدية المؤلمة في مسيرة النزوح والضياع رافقت الفنان إسماعيل شموط وتغلغلت في أحشائه لتنسكب أعمالاً إبداعية رائعة في باكورة إنتاجه الأول فيما بعد. في تلك الأيام عمل إسماعيل شموط بائعاً متجولاً في أزقة وطرقات خان يونس، ومن ثم مدرسًا في مدارس "اللاجئين"، فرسم بقلم الرصاص وبالألوان المائية، عدداً كبيراً من الرسومات التي استوحى موضوعاتها من الواقع الفلسطيني الجديد، واقع اللجوء والجوع والحرمان، وقصص الانتظار الطويل للحصول

على قليل من الماء والغذاء، فكانت صوراً إنسانية حملت طابع المأساة في سنواتها الأولى. وقد عرضت هذه الأعمال عام 1951 في مدرس "خان يونس" الثانوية بقطاع غزة.

أول معرض للفنون التشكيلية الفلسطينية

في عام 1950 جازف بكل ما لديه، بعد أن اقنع والده الحاج عبد القادر، فسافر إلى القاهرة والتحق بالقسم الخارجي بكلية الفنون الجميلة، ليكون أول فلسطيني يدرس الرسم والتصوير هناك. كانت القاهرة تشع ببريق الفن التشكيلي الكلاسيكي من خلال أعمال الفنان الكبير احمد صبري وزميله يوسف كامل، "الفنانان العملاقان اللذان قامت على يديهما النهضة الفنية في مصر، وكانا يتربعان على عرش الأستاذية، وكان مرسم احمد صبري ومرسم يوسف كامل، من أهم مراكز الفنون قرابة ثلاثين عاماً، وحتى أواخر الخمسينات من هذا القرن" جمال قطب. وقد تتلمذ الفنان إسماعيل شموط على يديهما، إضافة إلى نخبة من أساتذة الفن من رواد الحركة التشكيلية المصرية المعاصرة. فما بين عام 1950 وعام 1953 تجمع لدى الفنان إسماعيل شموط عدداً كبيراً من اللوحات والأعمال المكتملة، فعاد إلى غزة ليقيم المعرض الأول للفنون التشكيلية الفلسطينية. وذلك مساء 1953/7/29 في نادي الموظفين بالمدينة، وقد احتوى هذا المعرض على ستين لوحة للفنان إسماعيل شموط، وعلى عدد من الرسومات واللوحات لشقيقه الأصغر جميل. ولقد اشتملت أعمال إسماعيل شموط على لوحاته الشهيرة التي جاءت كأول توثيق تشكيلي لمأساة الشعب الفلسطيني في مسيرته ضد الاحتلال الصهيوني والغبن العالمي، فكان من بينها، "إلى أين...؟ " و"جرعة ماء!..." و"وبداية المأساة". أن أعماله واقعية تنتمي إلى الانطباعية - التأثيرية، فهي ذات سمات كلاسيكية تزخر بالحس الإنساني وملامح الوجع الفلسطيني من خلال تكوين جمالي راق. أن المسار الجمالي هو مسلك العبور إلى المدنية، وان

هذه الأعمال المتجانسة من حيث الفكرة والهم والأداء ما هي إلا الرسالة الأكثر صدقاً وواقعية لمعاناة الإنسان الفلسطيني ولأحلامه أيضًا.

يقول الفنان إسماعيل شموط في كتابه "الفن التشكيلي في فلسطين" عن رواد الحركة الفنية التشكيلية الفلسطينية الذين عايشوا أحداث النكبة ومأساتها، ما يلي: "سعوا لدراسة الفن، ليس من اجل المتعة، ولا من اجل إرضاء غرور الآباء، ولا لخوض مغامرات عبثية، لكن سعيهم كان أولاً لصقل موهبتهم، وثانياً لإفراغ ذلك المخزون الهائل من المعاناة الخاصة والعامة، وثالثاً للتمكن من إيصال صوت الإنسان الفلسطيني المقهور والمقتلع إلى المجتمع الإنساني ومؤسساته في كل أرجاء العالم". ص 47. وهنا تكمن الحقيقة، فان الفنان الفلسطيني لم يكن بمقدوره أن يعيش خارج دائرة الحدث الفلسطيني وان يعطي لخياله خلوة ذهنية فيمارس الفن من اجل الفن.. كما انه لم يستطع أن يتوه في معمعة الصخب الفني الذي تخبطت به المدارس الفنية في أوروبا والعالم.. حيث خاف هؤلاء الرواد أن يتيهوا على وجوههم في زحام البدع والمستجدات على ساحة "الإبداع " بمختلف اتجاهاته. من هنا فان الارتباط بالثوابت والأصول والإحاطة بالمعرفة والالتزام بالقضية الوطنية بكل شموليتها كان البوصلة الحقيقية لتحديد مسار هذا الفن الإنساني الفلسطيني الشامخ.

القائد جمال عبد الناصر يفتتح معرض "اللاجئ الفلسطيني"

بعد معرضه في غزة يعود الفنان إسماعيل شموط إلى ارض النيل، إلى القاهرة لإتمام دراسته وإنهاء السنة الرابعة منها. فتشهد القاهرة في 1954/7/21 حدثاً فنياً مدوياً.. شغل أجهزة الإعلام في العالم العربي، بكثافة وزخم، لمدة عام وأكثر. إذ قام في مساء ذلك اليوم قائد الأمة العربية، الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بافتتاح معرض "اللاجئ الفلسطيني" للفنان

إسماعيل شموط الذي شارك فيه بخمس وخمسون لوحة، وشاركت رفيقة دربه الإنساني والفني، زميلته آنذاك، الفنانة تمام الأكحل بخمسة عشر لوحة. وكان ذلك اللقاء بداية رحلة مشتركة تميزت بالنزوح والمعاناة والصبر والإبداع والعطاء المستمر.. وقد كانت مشاركة الفنانة تمام الأكحل في معرض "اللاجئ الفلسطيني" محض صدفة، إذ جاء ذلك في سياق تقديم الدعم لها، فحين ذهبت إلى مسئول الشؤون الفلسطينية في جامعة الدول العربية الأستاذ فوزي الغصن تطلب دعماً.. فما كان منه إلا أن رتب مشاركتها في المعرض على أمل أن تباع بعض أعمالها لتستطيع أن تمول دراستها في القسم الداخلي "للمعهد العالي لمعلمات الفنون" في القاهرة. ولقد حضر هذا المعرض عدد كبير من الشخصيات الفنية والأدبية والسياسية، منهم سماحة الحاج أمين الحسيني، وعبد الخالق حسونة أمين عام جامعة الدول العربية واحمد حلمي باشا واحمد الشقيري، وكان من بين الحاضرين أيضا، رئيس رابطة الطلبة الفلسطينيين، الرئيس ياسر عرفات. وعلى ضوء ذلك المعرض والنجاح الكبير الذي لقيه، انتشرت صور لأهم إبداعات شموط التي أفردت لها بعض المجلات الأسبوعية والصحف اليومية صدر صفحاتها الملونة، فقام العديد من الوطنيون العرب والكثيرون من أبناء الشعب الفلسطيني بالاحتفاظ بها.

بعد هذه المحطة الهامة في تاريخ الفنان شموط، وبعد أن أنهى دراسته في كلية الفنون الجميلة في القاهرة، سافر إلى روما، وهناك حصل على منحة من الحكومة الايطالية، استطاع بواسطتها متابعة تحصيله الأكاديمي في الفنون الجميلة لمدة سنتين. ومن خلال دراسته وتواجده في عاصمة الفن والجمال، تغلغل الفنان إسماعيل شموط في أعماق تاريخ الفن الإنساني، ونهل من منابع الزخم التشكيلي المتكدس عبر القرون في أبنية المتاحف والكاتدرائيات الغائلة في بطن التاريخ. من خلال ما قرأه وما رآه من أعمال لرواد الفن العالمي أمثال مايكل انجلوا وديفينشي ورفائيل وغيرهم. فلقد استطاع حينها أن يلمس الإبداعات العبقرية لما أنتجته الإنسانية عبر

العصور، عن قرب، فزاده ذلك عشقاً للفن ولرسالته الإنسانية التي غدت مع الأيام طابعًا خاصًا وشكلاً متميزًا يميز هذا الإنسان العظيم بالتزامه الوثيق بقضية شعبه.

بيروت.. ما بين الاستقرار والرحيل

في أواخر عام 1956 وبعد أن أنهى دراسته في ايطاليا، عاد ليستقر في لبنان، فعمل لمدة سنتين في قسم الإعلان بوكالة غوث وتشغيل اللاجئين ببيروت. ومن ثم أقام، بالاشتراك مع أخيه جميل، محترفًا تجاريًا للإعلان وتغليف الكتب، وقد استمر ذلك لغاية أوائل العام 1964 إضافة إلى إنتاج فني متجدد ومستمر. ومنذ أوائل العام 1965 عمل رئيساً لقسم الثقافة الفنية بدائرة الإعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية. وقد استفاد من هذا الموقع ليعمل لصالح توحيد وتنظيم الفنانين التشكيليين الفلسطينيين، وقد ساهم مع بعض منهم في تأسيس الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين، وشارك كذلك مع عدد من الفنانين الفلسطينيين والعرب، في تأسيس الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب، وقد انتخبه المؤتمر التأسيسي أميناً عاماً له لدورتين متتاليتين عام 1977.

لقد ساهم الفنان إسماعيل شموط في رفع مستوى الوعي الثقافي بما يتعلق بتاريخ الحركة الفنية التشكيلية الفلسطينية، فكتب العديد من المقالات والدراسات وصدر له في العام 1957 "الفنان الصغير"، وهذا الكتيب احتوى على أسس التربية الفنية للمدرسين ذوي الميول الفنية، فساهم في رفع مستوى التعامل بموضوعات الفنون التشكيلية، وقد أقرته وتبنته وزارة التربية والتعليم في الأردن بعد أن تم تعميمه على كافة المدارس الفلسطينية. وما بين عام 1972 وعام 1989 صدر له: "موجز تاريخ فلسطين المصور" و "الفن الشعبي الفلسطيني" و "فلسطين -

تاريخ وحضارة" و"الفن التشكيلي في فلسطين"، وهذا الأخير يمكن اعتباره اللبنة الأولى لبناء الموسوعة العربية للفنون التشكيلية.

شيء وليس كل شيء..

منذ المعرض الأول في عام 1954، والذي ضم الأعمال المشتركة للفنان إسماعيل شموط والفنانة تمام الأكحل، ولغاية عام 1998 أقاما معارض شخصية (مشتركة) في كل أرجاء الدنيا.. بدأت في فلسطين ومن ثم في القاهرة، فالأردن، ولبنان، وسوريا، والكويت، والإمارات، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، واثنا عشر معرضاً في اثنا عشر ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية، وفي انجلترا، وألمانيا، وفرنسا، والسويد، والنمسا، والاتحاد السوفيتي، ويوغسلافيا، وبلغاريا، والصين، واليابان، وماليزيا!! وقد شاركا في العشرات من المعارض المشتركة في البلدان العربية والأجنبية. وحصل الفنان شموط على جوائز عربية وعالمية عديدة، اذكر منها بعض من الجوائز الفلسطينية مثالاً لا حصراً.. (درع الثورة للفنون) و (وسام القدس) و (جائزة فلسطين للفنون للعام (1997).

الشمعة السبعون..

في اليوم الثاني من الشهر الثالث في السنة الأولى من الألفية الثالثة، سيحتفل الفنان إسماعيل شموط بإضاءة شمعة عمره السبعين، إن شاء الله، مع محبيه ومحبي عطائه الإبداعي العريق، من أبناء شعبه الفلسطيني ومن أبناء الأمة العربية ومن محبي الفن الإنساني في العالم.. وأتمنى أن يعطيه الله وإياكم، العمر والعافية، لنتمكن من تحقيق هذه الأمنية، وقد تحققت أماننا بإقامة وطننا القومي، ولو على جزء من تراب ارض فلسطين. فلقد تكرر الرحيل في حياته

سبع مرات، بداية من نزوحه الأول ووصوله إلى خان يونس، ومن ثم إلى القاهرة والى روما والى بيروت والى برلين والى الكويت والى الأردن. وهو اليوم يعيش في عمان، ولا يزال هناك يعمل بجهد برفقة شريكة عمره وإنتاجه الإبداعي، الفنانة تمام الأكحل، ليجسدا حلمنا الفلسطيني بمناسبة الدخول للألفية الثالثة، من خلال انجاز ثمانية عشر جدارية سينتهي العمل بها في أواخر عام 2000، تصل مساحة الواحدة منها إلى (200/160سم)، تم انجاز تسع جداريات منها حتى الآن.. وبهذه المناسبة سيقيم المتحف الوطني الأردني معرضاً خاص لهذه الأعمال في نهاية العام. أن هذه الأعمال تحكي مسيرة القهر والصمود الفلسطيني.. يقول عنها الفنان إسماعيل شموط "أن تجربتنا هذه، هي قصتنا الفلسطينية التي تكاد أن تمحى من الذاكرة الفلسطينية والعربية، وهي مصاغة بتجربتنا الفنية." إن هذه الأعمال ستكون وقفاً للشعب الفلسطيني لا يباع ولا يقايض، وستشكل النواة الأولى في إقامة المتحف الوطني الفلسطيني على ارض القدس العربية.

لقد اثبت الفنان إسماعيل شموط انه عملاق مسيرة الفن التشكيلي الفلسطيني ورائدها الأول، واثبت أيضًا أن قيمة العمل الفني تأتي من ذاته لا من الموقع الذي تخرج منه.. لقد آمن بالإنسانية وبالحب، حتى حين كان حبه لوطنه مصدراً تتابعياً للحزن. قصة هذا الإنسان تعيد إلى ذاكرتي ما جاء على لسان بطل رواية "الآن.. هنا" للقاص الأديب عبد الرحمن منيف، حين خاطب زميله زبيد قائلاً: "المشكلة ليست في الصعوبات، فلكل مرحلة صعوباتها وتعقيداتها، وأيضًا ضحاياها، ولكن المشكلة كما أرى، هي في انعدام اليقين، وفي الهزيمة الداخلية التي نعيشها.." فان البعض يشكوا من انعدام اليقين أما هذا الإنسان الفنان إسماعيل شموط فهو راسخ العقيدة مشبع باليقين كزهر البيلسان المشبع بالعطر. أن إسماعيل شموط قد أعطى لشعبه الفلسطيني وللأمة العربية وللبشرية جمعاء الأشياء الكبيرة.. فقد قال طاغور "اترك الأشياء الصغيرة لمن أحب.. أما الكبيرة فلكل الناس". أن هذه الإبداعات التي أنتجها

الفنان والتي ما زال ينسج خيوط ألوانها سوية مع الفنانة الكبيرة الرائعة تمام الأكحل.. ما هي إلا نتاج التجربة الإنسانية والفنية التي أثخنت بالجراح فغدت رغم صلتها بمبدعيها ملك لكل الآخرين.. ملك للإنسانية جمعاء.. اعلم أيها الأب الكبير أن "غاليليو مات شهيداً لكن الأرض تدور" ...! حنا مينة.

عيش وملح - ملحق" الاتحاد " - الجمعة 10 أيلول 1999

من مجموعة "تل الزعتر" من أعمال الفنان إسماعيل شموط

جداريات السيرة والمسيرة الفلسطينية

هي مسيرة السيرة. أو سيرة المسيرة.. أو سمها ما شئت.! فهي ملحمة إنسانية استمدت مصداقيتها من واقع المعاناة، فاستلقت لتستريح من عنائها، لبعض الوقت بين دفتي كتاب.. هو الكتاب الذي يحملها، لتحملك إلى تاريخك بكل ما فيه من أحلام والآم وأمنيات!! هو فلسطين بكل جوانحها، بكل أرجائها، بكل ألوانها، على مر الفصول، على مر العصور، على مر الزمان!

في حضرة الكتاب، أُصبح قصيدة تَطير بين جدران قصر التاريخ.. وتاريخ قصر ازدانت جوانبه بالحب والحياة.. إلى أن حل به الخراب والدمار، من جراء عدوان غاشم تكاثر فيه نعيق البوم والغربان. تعيش عيون القصيدة في رحاب الكتاب، بداية من أيام الربيع ولغاية أيام المعاناة والصمود الأزلي! في رحاب هذا المرتفع القامة، هذا المنتصب الشامخ تعانق الانتصار! نعم يا أستاذي وصديقي وأخي الكبير، نعم يا عم أبا يزيد نعم سننتصر!

"جداريات السيرة والمسيرة الفلسطينية" كتاب وثائقي يحتضن في دفتيه الحنين والذكريات، وبين شغافه تنبض بالحياة تسع عشرة لوحة "جدارية" تمثل المسيرة الملحمية لأسطورة شعب لن يموت.. شعب فلسطين!

هذا كتاب المعلقات.. كتاب القصائد الملحمية التي تروي حكاية شعبنا الفلسطيني، ما قبل الاقتلاع إلى ما قبل الاستقلال والتحرير.. هذه أبيات شعر كتبت على حدقات أعيننا بدماء شهدائنا الأبرار.. نقشت وشماً على أجسادنا.. كي لا ننسى!

آثرت أن استرخي قليلاً.. قبل الإبحار في عالم اللون والرمز والتكوين.. علني استقبل هذا الطوفان في شيئاً من الهدوء والاتزان.. علني استقبل هذا الزخم الطاغي، الآتي من دون استئذان. علني استوعب هذه الصدمة، هذا الانفعال، قبل أن أصاب بالهذيان.

مددت يدي لأفتح الكتاب.. فانساب الزمان ما بين البحر والنهر بكل ألوان الحياة.. فهنا قناديل المساء، ومواسم البرتقال والزيتون.. وأكف أطفال على حدقات العيون يولدون.! وسواعد العمال والفلاحين والصيادين.. ترفض أن تهون، وأزهار القندول والبرقوق وعصا الراعي، تتناثر فوق أثواب الطبيعة العبقة برائحة النرجس والزيزفون.. وفرحة الأعياد والأعراس، وسهر الأطفال حول حكايات ذات شجون.. "كان ياما كان" هل تذكرون.؟؟

تتكون اللوحة " الجدارية" هنا، من أفق لا ينتهي.. يحمل في أبعاده الأمل الآتي.! ليدعوك هذا العمق المترامي الأبعاد، السحيق في تأمله، إلى ما وراء الطبيعة، حيث هناك، يمكنك أن تكتشف أننا على موعد مع الفجر.. وان طال المسير!

"في هذا الكتاب الذي لا يشبه الكتبا كل شطحة لون فيه أصبحت أدبا".. كل شاردة، كل واردة، أصبحت لحنًا عانق الشهب!

في هذه الأعمال الجديدة لإسماعيل وتمام، تحد يطال السماء! إذ أن الشخوص والرموز والمساحات الضوئية، تتفاعل مع بعضها بمتواليات لونية ورمزية خاصة بهما.. لا تأبه بالذي يخاطبها، فهي تغزل أغانيها على أرغولها الخاص، تردد اللحن في أرجائها، أن كان صاخباً أو حزيناً، بأوتارها الذاتية. وهي أيضًا تسامح الآخرين تغفر لهم، وترفض أيضًا أن تصغي لتعليقاتهم.. فهي مكتفية بأنها تحمل في أحشائها الحقيقة.. الحقيقة وحسب!

كلما توغلت في الصمت.. أمام اللحن المنبعث ضوءاً من أعماق أية جدارية، تجد أن الصمود والشموخ كله واحد لا يتجزأ.! فهو متأصل بهذه الأعمال ومشبع بالعزة حتى الثمالة.. حتى الأزهار، تجدها منتصبة شامخة، على الرغم من التصاقها بالأرض.. فهي تشرئب بأعناقها لتحاكي أغصان الزيتون المنطلقة إلى ما بعد إطار الجدارية، كأنها تقتحم السماء.

بجانب الجداريات، هناك بعض من مراحل انجازها.. مما يثبت أصالة هذا العطاء وتميزه. وهناك أيضًا مقاطع مكبرة لأجزاء من الجداريات، تساعدك على التوغل في تفاصيل التفاصيل المكونة لها.. لتكتشف بكل بساطة عظمة هذه الأعمال وقيمتها.

الاتحاد 15 كانون أول 2000

جدارية من مجموعة "السيرة والمسيرة" من أعمال الفنان إسماعيل شموط

وداعاً.. أيها العاشق الكبير

بعد خضوعه لعملية جراحية في قلبه.. حيث أجريت له هناك، بعيداً عن فلسطين واللد ويافا، هناك، في أحد المستشفيات الألمانية.. توقف قلب فلسطين النابض في المبدع الكبير الأستاذ إسماعيل شموط.. فقلبه لم يعد يحتمل هذا الجرح الفلسطيني النازف كل يوم من جديد!

منذ أن تعرفت عليه بصورة شخصية.. وكان ذلك على هامش حفل التكريم الذي أقامته بلدية الناصرة.. إثر منحه وسام القدس عام 1997.. كتبت عن ذلك اللقاء أول مقالاتي

في الفنون التشكيلية – الفلسطينية خاصة.. نُشِر في "الاتحاد" حصراً، في أواخر شهر كانون الأول من ذات السنة، وذلك تحت عنوان "رحلة في الشريان".. ومن ثم توطدت أواصر الصداقة بيننا.. الأستاذ إسماعيل شموط والفنانة تمام الأكحل من ناحية.. وأنا من الناحية الأخرى.. وقد داوم، كعادته في كل شيء يحبه، على الاتصال بي.. لم يكن يمضي بضعة أشهر إلا ويتصل بي مطمئنا أو محدثاً عن أمور جديدة وهموم تشغل باله.. ألا وهي هموم أرض وإنسان فلسطين!! كم كان أحبته من حوله يطلبون منه ألا يستمع لنشرة الأخبار؟؟ كي يحافظ على نوع من هدوء البال.. ولو ظاهرياً.. إلا انه لم يكن يستطيع أن يترك أي شيء يتعلق بفلسطين ولا يعرفه.. وبما أن كل الوقائع حملت في سياقها مزيدا من النزيف الفلسطيني.. مزيد آ من الألم والهموم.. فقد كان ذلك يتعبه كثيراً ويزيده كآبة وألماً!!

عاد منذ أيار الماضي إلى عمان، بعد أن قضى في ألمانيا قرابة الشهرين، إذ خضع حينها لعملية جراحية لقلبه.. وحين عاد اتصل بي وطمأنني عن أحواله.. تحدثنا عن آمال وأحلام كبيرة مؤجلة!! على أمل أن يزول الاحتلال، كي نستطيع أن نفترشها على بساط ترابنا الأبي .. في رام الله في القدس في الخليل في غزة.. وهنا في الجليل.. في يافا في اللد.. هي بعض من الحلم الفلسطيني.. في الاستقلال والحرية!!

عشق الراحل الكبير إسماعيل شموط فلسطين.. فحملها طي ريشته وألوانه، وكان الفنان الفلسطيني الأول على الإطلاق.. ذاك الذي رسم المأساة الفلسطينية بكل أبعادها ومآسيها الإنسانية والتاريخية.. حتى عُد بحق وامتياز رائد مسيرة الفن التشكيلي الفلسطيني الأول!!

لم يكن يرتاح.. ولم يصل الى حالة من الشعور ادعى فيها أنه أنجز مهمته.. بل على العكس من ذلك.. فقد ثابر على العطاء الفني.. وقد أنجز رائعة الفن التشكيلي الفلسطيني هو والفنانة تمام الأكحل.. تلك المجموعة من الجداريات التي حملت عنوان "السيرة والمسيرة".. والتي أعلن عنها منذ بداية تنفيذها أنها وقف للمتحف الوطني الفلسطيني العتيد.. جال بها معظم عواصم العالم.. اطلع الناس على سيرة المأساة الفلسطينية.. وحلمه بالعودة والاستقلال والحرية.. وأصدر كتاباً عنها، احتوى مسيرة إنجاز تلك الجداريات التي وصل تعدادها إلى 19 جدارية بالألوان الزيتية.. وقد ضم الكتاب تلك الجداريات مع شرح سيرتها ومسيرتها!

في المرة ما قبل الأخيرة التي تحدثنا فيها.. وكان ذلك في أواخر آذار العام الحالي.. أخبرني عن كتاب الباحثة الإسرائيلية جانيت أنكوري.. التي تناولت في بحثها موضوع الفن التشكيلي الفلسطيني.. والتي كتبت فصلا خاصاً عن الأستاذ إسماعيل شموط وعن تاريخه وأعماله.. وقد صدر البحث باللغة الانجليزية، حاولت أن أنشر الجزء الذي تناول مسيرة الأستاذ

الفنان شموط وأعماله.. ولكن دون جدوى، فقد كانت الصحافة المحلية متخبطة بموجة انتخابات الكنيست. وكنت أنوي إلى جانب ذلك أن انشر بعضاً من آخر أعماله وأعمال الفنانة تمام الأكحل، تلك التي أنجزت في سنة 2004، والأخيرة التي أنجزت عام 2005 وأوائل 2006.. لكن هيهات!!

يؤلمني حقاً هذا الغياب أيها العاشق الكبير.. كما آلمني الغياب المفتعل وأنت بعد على قيد الحياة!! فبعد التنسيق معك توجهت بدوري في العام 2004 إلى مهرجان اللد، واقترحت عليهم إقامة أمسية تخص الفنان إسماعيل شموط.. نعرض خلالها نماذج من أعماله ونتحدث عنه.. ونعطيه فرصة لأن يتحدث عبر الهاتف إلى أهل اللد والرملة ويافا.. تلك الربوع التي تعشش ذكراها في رئتيه كما الهواء!! وقد توجهت يومها أيضاً إلى بعض المؤسسات الأهلية، كي نقوم بزيارة الأستاذ إسماعيل شموط ونصور لقاء مطولاً معه، يحكي فيه عن تجربته الفنية والتاريخية والنضالية.. من اللد إلى خانيونس إلى القاهرة فروما فبرلين فبيروت فبغداد فعمان فبيروت فعمان.. لكنهم تأخروا في الرد.. إلى أن رحل ليلة اليوم الثلاثاء 4 تموز 2006، عن عمر ناهز ال 75 عاماً.

وداعاً أيها العاشق الكبير.. يا من عشقت فلسطين بكل شيء.. ولم تساوم!! عشقت فلسطين.. فرسمت أول ملامحها في وجنتيك.. وكتبت أول رسائلها عن تاريخ الفنون التشكيلية في مقلتيك.. وزودتنا بأعمال وثقت تاريخ الإنسان الفلسطيني ومأساته.. عبر أكثر من نصف قرن.. ونثرت غبارك في كل أرجاء الدنيا!! ففي كل بلد من شرقها لغربها ومن جنوبها لشمالها.. بعض مما حملت بصمات يديك!!

وداعاً أيها العاشق الكبير.. ووعداً حملته أعمالك على مر الأيام والسنين.. أننا عائدون.. وأن "الأرض حبلى والسنين".. وأن ما تركته من إرث عظيم ستفخر به فلسطين على مر الزمان.. وستفخر به الإنسانية على مدى الأجيال.. فمن له قلب كقلبك أيها العاشق الكبير.. لا يترك الدنيا ولا يزول.. أنت باق كالأرض والزيتون.. وستحمل شمس الحرية لحظة بزوغها على أرض فلسطين..

ستحمل اسمك بأحرف من حب ومن ياسمين.. أسوة بكل أبنائها الطيبين.

وداعاً أيها العاشق الكبير.. وحسبي أنني حظيت بصداقتك وبحبك الأبوي.

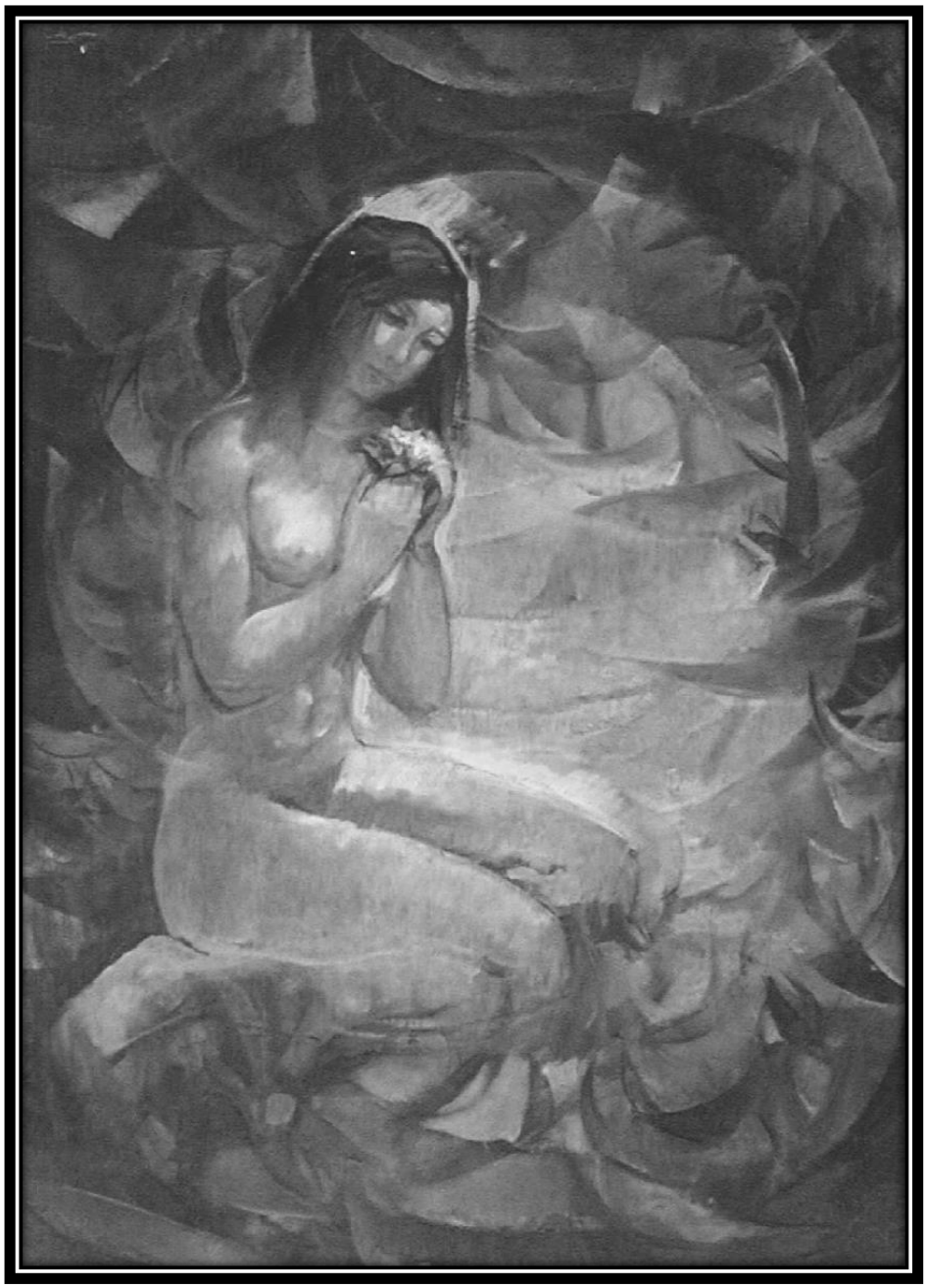

"زهرة في العراء" من اعمال الفنان إسماعيل شموط زيت على قماش 1970- 1980

بطرس لوسيا

بطرس لوسيا، ابن مدينة شفاعمرو، عاش طفولته وصباه في حيفا يتيماً بعد وفاة والده، كانت والدته تعمل لإعالة أسرتها، بعد النكسة عادت العائلة إلى شفاعمرو واستقرت فيها.

ولد عام 1915, وتوفى في أوائل نيسان 2000.

عرف الرسم بالفطرة، في صباه درس الرسم على أيدي فنانين يهود من القادمين الجدد في حيفا، كما التحق في مدرسة كانت أقامتها الجالية الألمانية في حيفا في الثلاثينيات، ومن ثم في داخلية لبعثة ألمانية في القدس.

تخصص لوسيا برسم الطبيعة الصامتة والأيقونات، وخاصة الأيقونات المنقولة عن أعمال كبار الفنانين الكلاسيكيين، وقد احتفظ حتى أخر أيامه بأيقونة رسمها منذ سنة 1935، وهي أيقونة النبي إيليا على عربة تشدها الخيول نحو السماء والنار تشتعل في أطرافها.

يعتبر لوسيا المصور الأول في فلسطين بما يختص برسم "الأيقونة المقدسة" في الديانة المسيحية، والتي تعتبر من التراث الكنسي. وله عدد كبير من الأيقونات بمقاسات كبيرة في كنيسة بطرس وبولس في شفاعمرو في عدد من كنائس القرى المجاورة. ورسم أيضًا بنفس الطريقة عددًا من المناظر الطبيعية المنقولة عن صور ولوحات مصورة، بعضها موزع بين أفراد عائلته والآخر لدى بعض محبي الفن التشكيلي. كلوحة سليمان الحكيم التي يمتلكها ادوار بحوث.

لقد خلف وراءه عدد من الأعمال المميزة منها لوحة "عين العذراء", والتي تمثل موقع عين العذراء في الناصرة وهي لوحة تعود في تكوينها الزمني إلى فترة العشرينيات، صورها بطرس لوسيا عن صورة فوتوغرافية نادرة لتلك الحقبة، وقد أضاف عليها من خبرته وطابعه الفني أشجار الزيتون والنساء الفلسطينيات حاملات جرار الماء، إضافة إلى الألوان التي تؤكد قدراته الفنية على صياغة عمل إبداعي مميز. وقد استوحى ذلك من المشاهد التي درج على رؤيتها أيام صباه.. كما ترك العديد من التماثيل الجصية والخشبية وأعمال حفر أخرى.

كتبت عنه عدة مقالات منها:

لوحة في البال.. عين العذراء

ثلاثون عامًا مر على أول لقاء لي مع شيخ الفنانين والمبدعين في شفاعمرو.. بعد بحث تأكد لي إن أبا جريس – بطرس لوسيا – هو أول رسام مصور* من أبناء شفاعمرو منذ أن عرف شعبنا الرسم بأسلوبه المعاصر، كنت حينها ابلغ السادسة عشر من عمري، ذهبت إليه وبجعبتي بعض أعمال، ربما رسمتها بوحي من خيالي، وربما نقلتها عن رسومات وصور أعجبتني.. كان الدرس الأول والأخير الذي تلقيته في الرسم طوال حياتي على يد هذا الرجل، حيث قال لي: **"ارسم الأشياء القريبة منك، باقة ورد في مزهرية، ضمة بصل اخضر.. أشياء عادية من البيت.. حتى تتقنها جيداً، ومن ثم حاول أن ترسم هذه الأشياء من جديد".**

شيء من بداياته

ولد الرسام بطرس لوسيا في العقد الأول من العشرينات، وفي الثلاثينات اضطرت والدته للانتقال إلى حيفا طلباً للرزق من اجل إعالة أسرتها، بعد أن فقدت معيلها الوحيد. كان أبو جريس وحيد أخواته، أما أخته الكبيرة فعملت في بيت القنصل الفرنسي في حيفا. وفي أحد المرات التي رافقها بطرس إلى بيت القنصل، كان ينتقل بين حجرة وأخرى فوجد صورة لفتاة جميلة، اخذ يرسمها، وما أن ظهرت رسمته بكل ملامحها حتى صادفه القنصل فأعجب بها أيما إعجاب، إذ كانت تلك الصورة صورة الثائرة"جندارك".. فما كان من القنصل إلا أن أهدى الطفل البالغ من العمر 12 عاماً طقم ثياب بحرية مع قبعة وبوكار (عكاز)، ذهب الخادم واشتراها له مع مجموعة من أدوات الرسم من ألوان وأوراق.. كانت هذه أجمل هدية يحصل عليها هذا الطفل في حياته.

عات العائلة إلى شفاعمرو قبل احتلال حيفا.. هرباً من الجرائم البشعة التي نفذها الاستعمار والقادمون الجدد بالعرب هناك، وحيث لم تعد العائلة في مأمن على حياتها. ففي تلك السنوات كان قد تعلم بطرس لوسيا لدى بعض الفنانين القادمين من أوروبا.. إضافة إلى تواجده لعدة سنوات في إحدى الورش الألمانية والتي تعرف من خلالها على الكثير من أسس مهنة الرسم والحفر والنجارة. عمل في شفاعمرو في مجال النجارة والتزين، وابتدع الكثير من الأشياء الجميلة التي بحث عنها الناس وخاصة في مناسباتهم السعيدة.

علب الخطوبة للعرائس

فبالإضافة إلى أعمال الحفر للقطع الخشبية الثمينة، قام بطرس لوسيا بعمل علب الخطوبة للعرائس، فجاء بعضها على شكل سيارة أو دبابة أو نجمة خماسية أو غير ذلك، وهي

مكونة من أدراج ونوافذ علب مكسوة بالمخمل وقطع الزجاج، وقد اعتبرت العروس التي حصلت على علبة من صنع يديه، عروس مدللة وبنت ناس، لأنها كانت غالية الثمن قياس لما كان منتشراً في الأسواق. أضف إلى ذلك رسم الزخارف والمنمنمات من تعريق وتوريق على ياقات أثواب العرائس وأغطية الأسرة وما إلى ذلك. انه صنع من كل شيء تحفة. روى لي انه كان يبتاع حبة جوز الهند بثلاث قروش فلسطينية، يأتي بها إلى ورشته يقسمها إلى نصفين متساويين، يركب في طرف كل جزء منها قاعدة خشبية مخروطة بشكل جميل، ينظفها ويلمعها ويدهنها بالورنيش، ويعرضها للبيع بعشرة قروش بعد أن تصبح كأسًا للشراب.

لم يترك بطرس لوسيا مناسبة أو موضوعًا إلا ورسم بها، وكانت إحدى رسوماته الأصلية الأولى أيقونة "النبي إيليا"، وهو على عربة تجرها الخيول وسط السنة اللهب، يعود تاريخها إلى الثلاثينيات. عمل في الحفر على الخشب وأنجز العديد من التماثيل بالجبس أيضًا، فتجد لديه فلاح يحمل المعول على كتفه، وامرأة بلباس قروي وجرة الماء على رأسها.. وتمثال نصف علوي للفنان الموسيقار محمد عبد الوهاب.. والعديد العديد من الأعمال والتحف الفنية..

أيقونات كثيرة

تزدان بها جدران كنيسة بطرس وبولس للروم الكاثوليك في شفاعمرو. قام بطرس لوسيا بتصوير الأيقونات الجميلة في دقة متناهية تصل في الكثير من الأحيان إلى انجاز أروع من الاصل. جسد الشكل والوجوه والألوان، وأعطى للمنظور أبعاده الكاملة في سحر وصياغة لونية متناغمة، تلاعب بها الظل في الأماكن التي خلق لينتشر فيها.. لم يعجز الرسام بطرس لوسيا عن رسم أية قطعة فنية وصلت إليه، بل كان يبحث عن اعقد الأعمال وأصعبها، وقد

قام برسم أعمال بأحجام مختلفة بتقنيات زيتية على القماش والخشب. كما رسم العديد من المناظر الطبيعية من البلاد ومن صور فوتوغرافية تندرج في سياق الطبيعة الصامتة. منها ما حملت لحظات الغروب البحرية أو المناطق الساحرة في غياهب المطر والضباب. ومن الأعمال العظيمة الباقية والمجلات على جدران غرفة بيته الخارجية المقابلة للمدخل، والتي تعتبر الوحيدة المحاذية لزقاق قديم يفصل ما بين كنيسة البروتستانت والسور الجنوبي للمدرسة الأسقفية، التي يجثم البيت تحت بنايتها التاريخية القديمة.. في هذه الغرفة تسحرك لوحة رائعة تعود بمعالمها إلى سنوات الثلاثينات أو قبل ذلك أيضًا.. لوحة بمساحة تقارب ثلاثة أمتار تمثل موقع "عين العذراء".. في مدينة الناصرة، تتكاثر حولها أشجار الزيتون على سفح شبه منحدر، ونساء فلسطينيات يحملن الجرار على رؤوسهن وأردافهن في تمايل ودلال.. وأثوابهن المزركشة والمتعددة الصبغات اللونية الزاهية والترابية أيضًا، تتراقص مع الضوء المنبعث من مكان ما بعيد عن سماء اللوحة.. تمثل اللوحة نوع من الحياة الهادئة البسيطة التي ميزت المجتمع الفلسطيني في تلك السنوات، سنوات الخير والاعتماد الكلي على الأرض، لموقع من المواقع التاريخية التي ميزت مدينة الناصرة، ولتبقى شاهداً أبدياً على التاريخ المشترك لشعب واحد ارتبط مصيره ببقائه الأزلي. روى لي أبو جريس كيف عاشت صورة فوتوغرافية لعين العذراء بين أوراقه دهراً من الزمان إلى أن حان الوقت ليرسمها.. وهو يعتبرها أجمل أعماله وأروعها.

لم يكن بطرس لوسيا يشارك في أية معارض أو فعاليات فنية، بيد انه حين توجهت أليه ليشارك في معرض الإبداع الفني الأول الذي نظمته لصالح جمعية المخلص في شفاعمرو سنة 1995, أبدى استعداده وحماسته لذلك. وعلى الرغم من انه قد ناهز الثمانين من عمره يومها إلا انه رفض أن يساعده أحد على نقل اللوحات، وقام بمفرده بترتيب أعماله في الغرفة التي خصصت له في المدرسة الأسقفية التي استضافت المعرض. كما شارك في المعرضين اللاحقين في سنة 1996 و1997 اللذان نظمتهما ضمن فعاليات جمعية المخلص آنذاك.

رسام وأكثر

يوم افتتاح المعرض الأول الذي شارك فيه بطرس لوسيا، سميته شيخ الفنانين والمبدعين في شفاعمرو، ورسمت صورته الشخصية "بورترية" بالخط العربي بتكرار نفس الجملة دون استعمال أي حركة تشكيلية أخرى. وأهديته إياها بمناسبة المعرض الثاني الذي أقمناه في قاعة كنيسة اللاتين في شفاعمرو سنة 1996. حيث إنني اعتبره رسام وكثر، مبدع وأكثر.. ففي تلك الأيام التي افتقدت للتذوق الفني وأداة الاحترام له، حيث عز الخبز ورزق الأطفال وتشتت إنساننا العربي مما أصابنا من ضياع، بقي لهذا الإنسان عنفوانه الساحر في التعامل مع الألوان والأدوات النحتية، رغم نظرات الإعجاب القليلة وكلمات الإطراء النادرة، إلا انه تمسك بما اعتمره القلب من حب للرسم والفن، وأسهب وجدانه في استخدام كل الوسائل المتاحة لإبداع نماذج جديدة من الرسم والحفر.

وقد سخر الكثير من طاقاته الإبداعية. لخلق احتياجات اجتماعية استطاع أن يبعها إلى الناس ليعتاش ويعيل أسرته منها.. بداية من مغارة الميلاد وأشخاصها وحتى شمعة الشعانين المزدانة بالفروع والأزهار والالوان.

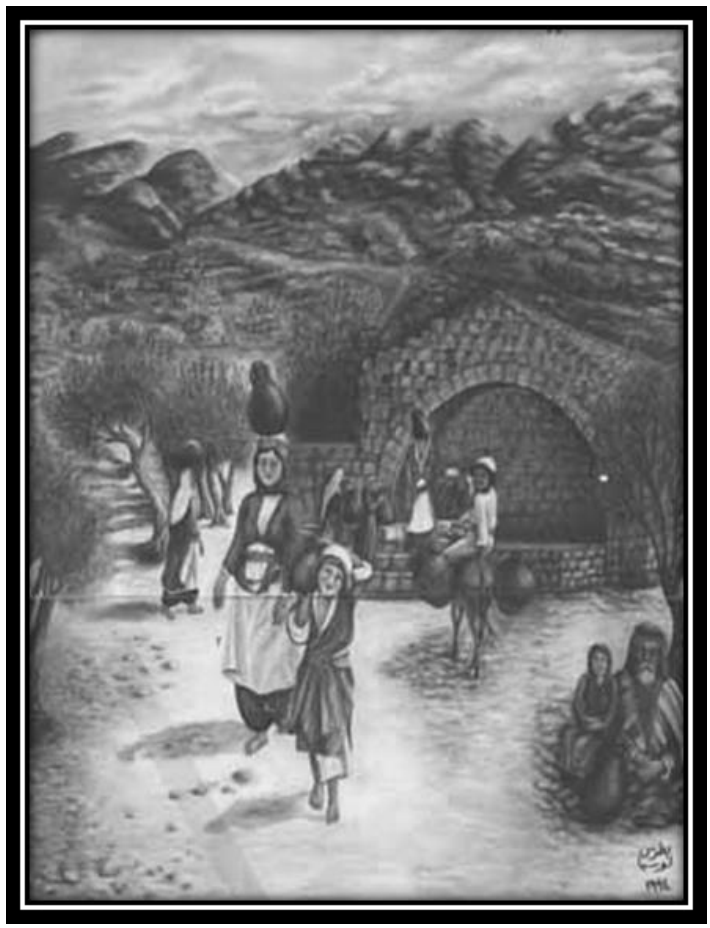

لوحة عين العذراء – 160/160 رسم بطرس لوسيا

ألوان زيتية قمشا على خشب

أما بعد..

فمنذ أيام ألمت بأبي جريس وعكة صحية، فعدته في المستشفى واطمأننت على صحته في غضون ساعتين من الزمن قضيتها إلى جانبه. تحدثنا عن أمور كثيرة.. والأصح انه حدثني عن أمور

كثيرة!! لكنني رويت له عن رؤيا ظهرت لي إثناء النوم قبل أيام، وهي عبارة عن رموز تمثل لوحة لرجل دين بالحجم الطبيعي، يشبه في طلعته المطران بطرس معلم أو هكذا تهيأ لي.!! فحدثني عن لوحة رآها في صغره لمطران العرب جريوجريوس الحجار في مرسم عوض الرومي.. حدثني بشيء عن طفولته في تلك الأيام، وعن مرافقته لعوض الرومي لفترة وجيزة جداً. لكن ذلك أوقد في فكرة البحث عن تاريخ هذا الرجل الذي ترك بعض الآثار الجميلة من رسومه التصويرية، من أيقونات وكتابات، وخاصة للبحث عن تلك الرائعة التي حملت شخص "مسيح الشرق" مطران العرب. لتكون موضوع في مقالة قادمة.. قولوا أنشاء الله.

"الاتحاد " الجمعة 25 شباط 2000

في ذمة الأيام

هو شيء كالهذيان.. ما بين الحلم والواقع، ظهرت أمام عيني ملامح رجل في مرحلة الستين من عمره، وقور يتسربل بالسواد، وفي محياه بريق كانكسار أشعة الشمس على الصقيع.. كالومض يهرك في لحظة ويرحل، بكامل قامته كان يطل عليّ من خلال إطار لوحة عملاقة، تكبر وتكبر لتتساوى بقامته المنتصبة.! يقول بطرس لوسيا إنها لوحة المصور الرسام عوض الرومي، وقد شاهدها في

مرسمه

كان أبو جريس يبحث عن عمل، وهو صبي في الثانية عشر من عمره، أي قبل خمسة وستين عاماً بالتقريب.. فدخل إلى محل لدهان المعادن، وبالذات الدريزينات وحديد الشبابيك. عمل هناك، وكانوا يومها يضعون القطع المعدنية في مياه القطرونة، ومن ثم يقومون بشحذها وتنظيفها من الصدأ والزيوت بواسطة ورق الزجاج. وهذا النوع من العمل كان شاقًا بالنسبة لصبي في عمره، لكنه قبل أن يترك العمل.. انتبه صاحب المحل (المعلم) إلى أن بطرس يستغل أوقات استراحته ليرسم شيئاً من المشاهد التي كان يراها أمامه، وخاصة رواد المقهى المقابل للمحل. فأستحسن ذلك وثَمَنَهُ ومن اجل أن يشجع الصبي للمضي في هذه الطريق، اصطحبه إلى مرسمه الذي كان يعد فيه أعماله الفنية من رسومات ولوحات وإعلانات، وغير ذلك من الأمور التي تتطلب دقة ومهارة في العمل.. وهناك رأى من جملة ما رأى لوحة بالحجم الطبيعي لمطران العرب، جريجوريوس الحجار، وكان صاحب المحل، المعلم، وصاحب هذا المرسم

الرسام عوض الرومي

هو مواطن فلسطيني انتقل إلى لبنان، وقد جاءت عائلته إلى فلسطين مع رحيل التركي ودخول البريطاني، سكن في مدينة حيفا في ملتقى تقاطع شارع مار يوحنا وشارع اللنبي. هذا حسب ما رواه لي الأستاذ جوني منصور، والذي وصلت إليه بعد بحث عن اللوحة في عناوين عدة، قال البعض انه رآها في مطرانية حيفا!! والأستاذ جوني منصور صاحب كتاب عن المطران الحجار، صدر سنة 1985 يتحدث عن حياة المطران وتاريخه العريق. ولقد تعرف على بعض من جوانب حياة الرسام عوض الرومي في سياق بحثه عن تاريخ المطران، فعلم أن محله كان خلف كنيسة الموارنة، أي في زقاق الموارنة في حيفا. وهو والد الشاعر حنا الرومي، المعروف باسم حليم الرومي، والد الفنانة اللبنانية ماجدة الرومي. وقد تعلم حليم الرومي من والده عوض أيضًا صناعة آلة العود الموسيقية وتصليح الأدوات الوترية الموسيقية الأخرى، وأجاد العزف عليها. أما الجد عوض الرومي فقد غادر البلاد عائداً إلى لبنان في أيام النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني.. بعد أن ترك وراءه الكثير من الأعمال، وقد ضاع منها ما ضاع أو إنها موجودة ولا أحد يعرف صاحبها. لكننا نعرف العديد مما تبقى من

أعماله

في كنيسة بطرس وبولس للروم الملكيين الكاثوليك في شفاعمرو هناك ثلاثة أيقونات، مرسومة فوق الهيكل على الحائط مباشرة بأسلوب عصر النهضة الايطالية "الرينسانس"، رسمها عوض الرومي في العشرينات. وفي كنيسة دير مار الياس في حيفا توجد أيقونة لمار الياس بالحجم الكلي.. ومثيل لها في كنيسة مار الياس في بلدة فسوطه الجليلية.

كما أن هناك لوحة إعلان باقية من عهده، في واجهة محل المصور الحيفاوي القديم "هاراتش،" الكائن بالقرب من مكتب سيارات النقل العمومي "موقف عسفيا"، في البلدة التحتى في حيفا. وهناك أيقونة في الغرفة التي استعملت "مصلى" في بيت "الباشا" الواقع في وادي الصليب، والذي استعمله الرهبان في فترة ما قبل النكبة كبيت استقبال مرحلي عند قدومهم لزيارة البلاد المقدسة عن طريق ميناء حيفا.

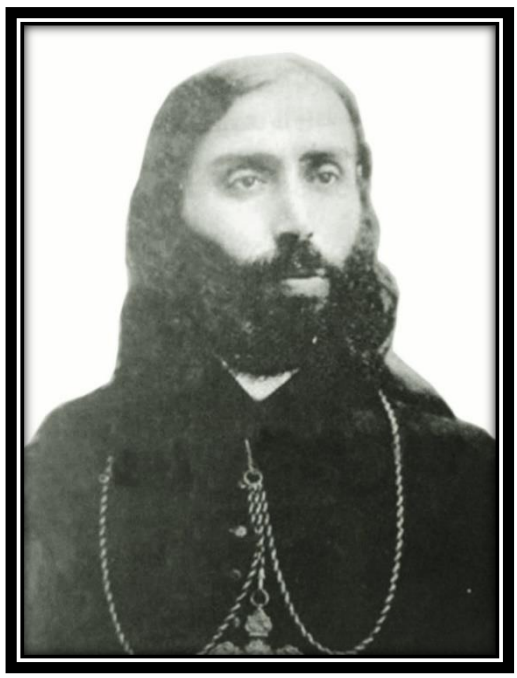

لا شك أن هذا الرسام قد ترك الكثير من الأعمال والرسومات، منها ما يتعلق بالطبيعة ومنها ما يتعلق بالموضوعات الدينية وأعمال فنية أخرى.. ففي السنين الأولى للنكبة ضاع الكثير من تراث شعبنا ومدخراته الشخصية والقومية، واندثرت خلف حيطان البيوت التي استوطنها الغرباء، ألف قصة عشق إنساني وألف رواية من روايات ثقافتنا ووجودنا في تلك الأيام. لكنني أحاول هنا أن أساهم في توثيق بعضاً من هذه الذاكرة الممزقة، وأحاول من خلال طرح هذه الذكريات التي اجمعها من مكان ومكان، أن أحث الآخرين على التذكر والدفع في اتجاه توثيق كل ما يمكن توثيقه من الذاكرة الفردية، لتشكل جزءاً من الذاكرة الجماعية، عل المساهمة في البحث عن أثار أمثال هؤلاء الناس يأتي ثماره قبل أن يضيع كل شيء.

صورة المطران جريجريوس حجار

عود على بدء

أذًا فاللوحة التي ابحث عنها.. هي لوحة رسمها عوض الرومي في العقد الثالث من القرن العشرين، وهي عبارة عن صورة لشخص المطران الحجار، بالحجم الطبيعي. وقد كان يحضر سيادة المرحوم إلى مرسم عوض الرومي ويقف قبالته متكئاً على كرسي لمدة ساعة أو ساعتين كل مرة، وكان الرسام يدأب على انجاز عمله بفرح عظيم، كما قال لي الرسام بطرس لوسيا، وهو الذي شاهد اللوحة بأم عينه.. وقد دفعني فضولي للبحث عنها من كثرة ما شدتني الرواية المطولة التي سمعتها عنها. ولأهمية كُل ما تحمله من ملامح لرجل عظيم كان مثالاً للوطنية الصادقة والتواضع الإنساني.. عرفته كل فلسطين، بكل أحيائها وبيوتها. ولا زال هناك الكثير من الروايات التي يعرفها الكبار عنه، محفوظة في الصدور يستعيدون الحديث عنها في المواقف التي تتطلب العزة والكرامة.

لقد كتب الزميل احمد كيوان في "الاتحاد" يوم 1999/1/5، تحت عنوان "مطران العرب،" أجزاء هامة من تاريخ هذا الرجل، وجاء في المقالة أيضًا خاتمة الكلمة التي ألقاها المطران جريجريوس الحجار، من خلال إذاعة فلسطين يوم 1940/8/16 أي قبل 64 يوم من وفاته، حيث قال فيها: **"يا فلسطين ما احبك إلى قلبي، وما أجملك في نظري، وما أقدسك في فمي".**

وقام الأستاذ جوني منصور بالسعي طوال سبع سنوات، في أروقة المؤسسات البلدية والمسؤولة عن الأمر، لإطلاق اسم الحجار على شارع في حيفا.. حتى تم له ذلك، وأصبح الشارع المتفرع غرب شارع عباس باتجاه طلعت مار الياس يحمل اسم "شارع المطران الحجار."

فلمثل هؤلاء يجب أن تتسع صفحات تاريخنا، ويجب "أن نصغي لهذا الصوت" الصارخ في البرية.. كما يتحتم علينا أن نوثق تاريخهم ليكون عبرة للآخرين.!! واللوحة التي تحمل ملامحه، يجب أن تظهر من اجل أن تكون اللبنة الأولى في مشروع إقامة المتحف الوطني الأول على ارض هذا الوطن.. الوطن الذي ليس له سوانا، وليس لنا سواه.

صحيفة " الاتحاد" الحيفاوية الجمعة 3 آذار 2000

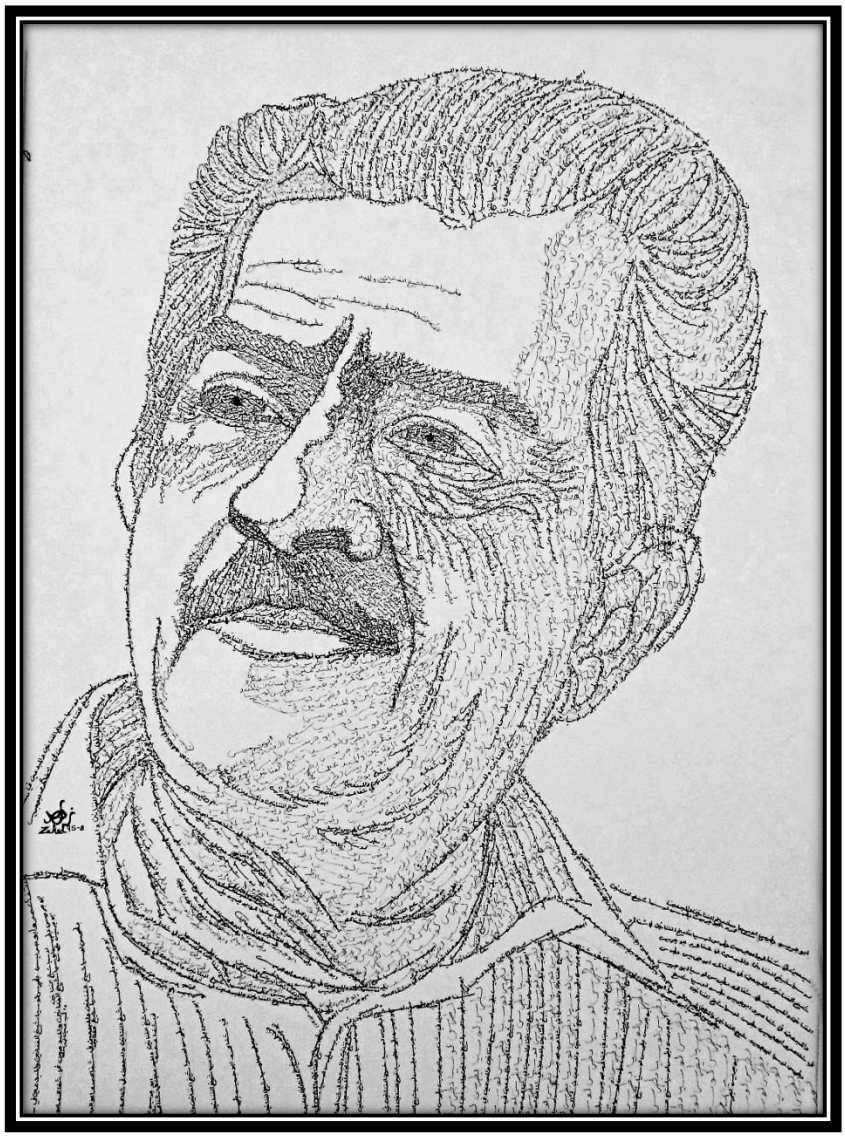

"شيخ الفنانيين والمبدعيين في شفاعمرو

الفنان بطرس لوسيا – رسم بالقلم الهندسي على كرتون

رسم زاهد عِزَّت حَرش

سامية حلبي

ولدت الفنانة سامية حلبي في القدس، وفي العام 1936 التي هُجرت مع أسرتها إلى الولايات المتحدة، بعد تهجيرها القصري من موطنها أبان النكبة عام 1948.

حصلت سامية حلبي على ديبلوم في الرسم من جامعة ميشيغان سنة 1960، ثم على ديبلوم في الفنون التشكيلية من جامعة إنديانا سنة 1963، ثم درّست في يال سكول أف أرت خلال عشر سنوات. وهي تقوم اليوم، برحلات منتظمة إلى فلسطين حيث تدرّس في جامعة بير زيت وتحاضر لدى منظمات غير حكومية.

سامية حلبي اثناء زيارتها لبيت الكاتب سنة 2012

فلسطين الآن.. روافد ضوء من حوار جاء كما القصيدة مع الفنانة ساميه حلبي

ليس هناك فن من اجل الفن، الفن له مهمته في الحياة وهو مرتبط بالإنسان وثقافته وبسمة العصر بشكل شمولي، وهو أداة تساهم في عملية الإنتاج في زماننا الحاضر، كما أن الفن هو نوع من البحث وله الفضل الأول في عدة اكتشافات علمية أو أنه شكل الدافع الأساسي في الاكتشافات العلمية، من غير المجدي التعامل مع الفن من أجل الفن أو الفن من أجل السياسة، أي قولبة المشروع الفني، "إذ أنني اعتبره شكل شمولي ينطلق ليساهم في بناء الحضارة والإنتاج الإنساني". لقد اخترعت الرأسمالية كذبة كبيرة بان الرسم هو شكل شخصية الفنان وذاتيته.. بيد أن الفنون التشكيلية حالة ثقافية تعبيرية تحمل سمات الزمن الذي ولدت فيه. لقد كان الرسم عبارة عن مهنة مكملة للمهن الإنسانية الأخرى التي احتاجها المجتمع في زمن ما، لم يكن في العهد القديم أي نوع من أنواع التخصص في الرسم، ولم يتعلق بالفنان ولم يحمل شخصيته، ويمكن رؤية ذلك بوضوح من خلال الآثار التي تركها الفراعنة والإغريق ."أنا أستطيع أن افصل ما بين العمل الفني والعمل السياسي، أستطيع أن اخدم قضيتي القومية من خلال مشاركتي في مظاهرة أو تنظيم سياسي وان أضع الطاقات الفنية التي املكها في خدمة الشعارات التي تتبناها هذه الفعالية السياسية، هنا يمكن أن أقدم شيئاً يخدم قضيتي السياسية".

حين يُطرح سؤال.. أين فلسطين في أعمالك؟ تجيب ساميه حلبي بسؤال آخر.. من الذي يطرح علي هذا السؤال؟؟ فحين يأتي من رأسمالي عربي يريد أن تحمل اللوحة بعض الأحرف والكلمات العربية كي يزين بها صدر مكتبه لتروي للناس قصة انتماءه!! وكي يقول لهم أنا

عربي! فلمثل هؤلاء لا يحق لهم أن يسألوا أين فلسطين.. فليذهبوا إلى الجحيم.!! كما أن الأعداء يسألونها أين فلسطين في أعمالك.. وهم بذلك يريدون أن نتقوقع داخل دائرة محددة تمنعنا من الانطلاق في رحاب الكونية والعالمية. لقد كانت أجهزة الحكم الأمريكية تكثر من التقول حول الجذور "عليكم أن تظهروا جذوركم في أعمالكم" وكأنها بذلك توهمنا بأنها تريد الحفاظ على انتمائنا.. لكن ليس هؤلاء فقط.. فهناك الفلسطيني المناضل والعامل الذي يسأل أين فلسطين في أعمال ساميه حلبي، ولهم فقط تقول إنها تطمح أن تكون فنانة باحثة على المستوى العالمي في مضمار الفنون التشكيلية، ومن الناحية الأخرى تقوم بإنجاز رسومات سياسية تتوافق مع معتقداتها ومعتقدات الذين تتفق معهم.!! أي بمفهوم أوضح أدق تحاول التعبير عن انتمائها للطبقة العاملة وفلسفتها وتاريخها.

هكذا اتسعت مساحات الضوء والوضوح بيننا وتلاطمت أمواج أفكارنا لتلتقي حينا فتشكل كماً هائلاً من الزخم الجدلي حتى تتحول إلى هدير يحمل في أمنياته قوة تدفع نحو الثورة.. وحين آخر تغوص تحت سطح المحيطات تستجلي الحقيقة والواقع الذي ينبئنا بألف معاناة تتربص بالمجتمع الإنساني وبالإنسان العربي خاصة.

جاء هذا اللقاء مع الفنانة الفلسطينية سامية اسعد حلبي ابنة مدينة القدس العربية التي ولدت فيها يوم 1936/12/12. كان والدها يعمل في التجارة فاضطر إلى الانتقال للسكن في يافا، وحين وقعت كارثة فلسطين نزحت العائلة إلى سوق الطويل في بيروت، عاد بعدها الوالد إلى فلسطين حيث كان أحد عناصر الحركة الوطنية، وبعد أن عاد إلى بيروت استقرت العائلة هناك خمس سنوات، من ثم هاجرت إلى أمريكا. درست ساميه حلبي الفنون التشكيلية في عدة معاهد وكليات كان آخرها جامعة " Indian University" التي تخرجت منها سنة

1963. بعد ذلك زاولت مهنة التدريس في عدة معاهد حتى عادت للجامعة التي تخرجت منها لتساهم في تنشئة أجيال جديدة من الفنانين. هناك التقت بالعديد من الطلبة العرب والفلسطينيين فأقامت معهم عدة نشاطات وفعاليات سياسية وتطوعية لدعم الثورةالفلسطينية أبان الاجتياح الإسرائيلي للبنان، ولا زالت تقوم بهذا الدور إلى اليوم. كما أنها تمتلك مرسماً خاصاً وتعمل في مجالات الفنون التشكيلية بشكل دؤوب ومثابر ولها عدد كبير من الأعمال داخل أروقة المتاحف الأمريكية. هناك معضلة قاسية تواجه الفنان التشكيلي غير الأمريكي. إذ أنهم يحاولون التعتيم على الغرباء بكافة الوسائل على عكس ما يحدث في المجال التكنولوجي، ففي هذا المجال يصل عدد الخبراء والعلماء العرب والأجانب إلى نسبة 40%، وأمريكا تتيح لهم ذلك برحابة صدر لأنهم يمضون حياتهم في الظل ولا يظهرون على الملأ ولا أحد يعرف أن هذا الإنتاج الضخم نتيجة دأب وعمل أناس غرباء.!! "أما عندما يقوم هنالك معرض لي أو لغرباء آخرين فأنهم سيضطرون للإلتقاء بنا شخصياً وبوجوهنا الشرقية وهذا ما لا تريده أمريكا".. أنهم يبحثون عن الوجه الأمريكي والأنجلوسكسوني لا عن الوجه الإبداعي الفلسطيني والعربي. أما داخل أروقة المتاحف فهناك طبقة من المثقفين التي تتعامل مع الإبداع بشكل موضوعي وهي إلى حد ما لا تنتمي إلى تلك المؤسسات المرتبطة بالرأسمال الأمريكي والسلطة. لا تعاني ساميه حلبي من تشوش في الرؤية الشمولية لواقع الإمبريالية العالمية، فالرأسمالية تنجح في تغليف نواياها كما هنا في إسرائيل أيضاً، فأنهم أقاموا متحف للفن الإسلامي وهناك في أمريكا أقاموا متحف للفنون الأفريقية، ليس محبة بهذه الفنون ومصادرها إنما من اجل أهداف أخرى غير معلنة!

للفنانة سامية حلبي العديد من الدراسات حول الفن التشكيلي في الوطن العربي وخاصة عن تجربة الفن التشكيلي الفلسطيني. وفي الآونة الأخيرة أقيم لها عدة معارض في عواصم العالم العربي. أن معظم أعمالها تنتمي إلى المدرسة التجريدية لأنها تحب هذا الأسلوب، كما

أنها درست التاريخ الإنساني فأكتشف أن التجريد ينتمي إلى الطبقة العاملة، والى الذين ينتمون لها ويحترمون فكرها الأيديولوجي، وحين نعود لنبحث عن أصول التجريد نجده قد انتصر مع انتصار الثورة الاشتراكية وكبر من خلالها، وكل شيء تقدمي في الفنون التشكيلية كان في المائة وخمسين سنة الماضية جاء من خلال الطبقة العاملة ومعها.. فعندما تتحرك الطبقة العاملة وترفع رأسها فان كل شيء يرتفع ويتحرك معها.!! والرسامة حلبي تملك الحقيقة التي تثبت أن التجريد في الفن التشكيلي حركة تقدمية ولدت من صميم الحركة الثورية والفكر الثوري. فلقد صرفت أمريكا الملايين تلو الملايين لتثبت للعالم أن التجريد هو إبداع أمريكي.. بيد أن الرسامين السوفييت هم الذين أبدعوا في مجال التجريد ومنهم راتشينكوا وموبفيتش، والملفت للنظر أن للمرأة السوفيتية أتيحت فرصة خوض هذا الحقل من الإبداع والنجاح فيه، في حين قبعت المرأة في المجتمع الرأسمالي داخل أسوار العرض الاستهلاكي.

من أعمال الفنانة سامية حلبي

قد بدأت ساميه أعمالها ببناء رموز وأعمال مأخوذة من الطبيعة وتصويرها داخل المرسم. من ثم رسمت أشكالاً وقطعًا من البيئة والمواد الخام القائمة في الطبيعة والتي اعتمدت فيها على البساطة والعفوية. تمتلك الفنانة دقة متناهية في الرسم وتقنية فاقت في حركة الأداء وتماوج اللون ومساحات الضوء، وتعتبر أعمالها في مرحلة المساحات اللونية الطولانية استمرارًا لفن الزخرفة العربية. في أعمالها صراع قائم على الرمزية ما بين الضوء والكتلة، تنجزه من خلال خلط ومزج العديد من الألوان الزيتية لتأتي اللوحة بشكل منسجم خلاق. وفي لوحة حملت اسم "النار".. يتعالى فيها اللون الأحمر على قصب من الأبيض المتموج في تركيبة ألوان مدهشة. تصل مساحة أعمالها إلى200/200 سم، وهي ترى بذلك إمكانية دخول المتلقي إلى رحاب اللوحة ومساماتها. لقد عرضت أمامي الفنانة العديد من الأعمال بواسطة السلايدات " Slide's".

انتقلت سامية حلبي بأعمالها لتتناول عدة موضوعات في مراحل متعددة تتعلق بالموضوع وكان من بين هذه الموضوعات: القدس، الصحراء، شوارع الباعة الفقراء، أوراق الخريف، والكثير من الموضوعات السياسية، كل ذلك في جدلية متحركة من البقع اللونية والضوئية المحكمة الاتقاء والأداء والبعيدة كل البعد عن العشوائية والعفوية البدائية التي يمتاز بها أصحاب النزعة الحديثة فيما يسمى ما بعد الحداثة. هناك أعمال مرتبطة بشكل وثيق بالقضية الفلسطينية في لوحة صنعت خصيصاً لتشارك في مسيرة تضامنية تحمل عنوان "فلسطين ألان" وعمل آخر لإحياء ذكرى غسان كنفاني، ولوحة عن مجزرة تل الزعتر تتشكل من مساحة لونية حمراء تحيط بمساحة مخضرة اللون كتب عليها كلام الفلسطينيين الذي عايشوا المجزرة وتنتهي اللوحة بعبارة كتبتها امرأة عادية تقول **"مقابل كل صفيحة ماء للشرب دفعنا صفيحة من الدم."**

عن مجموعة "مجزرة كفر قاسم" من أعمال الفنانة سامية حلبي

في أحد الأعمال لفت انتباهي رقم يحمل العدد 480 وكان ذلك الرقم التسلسلي للوحة، فسامية مُجدة غزيرة الإنتاج وهذه الأرقام للوحات الكبيرة عدا عن المئات من الأعمال الصغيرة أيضاً. استغرق اللقاء بها خمس ساعات ولم ينتهي ما أردنا أن ننجزه فاتفقنا أن يستمر الحوار فيما بيننا بواسطة المراسلة من اجل إثراء ودفع مسيرة الفن التشكيلي الفلسطيني وافترقنا على أمل أن يكون لنا لقاء آخر خلال الصيف المقبل.

روافد شعاع يكمل القصيدة

كنتُ كتبتُ منذ أوائل هذا العام مقالة هنا، حملت عنوان "روافد ضوء من حوار جاء كما القصيدة مع الفنانة ساميه حلبي". وإذ بهذا الضوء يغدوا حزمة شعاع متجدد، يحمل

الإصرار على تبادل الخبرة وتعميق الصداقة فيما بيننا. وساميه حلبي، لمن فاته ذلك، رسامة فلسطينية ولدت في القدس أمضت بضع سنوات في يافا، إلى أن حل الهجيج بشعبنا إبان وقوع الكارثة.. فوصلت العائلة إلى لبنان، وبعد أربع سنوات هاجرت إلى أمريكا.

ساميه حلبي، رسامة لها حضورها وتميزها الفني.. وفوق ذلك فإنها تعتمر بالماركسية لحد الإشباع، وكأنها جبلت من طينتها. أنها نموذج يعيش من خلال هذا الفكر الإنساني المتقد. وقد أدركت بوعي تام، كيفية صياغة موقفها السياسي والوطني من خلال ما تقدمه، لخدمة قضيتها القومية، الإنسانية، والطبقية، ذلك بواسطة الأعمال الفنية التي تحتاجها الحركة الشعبية والسياسية هناك. كما أدركت أيضاً، كيفية بناء اللوحة كقطعة إبداع تولد من تراكم الوعي، وزخم التجربة الفنية المعتمدة والمستمدة قوة اندفاعها، من حركة الفنون التشكيلية التقدمية التحررية في العالم، والتي تزعمتها الحركة التشكيلية السوفيتية وآخرون أمثال الفنان المكسيكي ريفيرا، صاحب الجداريات الملحمية المعلقة.

سامية حلبي، منذ أكثر من سنتين، تجتهد لوضع دراسة عن "فن المقاومة الفلسطينية"، وقد عمدت الوصول إلى كافة مصادر ومنابع التواجد الفلسطيني. هنا مع من تشبثوا في الأرض ألام، وهنا مع من استماتوا من اجل البقاء في الأرض الفلسطينية المحتلة والمحرر منها، وهناك في لبنان والأردن، وأيضاً مع أولئك المتناثرين في بقاع الدنيا. إنها تجِد لتجمع كافة المعلومات التاريخية، التي سطرها شعبنا ببقائه وصموده الأسطوري، في زمن أقل ما يقال فيه أنه "زمن الرجعية والإمبريالية العالمية."

جاءت سامية للمرة الثانية.. لتجمع ما تصل إليه من وثائق ومستندات أصلية، عن فرسان الفن التشكيلي الفلسطيني، أولئك الذين ساهموا في مقاومة الجهل والظلم والقهر الصهيوني، بأدوات أولية تعتمد على الذات واللون والإزميل. فكان من بين الذين التقت بهم هذه المرة، الفنان خليل ريان، وقد محورت لقاءها معه في رحاب أعماله اللونية، مستثنية، سهواً، تلك الأعمال النحتية الرائعة التي أبدعها خليل.

التقيتها محملة بإصرار الإنسان الفلسطيني.. وبعض الكتب القيمة، منها كتاب تسجيلي موثق باللوحات، عن مسيرة 72 فنان وفنانة تشكيليين، أكثرهم من أبناء شعبنا الفلسطيني، انه عمل رائع تفتقر مكتبتنا العربية له. إذ انه صادر بشكل أنيق على ورق مصقول لامع، بطباعة وتصاوير مميزة تضاهي ما يقابله في المكتبة الغربية. هكذا حوّلت، كل ما في جعبتي من مواد مصورة ومكتوبة عن الفنانين هنا وهناك، لتصرف سامية حلبي، كما أضفت أسماء أخرى لتلك الأسماء الموجودة معها.. وتركت لها حرية الانتقاء والاختيار.

استحوذ اللقاء على زمن امتد لساعات، ما بين صمت مستمتع في فضاء الأعمال والموجودات، وما بين مداخلات ونقاش، بعضه متضارب شيئاً ومتقارب حد التطابق في معظمه.!! أما في اليوم الثاني فقد أضيف لذلك جولة ميدانية كان عمادها اللقاء مع الفنان أسامه سعيد. بيد انه في الحالتين كان للسؤال موقعه كأداة لسبر أغوار أخرى، حول أعمال عديدة وأسماء متعددة نعرفها أو نعرف عنها.

هي وعشرات اللوحات والأعمال المبعثرة حولها.. تستعمل آلة التصوير هنا، وتستفسر عن تلك اللوحة هناك. واستمراراً لحديث سابق بيننا، تناولت لوحة أنجزتها بقلم الحبر الهندسي،

بقياس 80/70 سم، كانت قد ولدت بمناسبة مرور عام على رحيل الكاتب أميل حبيبي، حملت عنوان "أميل - الكاتب والإنسان." تداخلت في هذه اللوحة الملامح الشخصية لطيب الذكر مع عدد من أغلفة رواياته! أصرت سامية على اقتنائها، فصارت لها، لتصبح ثالث لوحة تفارقني بيعاً.

أعود لأتذكر ذاك الوجه الذي رسمت فيه ثلاث لوحات، دون أن تقوم بيننا علاقة صداقة ومعرفة مباشرة.. الأولى قدمتها له كهدية يوم اختتام أعمال المؤتمر التاسع عشر لحزبنا الشيوعي، وقد روت لي أم سلام زوجته في لقاء عابر، انه احتفظ بها بغرفة نومه حتى آخر أيامه. والثانية عرضت في المعرض الثنائي الأول سنة 1980, لتحمل عنوان " زيتونة عمرها ألف عام". والأخيرة، هذه التي سافرت إلى ما وراء البحار.

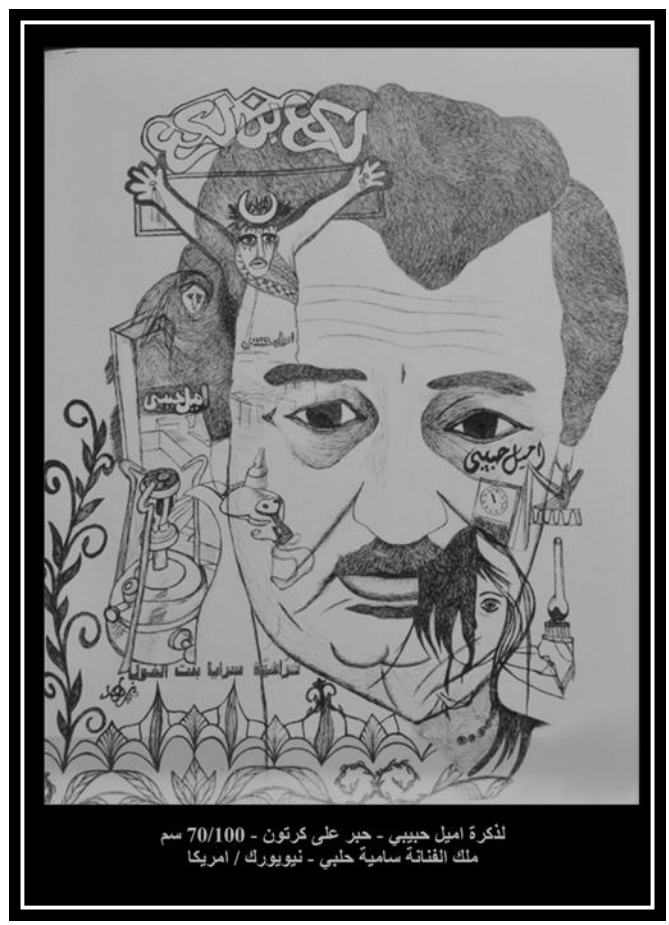

لذكرة اميل حبيبي - حبر على كرتون - 70/100 سم
ملك الفنانة سامية حلبي - نيويورك / امريكا

تولد القطعة الفنية عبر أناملنا.. فإما تعيش معنا، وإما تفارقنا موتاً أو سفر.!! وفي السفر تحكي قصتها العيون التي تلتقيها.. ولا يبقى لنا منها سوى ظلالها وملامحها في الذهن، وطعم سعادة واشتياق.

قريبًا ستصدر الطبعة الأولى من دراسة سامية حلبي، "فن المقاومة الفلسطينية" باللغة الإنجليزية، وتعمل سامية على وضع أجزاء منها على شبكة الانترنت، خاصة الأجزاء التي تتعلق بالمتميزين من الفنانين ونماذج من أعمالهم. وقد عرضت أمامي ما أعدته عن الفنان عبد التمام، ابن كفر قاسم، هذا المتسربل بالمأساة والفاجعة.. وعباءة لوحاته معبئة بكل إيحاءات الصمود والإصرار، رغم تخضبها بدماء الشهداء الأبرار.

من أعمال الفنانة سامية حلبي

سامية حلبي تملك من العمر 63 عاماً.. مكنونها الخبرة والقناعات. وهي ما زالت تحتفظ بحيوية ونشاط ملحوظ.. فإلى مزيد من العطاء والإبداع، والى روافد نور آت، في الزمن الآتي.. أمام ضوء الشمس!!

سامية حلبي.. رحالة الهموم الفلسطينية

إنسانة في الخامسة والستين من العمر.. تجتمع فيها حيوية السنين والإصرار والعقيدة الثابتة بعدالة قضية شعبها الفلسطيني. هذا الوجع الذي توالد ترحالها الأول فيه قصراً، كمعظم أبناء هذا الشعب، يوم نزوحها وهي بعد في مقتبل العمر، على أيدي جلاوزة أخر القرون وأخر معاقل الاستعمار الكولونيالي المدجج بدوافع البذخ الامبريالي فكراً وممارسة.!! إلا أنها وبعد مضي هذا العمر الطويل.. اعتنقت حقها في الدفاع عن فلسطين، أرضا وشعباً وحضارة وفناً، وخاصة في بحر الفنون التشكيلية الفلسطينية، فأخذت توثق تاريخ هذه الحركة وتقيم الصلة والتواصل بين أبناء فلسطين، وأبناء العالم من الطبقات الشعبية الباحثة عن غد ومستقبل أفضل للكل البشر.

ليس مهماً متى بدأت رحلة التعارف والصداقة بيننا، فكأني بها على مودة منذ ألف عام، وهي كذلك، ما أن تأتي إلى ارض فلسطين الممزقة ما بين هنا وهناك، إلا ويكون لنا نصيب في اللقاء، فما بين حزيران الماضي وحزيران القافل أبوابه قبل أيام، تثلث اللقاء بيننا. ففي حزيران 2002 جاءت سامية حلبي الرسامة الفلسطينية المغتربة في نيويورك، منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضي.. جاءت على رأس مجموعة من بسطاء الناس، أبناء الأحياء المتواضعة في ضواحي نيويورك، منهم شعراء وفنانين تشكيليين وموسيقيين ومسرحيين وأناس عاديين، ليتعرفوا عن كثب على مأساة الشعب الفلسطيني وليدركوا بالحس والإحساس ما تقترفه آلة الحرب

الصهيونية بدعم من رئيسة العالم الحر.. كان نصيب اللقاء بيننا إن جاءت وبرفقتها شاعرة أمريكية أصيلة، من أولئك الذين عانوا من شغف التفرقة العنصرية وما يزالون، من أبناء السود هناك الموازون للسود هنا.. لونًا واضطهادًا وتمزقًا، والمثابرون بقاءً ونضالاً بوجه غُلاة القمع والاستبداد.!!

هكذا اعتادت سامية أن تحمل في ترحالها ما بين وطن أجبرت أن تعيش فيه، ووطن أجبرت أن تنزح عنه، قصة التحدي عقدة وعقيدة! فأثرت أن تطرق كل الأبواب التي يمكن أن توسع دائرة الوعي الإنساني بمصداقية وشرعية المطلب الفلسطيني، بالحياة والحرية والاستقلال.. وفي سياق كل محاولة من محاولاتها احتل موضوع الفن التشكيلي الفلسطيني حيز أساسي لا ينافسه في أهميته سو مدى ارتباطه بقضية هذا الشعب وانتصاره.

روت لي سامية في ذاك اللقاء عن أهمية تعريف الإنسان الأمريكي العادي بحال الشعب الفلسطيني، وعن قرب! كي نتمكن من خلاله في تغيير الصورة التي تبثها أجهزة الامبريالية الأمريكية والحركة الصهيونية، من افتراءات وأكاذيب وإجهاض محاولاتها لربض القضية الفلسطينية بالإرهاب.!! وكان ما تقوم به أمريكا وإسرائيل ليس إرهابا ؟!

جاء اللقاء الثاني بيننا أيام تشرين الماضي، جاءت محملة بهموم جديدة من هموم توثيق البقاء الفلسطيني، على عاتقها وكاهلها حملت مجموعة من رواد متحف art car القائم في هيوستن من ولاية تكساس. هذا المتحف المتسم بطابع إنساني متميز، انتماءًا وتمويلاً، فانتماؤه يساري صاف، يعتمد أيديولوجيا الاشتراكية العلمية وأبعادها الفلسفية المستقاة من التجربة التاريخية وماديتها الجدلية المنبثقة من الماركسية على مر تاريخها الفكري.. وتمويله يعتمد على ما

يقدمه أبناء المنطقة من اليساريين العمال والمثقفين من دعم مادي دون أي مساعدة من أية مؤسسات حكومية أمريكية أو شركات احتكارية. ترأس المجموعة جيمس هاراثيرس رئيس المتحف وكانز المعرض الذي جاءوا من اجل جمع لوحاته، وهو معرض حمل عنوان "صنع في فلسطين" أقيم في المتحف المذكور ما بين آذار وتشرين ثاني لعام 2003.. وقد جمع الأعمال على مدى صلتها وتفاعلها مع أدوات الفن المعاصر البعيد عن رؤية ما بعد الحداثة. إضافة لجيمس جاء أيضًا ثلاثة شبان واحد يعمل كمساعد أول لجيمس في المتحف، اخذ يُدوّن كل ما يجري في اللقاءات المتكررة مع الفنانين والأماكن وارتباط ذلك بالقضية الفلسطينية ومأساة التهجير والتشتت. أما جاكسون كرايبيد فكان العامل الأول في إذاعة محلية تبث الإنتاجات الثقافية الشعبية بمنطقة هيوستن. وتلتقي مع الجماهير هناك من خلال تحديد وجهة النظر الإنسانية الفاعلة من اجل تحرر الإنسان وحريته في العقيدة والحياة.. أما الأخير فكان تيكس كيرشين عامل مساعد إضافي لرئيس المتحف.

وفي ذاك اللقاء أيضًا لمع دور سامية كإنسانة تحمل هموم فلسطين على كاهلها، بدأت تعمل بجهد للاستفادة بأكبر قدر من اللقاءات مع الفنانين الفلسطينيين هنا، وقد عملت إلى جانبها واضعاً كل إمكانياتي وقدراتي واتصالاتي في خدمة هذا المشروع الرائد.. فأحضرت أعمالاً من الناصرة لكل من سيسيل كاحلي وجمينة حبيبي قندلفت، إضافة إلى زيارة الزميلة جمانة عبود والاطلاع على أعمالها. كما دعوت داود حايك وخليل ريان ومروان أبو الهيجا للقاء في اليوم التالي، حضر من حضر وتعذر من تعذر.. إلا أن مجموعة من الأعمال تجمعت في بيتي لتلتقي معهم.. من ثم اصطحبت الوفد بجولة امتدت ما بين بلدة الجيش في الشمال وكفر قاسم في الجنوب.. ذهبنا إلى مرفت عيسى والتقى الوفد وبمساعدة سامية طوال الوقت، حيث كانت همزة الوصل الأكثر صدقاً وأكثر تحيزاً للقضية الفلسطينية، بشكل خاص والفن التشكيلي بوجه عام، وعرفت كيف تصنع الأحداث والرؤية بما تحمله في ذاتها من معرفة ووعي عارم بالّهم

الفلسطيني وأبعاده التاريخية والإنسانية.. وفي اليوم التالي امتد اللقاء ما بين مرسم الأستاذ عبد عابدي على مشارف طلعة الجبل في حيفا وبيت الفنان أشرف فواخرة.. ليستمر إلى ما بعد ذلك في لقاء مطول مع قصة المجزرة في إحدى صورها الحية.. كما رواها الأستاذ الفنان عبد التمام طه، حين استضافنا في بيته وتحدث مطولاً أمام آلة التسجيل بالصوت والصورة. وقد حمل الوفد عدداً من اللوحات المصورة التي أنتجها الفنان عبد التمام والمتعلقة بصورة متميزة بمجزرة كفر قاسم. غادر الوفد إلى القدس وكان الوقت يقترب من منتصف الليل، وسامية بكل ما تحمل من عزم وقدرة، بقيت مؤمنة في حمل عبق ثرى هذا الوطن الباقي بقاء التاريخ والإنسان، وما له علاقة بمشرع المعرض المنوي أقامته في متحف art car في هيوستن، وذلك ليس بداية المطاف، فقد ابتدأت الجولة من ربوع الشام ولقاء شيخ الفنانين الفلسطينيين الراحل مصطفى الحلاج وعدد آخر من الفلسطينيين هناك، وبعدها إلى الأردن وزيارة الأستاذ الكبير الفنان إسماعيل شموط والفنانة القديرة تمام الأكحل ومجموعة من فناني فلسطين هناك.. وتعبر جسر العودة قادمة إلى فلسطين لتلتقي والكثير من أبناء شعبنا ما بين غزة ورام الله ونابلس والقدس.. هكذا لتكون أخر محطاتها ارض الجليل.. ويقرر جيمس أن ما ينفعه لأجل المعرض في هيوستن هي مجموعة من أعمال الزميلة مرفت عيسى والزميل أشرف فواخرة. وهكذا اتمم بمساعدة سامية تزويدهم بالمعلومات لأجل شحن الأعمال عن طريق فريق فلسطيني يعمل مع شركة دولية للنقل والسفر.

ومع إقفال حزيران الأخير أبوابه جاءت سامية حلبي مرة أخرى.. جاءت لوحدها محملة بأخر ثمار جهدها وعطائها الوطني، وهو كتاب حمل عنوان "فن المقاومة الفلسطيني" liberation art of Palestine دراسة قامت بوضعها الفنانة سامية حلبي، حيث عملت عليها بجهد متواصل من سنة 1999.. ضم الكتاب وجهة النظر الثورية في تطور حركة الفنون التشكيلية، وتأثر الحركة التشكيلية الفلسطينية بالثورة والمقاومة الفلسطينية، وتأثير الثورة

والمقاومة على الحركة التشكيلية وتزويدها برموز وأدوات تشكيلية تخص الفن الفلسطيني ومسيرته المميزة.

جاءت سامية وكان اللقاء حميمياً، واتصلت ببعض الزملاء، ولم يحضر منهم سوى خليل ريان ومروان أبو الهيجا.. إلا انه كان هناك لدى سامية مفاجأة ككل المرات السابقة، فدعت د. مصلح كناعنة لنعقد جلسة ثلاثية حول مشروع له بعد ثقافي وحضاري، ومدلول علمي له صلة وثيقة بمستقبل شعبنا الفلسطيني.. إلا أن الوقت لم يحن بعد للإفصاح عن حيثياته.! كان اللقاء ودوداً رغم انه أول تعارف بيننا والدكتور مصلح كناعنه.. فمتى التقت الأهداف العليا لضمير إنساني حيّ التقت المشاعرو الأحاسيس أيضًا.

جاءت سامية حلبي محملة بكثير من الآمال والتمني لغدٍ أفضل، وأعمال مشتركة في المستقبل القريب، وغادرت محملة بعبق الأرض والأماني لما في هذا الوطن من حلم للحرية والاستقلال وزوال الاحتلال.. ترحالها الدائم هذا صلة تتجدد مع الأيام كتواصل الحياة بالحياة، وعهد على المضي إلى الغد الآتي من اجل قضيتنا الإنسانية والوطنية.. وألواننا التشكيلية في كل إبعادها ومسامات تنفسها المحلي والعالمي.. دون السقوط في متاهات تقارب الحضارات وتفاعل الثقافات، ما بين القاتل والضحية.. ما بين السيد والعبد!! فالعقيدة ثابتة والتواصل مستمر، إلى أن تبزغ شمس الشعوب وتحرر البشرية، كل البشرية وعلى رأسها شعبنا الفلسطيني.

صحيفة "الاتحاد" الحيفاوية 25.07.2003

من اعمال سامية حلبي، لافتة حُملت اثناء مظاهرة سياسية في نيويورك

زيتون فلسطين يستصرخ أرجاء الدنيا

حول زيارة وفد الجمعية العالمية "فنانون ضد الاحتلال"

وتضامنهم مع الشعب الفلسطيني.. ارضاً وزيتوناً وقضية

للغربة فعل السحر في مشاعرنا.. يتحول العمر على مشارفها إلى أشواق طفل لا تؤثر به السنوات ولا تغيره الأيام. ربما هناك من استطاعت الحياة أن تشدهم إلى تلابيبها المتسارعة في لجة الغياب والحضور.!! إلا أن من يولد على ضفاف الغربة القصرية في استلاب الوطن، واستنشق بعض الرؤية في ترابه وعبق العمر الهارب منه، واجتاحته رياح الموت والتشرد في

بيت وبلاد وسماء ليست له.. يبقي كزيتونة فلسطين الخالدة، تلك القابضة على التراب، من أكثر من 3000 سنة هناك.. على سفح رامة الجليل!! أنا لا أملك سوى صوتي لأحمل هذا الحزن النوستالجي لأيام ربما تعود.

الفنانة ساميه حلبي.. زيتونة الشوق الفلسطيني تلتقي بزيتونة ارض الرامة من أعمال الجليل.. فالأخيرة لها عمر يمتد في غياهب الزمن والتاريخ.. وساميه لها شوق يمتد في عروق الوطن.! فهي التي تأتي كل عام بلون جديد، تحمل فلسطين في رئتيها وتطوف بمن معها بأكثر من مكان، ففيما مضى من السنوات الخمس، كانت تفاجئني كل عام بزيارة ذات مدلول آخر، الهم الوحيد فيه وله.. هو فلسطين، تاريخاً وأرضًا وقضية. وفي هذا العام أيضًا، في النصف الأول من تشرين الأول يأتي صوتها برائحة القدس العربية ليقول لي.. زاهد نحن في فلسطين!!

أهلاً صديقتي الغالية.. أهلاً برائحة الوطن، أهلاً بمن تؤكد مقولة دونتها في "كتاب الياسمين" تقول: "أن الوطن يحمل في ثناياه رائحة الأرض والإنسان.. إلا أن الإنسان، الإنسان فقط، هو الذي يحمل رائحة الوطن!!" وقد ولدت هذه الكلمات من بين جفون أمي، التي وطأة ووالدي ارض فلسطين منذ أيار 1946، ولا زالت إلى اليوم، ومع بلوغها سنوات الثمانين من العمر، تتحدث عن حماة والعاصي وارض سوريا، وطنها الأم.!! لاستنشق من عبق أنفاسها عبق التاريخ العريق، لوجه هو "وجه أمي وجه أمتي.." وأنت هكذا أيتها الفنانة العريقة، يا عبق ارض فلسطين، يا زيتونتها المعتقة الأغصان والتراب، أنت هكذا، رغم سنوات التهجير والاغتراب، رغم الشوق الممتد في عمق العيون والأهداب، أنت يا ساميه حلبي.. وفاء العشق الأزلي لوطن يعيش فيك، أكثر ممن يعيشون في هذا الوطن!

من أين جاءوا

الوجدان البشري.. صفة إنسانية تعطي ألقيمه المثلى لأخلاقيات الناس، وتعمق قيم الإحساس المميز فيهم.. هذا الوجدان هو الذي خلق حالة من الرفض.. رفض موبقات التصرف الحيواني في الإنسان، ذلك الذي قال عنه شاعر الهند العظيم.. طاغور "يصبح الإنسان أكثر حيوانية من الحيوان.. عندما يكون حيواناً." من هنا جاء رفضهم لممارسات الاحتلال، فأقاموا جمعية "فنانين ضد الاحتلال "ينتمي إليها شعراء وأدباء ومفكرون وفنانون من كل بقاع الدنيا، كان أكثرهم هذه المرة من اليابان، التي أقيم فيها ما بين 9 وال 20 من آذار العام الجاري.. معرضاً للفنون التشكيلية تحت عنوان "أوقفوا الجدار"Stop The Wall.. حيث نظمه وأشرف عليه الفنانتين اليابانيتين يوكو تكازاووا ومزوكو ياكووا.. وقد شاركن بأعمالهن فيه أيضًا.

فعلى أثر هذا النداء الإنساني، ضد موبقات الاحتلال وجرائمه على أرض فلسطين، شارك في هذا الوفد ستة من المبدعين اليابانيي، 3 رسامات، شاعر، شاعرة، وكاتبة.. إضافة إلى الفنانة اليهودية الكندية فريدا، وممثلة مسرحية من فيلادلفيا تدعى ايدا.. كما شارك معهم الرسام البرولوتاري المكسيكي اريستو مولينا.. وفي مقدمتهم جميعاً جاءت دوحة فلسطين، الفنانة العريقة سامية حلبي، المقيمة في نيويورك الأمريكية منذ السنوات الأولى للنكبة.. كلهم جاءوا من اجل التضامن مع زيتون فلسطين، جاءوا للتعبير عن رفضهم لما يقوم به الاحتلال من جرائم ضد الإنسان والطبيعة، ضد جرائم اقتلاع الزيتون!! وضد جدار القمع والتمزيق، الذي يقطع أجزاء الوطن والواحد، والبيت الواحد، والجسد الواحد!!

وسط الدمار والغبار

إن أعضاء هذا الوفد المتضامن مع فلسطين أرضًا وشعباً وزيتوناً وقضية.. لم يأتِ من خلال مؤسسات أو هيئات دولية، ولا تدعمه ماليا أو معنويا إحدى شركات النقد الدولي في أي مكان في العالم، هم أناس لا يملكون سوى إيمانهم بعدالة قضية الإنسان، وحرية الإنسان. هم ضد الحرب والاحتلال والعدمية.. جاءوا بمحض إرادتهم بما يملكون من مال وعقيدة، حطت رحالهم في ربوع القدس العربية، ومن هناك بدأت انطلاقتهم إلى ارض فلسطين.. كل فلسطين!!

في رام الله، في بيت لحم، في قلقيليا، في نابلس، في جنين، في الخليل.. وأيضًا وأيضًا في الجليل!! هناك وسط الدمار والغبار عاشوا الواقع وعايشوه، عبر حواجز الإذلال العنصري الصهيوني البشع، وعبر الإغلاق المقيت، وأطفالا يركضون خلف كل شيء من اجل الحصول على بضع قروش.. علهم يسدون رمقهم وجوع أحبتهم.!! التقوا هناك بجمعيات فلسطينية وفنانين فلسطينيين.. عملوا مع الجميع يداً بيد، في موسم الزيتون وعرس الزيتون، رغم انف الاحتلال!

قام أعضاء الوفد من اليابانيين بورشة عمل في بيت لحم.. صنعوا من أوراق وجذوع الزيتون، الذي اقتلعته أجهزة الدمار الإسرائيلي، ورق سميك للرسم. قصوا هذه الأطباق الورقية بحجم بطاقات المراسلة، ووزعوها على كل من وصلوا إليه، ولمن سيصلون إليه بالمستقبل!! ليرسم عليه كل واحد ما أراد.. ويعيده إلى عنوان الفنانة اليابانية كازاكو تاجاما!! حيث سيتم جمعها تحت عنوان "من بقايا الزيتون الفلسطيني الذي قتلته قوات الاحتلال،" وسيتم عرض هذه البطاقات في معرض خاص، تحت شعار عنوان المعرض، ستباع هذه البطاقات ويرصد ريعها لدعم أطفال فلسطين!

في شفاعمرو البداية..

جاء صوت ساميه حلبي من فضاء القدس الملوث برائحة البارود والرصاص.. إلا انه ظل صوتًا صافيًا بالحب والعشق الأزلي لفلسطين. جاء ليقول لي أنهم قادمون إلى زيارتي وزيارة الجليل ليوم واحد، فأصريت أن تكون الزيارة ليومين على الأقل. وافق أعضاء الوفد، ووصلوا ربوع هذا الوطن في صباح الأحد 24 من تشرين الأول، فضاقت الدنيا على فرحي حين استقبلتهم في بيتي الصغير!!

هنا علي أن اقر بتعاون وتجاوب الإخوة طاقم العاملين في مركز مساواة في حيفا.. إذ لبوا دعوتي لاستقبال الوفد ولتغطية جزءاً من مصاريف استضافته!! فكان لهذه المساهمة دفع ذات بعد قوي، ساعدني على تنفيذ برنامج حافل باللقاءات والعلاقات الإنسانية، ما بين أعضاء الوفد الضيف وابنا هذا الوطن الحبيب، من قادة وتشكيليين ومسرحيين وكتاب وأصدقاء، ممن تربطني بهم علاقة ود منذ سنوات!! تحول اللقاء الذي كان عبارة عن زيارة ودية.. وجولة متواضعة في ربوع الجليل، إلى زيارة تضامنية، ما بين وفد يناضل من اجل إحقاق الحقوق الوطنية والشرعية للشعب الفلسطيني، وبين أبناء هذا الوطن الباقين والراسخين فيه، بقاء الزيتون والصبار وشمس النهار!! جاءوا ليتضامنوا مع زيتون فلسطين، فإذ بتلك الزيارة الخاطفة إلى ارض الجليل، تصبح امتدادًا لرحلة التضامن مع فلسطين شعبًا وأرضًا وزيتونًا وقضية.!! وكانت نائبة مدير مركز مساواة رانية لحام أول من التقى بهم، كما تواجد أيضًا إلى جانبي صديقي الرسام مروان أبو الهيجا.

هؤلاء الذين جاءوا اليوم، عاشوا تحت وطء الدمار والغبار، على ارض يعيث فيها الاحتلال قتلا وتشريداً!! إضافة إلى حرمانهم، أسوة بأبناء شعبنا هناك، من ابسط حقوق الحياة في

العيش باطمئنان وسكينه. بعد أن تركوا أعزاءهم من اجل التضامن مع أعزائنا، إلا يحق لهم أن نكرمهم؟ على هذه الأرض التي عرفت دوما كيف تكرم الغرباء؟! لأنها ارض الحياة والعطاء؟ ارض الزيتون والصبار وكل الأنبياء؟! أهلاً بكم أخوتنا في الفكر وأخوة الشعوب.. أهلاً بكم على ارض وطننا الباقي بقاء الأزل. والى أن تشرق شمس الحرية فوق ثرة فلسطين السليبة.. سيبقى تضامنكم مع نضالنا، تضامنا أممياً يشد من أزرنا، ويوثق خطواتنا وإيماننا بالثورة ألحقه وسلام الشعوب!

لقاء الزيتون بالزيتون

هناك، هنا!! على ارض رامة الجليل.. بمحاذاة طريق صفد، تتربع دوحة زيتون لها من العمر أكثر من 3 آلاف سنة! وهذه العريقة في حب فلسطين، الفنانة المناضلة ساميه حلبي.. زيتونة العطاء المستمر، في لقائهما، يلتقي الزيتون بالزيتون!!

وصلنا إلى هناك، ووصل معنا صديقي الطيب باسل طنوس.. يحمل عتاده على كتفيه ويشغل آلة التصوير المرئية، ليوثق بها هذا اللقاء ألحميمي ما بين الإنسان والوطن!! كان عندها أعضاء الوفد ينتشرون بين أشجار الزيتون المحاذي للطريق، كل يصور أو يلتقط ما أراد!! ربما كانوا بصمتهم ينصتون إلى أصوات الأشجار المحملة بثمار الزيت!! أو أنهم يستلهمون من صمود هذه الأرض.. مايزودهم بالتحدي ويعمق إيمانهم بعدالة من يتضامنون معهم!! أما ساميه فبقيت قريبة من دوحة الزيتون هذه.. تدخل في فراغات جذعها الضخم، تعانق أغصانها المشرئبة نحوا السماء، تلتقط لها الصور بفرح طفولي عظيم، وكأنها تلتقي بأعزاء طال فراقهم والغياب.!! آه يا صديقتي الغالية، هيهات لو تستطع الكلمات نقل لحظة عشق ثوري بين مناضلة ووطن؟!

" أعيدوني إلى الغابة إلى الغابة أعيدوني..

وبالأعشاب والسريس غطوني

إذا استشهدت بالغابة!

..... وناديني!

حوار القاتل المقتول في عصبي

يحررني من الأيام والشكوى

ويسقيني.. على مهل،

عصير الريح واللهب وتقتلني..

لأحييها فلسطيني!!"

محمود درويش

هل صرخة شاعر فلسطين في قصيدته "خلف الأسلاك" كانت معنا هناك.! أم أنها انطلقت من ارض المكان قبل زمان؟! ليتردد صداها هنا في هذا الزمان؟! أم أن عناق الزيتون هو الذي أوحى بها إليّ! لتعود كلماتها متسربة كهجرة الطيور من عمق الذاكرة.؟! لست أدرى؟ كل ما أدريه أنني كنت هناك.. مرصوداً بصمت الشوق والحنين! حين سأل الإعلامي غسان بصول الفنانة ساميه حلبي.. "- ماذا تشعرين وأنت هنا ؟؟" اتسعت مساحة الابتسام على وجهها المكلل بهالة الوقار والمشيب، لتقول بثقة أقصى من الحقيقة .."– أنا هنا في بيتي.. في ارضي.. في وطني!! في كل بقاع الدنيا أنا غربية إلا هنا ".

ونحمل الفرح طي أعماقنا ونمضي، إلى بلدة أخرى.. إلى المحطة الثالثة في هذا النهار، لنلتقي والفنان النحفاوي أسامه سعيد في مرسمه المشرف على الطريق الرئيسي، طريق عكا صفد.. لنجده في انتظارنا هناك!! ها هو أسامه سعيد يولد عبر فرشاته وألوانه من جديد، يعود إلى الحياة بفرح طفولي، إذ يكتشف مره تلو الأخرى، انه لا عمل للفنان المرهف الشعور والإحساس، سوى أن يبذل ذاته من اجل فنه!! فيعود هنا في المساحات الصغيرة الباقية، بين عشرات الأعمال والأشياء.. يقبض على فرشاته وينطلق بالعطاء، يرسخ انتماءه ورؤيته وأبعاده الذاتية، في جدلية ما بين اللون والخط، وما بين البعيد والقريب، وما بين الآتي والراحل!! وأعضاء الوفد الضيف بكل قاماتهم يدخلون إلى المكان.. يلتقون بأعماله الجديدة ويستمعون منه إلى مداخلة حول هذه الأعمال، وأبعادها اللونية والتشكيلية!! يمضي الوقت بنا.. ونرحل إلى لقاء أخر!!

لقاء على العشب الأخضر

عندما مررنا ذهابا بالقرب من البعنة، ذكرت لهم اسم محمد بكري وفيلم جنين/جنين.!! فتوترت دقات قلوبهم وارتفع ضجيجهم فرحاً.. ولم أخبرهم أننا في إيابنا سنعرج على بيته هنا.!! إلا في طريق عودتنا.. فبدئوا يستعدون لهذا اللقاء.

كان أباً صالح محمد بكري ومعه سعيد سلامه يجلسون بظل شجيرات حديقة أمام ساحة باب الدار.. والعشب الأخضر بساطاً افترشه أعضاء الوفد، ليستمعوا منه بشغف إلى قصته مع دولة الرفاه و"الديمقراطية.. "من خلال تجربته الأخيرة في فيلم "جنين جنين"!! جلست ارقبهم من بعد أنا وصديقي مقبل شوفانيه، الذي تبرع بسيارته ووقته ليقل خمسة من أعضاء الوفد في هذه الجولة الجليلية، وجلس معنا الصديق سعيد سلامه!! ولم انتبه كيف مر

بنا الوقت، إلا والفنان محمد بكري يحمل كومة من أشرطة فيلمه "جنين جنين،" ويقدمها هدية لأعضاء الوفد!! ليحملها كل منهم إلى بلده وأهله وناسه.. وثيقة عن جرائم الاحتلال وإراقة دماء أبناء الشعب الفلسطيني، تحت وطء العنجهية والتفوق العسكري.!! هنا تختلط مشاعر الحزن الشديد بالفرح الشديد.. حين تلتقي بكبار القلوب والنفوس العظيمة من أبناء هذا الشعب.. وبالمقابل تحمل وثيقة الدم الذي دفعها ولا زال يدفعها، شعب جريمته الكبرى انه يريد أن يعيش حراً، في أرضه وعلى ترابه الوطني!!

في الصورة بعض من أعضاء وفد الزيتون أمام زيتونة الرامة، زيتونة عمرها ثلاث الاف سنة

كنت في الطريق قد حدثت الذين معي من أعضاء الوفد.. عن نضال رفاقنا الشيوعيين القدامى.. وتصديهم لعمليات الاقتلاع والتهجير، خاصة في هذا الجزء الحي من ارض

الجليل، فبقي الناس في بيوتهم رغم العوز والخوف الشديد!! إلا أن الموت على ثرى هذا الوطن، تحت وطئ الجوع والتحدي، كان ارحم بما لا يقاس من التهجير والذل والنوم على عتبات الدول الشقيقة.. هنا لنا بيت وارض ووطن!

"محمد بكري" من مجموعة "الخابية، جذور فلسطين" من أعمال الكاتب

ودَع الركب الفنان الفلسطيني الطيب محمد بكري.. وسافرنا عائدين إلى شفاعمرو. فعرجناعلى معصرة دار خنيفس القائمة في كرم الزيتون ناحية سفطعادي (موقع شمالي

شفاعمرو)، والناس هنا في فرح ومودة يستقبلون ضيوفهم من أين ما جاءوا. حجر الطاحونة يدور ويطحن الزيتون ليعصر الزيت، وكاميرا باسل الطنوس تدور بعدستها حول كل شيء، إلا أنها تستمر في رصد الحالة الحية لزمن يمضي، هي حوله كأنها حجر طاحونة يطحن الأيام لنحتفظ بصورة عنها إلى غد الأيام والذكريات.

لقاء المساء

هو لقاء ود ومصافحة الأيادي التي تعودت على العطاء. من الناصرة رئيس بلديتها الوفي الصديق رامز جرايسي وعقيلته حنان، مدير مسرح الميدان المخرج فؤاد عوض، الفنان المسرحي محمد عودالله. من شفاعمرو، سكرتير الجبهة زهير كركبي، ممثل الأداء المسرحي الصامت سعيد سلامه، الرسام محمد شلبك، معلمه الفنون عزيزة ذياب صاحبة "مكان" كانت هنا أيضًا، الرسامة ميادة حليم عبود. ومن حيفا الأستاذ الفنان عبد عابدي، مدير مركز مساواة الأستاذ جعفر فرح، والأخ فوراني. كما جاء المهندس وليد كركبي والرسامة إيرينا ونجليها نديم. ومن نحف جاء الرسام الجليلي أسامه سعيد والرسام العائد حديثا من أكاديمية الفنون الجميلة في موسكو الرسام زهدي قادري، ولفيف من الأحبة أيضًا كانوا هنا.

تحدث في البداية رئيس بلدية الناصرة.. مرحباً بالضيوف ومقدراً دورهم في دعم نضال شعبنا الفلسطيني وتصديه لجرائم الاحتلال البشعة، وسرد للوفد الضيف رواية "الديمقراطية "الإسرائيلية، التي أطلقت، في هبة أكتوبر، النار على مواطنيها، وقتلت 13 عشر من أبناء هذا الوطن. وحدثهم عن ممارسات حرس الحدود والشرطة والجيش، وما ارتكبوه من جرائم في حق أبناء شعبنا.!! وعن التميز العنصري في تخصيص الميزانيات للمدن والبلدات اليهودية، بإضعاف مما تحصل عليه مثيلاتها من المدن والبلدات العربية. وتحدث أيضًا مدير مركز مساواة

الأستاذ جعفر فرح، وطرح أمام أعضاء الوفد الضيف العديد من الأمثلة عن القضايا الحقوقية، المدنية والسياسية التي يعالجها المركز.. وعن الاستحقاقات المدنية للمواطنين العرب الفلسطينيين في إسرائيل، باعتبارهم الأصحاب الأصلين لهذا الوطن ولهذا التراب.

في ربوع الناصرة

في صباح اليوم التالي.. تجول الوفد في سوق الناصرة وبعض أماكنها الأثرية والسياحية. بدءً بساحة عين العذراء مرورا بالطريق المؤدي إلى السوق ومن ثم طلعة الكازانوفا.. لم يسعفنا الوقت، فلم نستطع أن نوفي كل مكان حقه!! إلا أن شيئا ما هو أفضل من لا شيء.. فقد استغل أعضاء الوفد كل دقيقة هناك للتصوير والتعرف على ما يلتقون به!! وقد حمل بعضهم ما تمكنوا من شرائه من تذكاريات وقطع زينه لتذكرهم بالناصرة.

هناك اصطدمت ذاكرتي بوعد كنت قطعته على نفسي، يخص فاخورة حنا مسمار.. فحملت الوفد إلى هناك! كان مفاجأة لأبي حنا ونجله البكر بان آتي وهذا الوفد الضيف، إلا إنها كانت مفاجأة سرور وفرح، فقد فتح المكان ذراعيه بمحبة وطيبة لاستقبال الجميع.. هنا التقوا بعبق التاريخ الممتد عشرات السنين إلى الوراء، وهو يحمل في رؤيته عُمر وُعطر مؤسس هذه الفاخورة الفنان الطيب الذكر حنا مسمار. فاخذ الوفد بكل ما أوتي من وقت وإمكانيات، يرصد المكان بالصوت والصورة.. ويتزود من هذه الحقيقة الباقية بعطائها المجيد، لتؤكد انتماءنا إلى هذه الأرض وهذا التراب!

الصورة أمام "الفاخورة" فاخورة آل مسمار في الناصر

حيفا.. أخر اللقاء

في حيفا اجتمع الوفد الضيف أمام عمارة "الكرمل"، الواقعة بمحاذاة الطريق المتفرع من طلعت الجبل، بالقرب من سانت لوكس. فالتقى بعدد من المسئولين من مركز مساواة وجمعية التوجيه الدراسي.. كان بينهم مدير جمعية التوجيه الدراسي الأستاذ مارون فرحات والأخت صوفي دلال، ومن مركز مساواة كانت نائبة المدير أديلا والمحامي نضال عثمان. وقد استمع الوفد إلى قصة شراء هذه العمارة، التي ستصبح بعد ترميمها مقرَ لجمعية التوجيه الدراسي ولمركز

مساواة.. وتجول أعضاء الوفد في البناء وتعرفوا على أقسامه بموجب التخطيط الإنشائي، المعد لترميمه واستعماله كبيت لطلاب الجامعين العرب إضافة لما ذكر أنفًا.

ومن باحة عمارة "مركز الكرمل" انتقل أعضاء الوفد سيراً على الأقدام نزولاً، في شارع طلعة الجبل، متجهين إلى مرسم الأستاذ الفنان عبد عابدي.. كان اللقاء حميمياً، التقى من خلاله أعضاء الوفد وأعمال الفنان عابدي، واستمعوا منه إلى شرح عنها وعن بعض من سيرته الفنية والحياتية في ربوع حيفا.. المكان والزمان!!

في الصورة المهندس رامز جرايسي رئيس بلدية الناصرة يتحدث للوفد عن ظروف الفلسطينيين في إسرائيل، وذلك في لقاء المساء في بيت زاهد عزت حرش

سلامات

بالفرح المشترك، والنضال المشترك، والعقيدة المشتركة.. بدأت رحلة الصداقة بيننا أيتها الزيتونة الوارفة العطاء.. ساميه حلبي! ومن المشترك فيما بيننا أودعك ومن معك على أمل.. ووعد ووفاء!! من هنا كانت بدايتنا.. من ارض هذا الوطن!! ومن عقيدة البقاء الإنساني، من بوتقة الفكر الماركسي البروليتاري جاء توافقنا، ومن أدوات التعبير اللوني ورحاب الفنون التشكيلية جاء عطائنا!! فانا ارفض أن أموت ما دمت أستطيع الحياة.. وهنا سأبقى على انتظار للقاء، ولقاء بعد لقاء. من اجل كل هذه الأشياء التي تجمعنا، ومن اجل هذا الوطن الذي ليس لنا من وطن سواه!

الصورة - الفنانة سامية حلبي ترسم في حقل الزيتون على ارض بلدة الرامة الجليلية

سامية حلبي.. تشق عباب الدمار في لبنان

تقاربين السبعين من العمر.. يا ست الصبايا

أرى فيك وطني شامخاً.. وعناقيد المرايا

أرى فيك التحدي والصمود وأسمعك.. رسائل وحكايا عاشقة فلسطين أنت..

عشق الثمالة.. يا هوايا!!

تعودت إلا استغرب إن قالوا.. سامية حلبي خلف أعمدة الدخان والغبار والدمار.. فهي، منذ سنوات عرفتها.. عقيدة ويقين.. تمشي إلى كل مكان.. تحمل فلسطين صليباً في أعماقها.. وتقاوم!! هي لا تحمل من السلاح قنبلة ولا قذيفة!! فسلاحها الإيمان والعقيدة.. سلاحها الإنسان والحقيقة.

ما أن وضعت الحرب.. أو تكاد.. غبارها الكثيف على ثرى لبنان.. حتى حطت الرحال على ربوعه، الفنانة الفلسطينية العالمية المهجرة سامية اسعد حلبي.. لم تأتي وحيدة.. فهي تعرف لبنان.. وقدومها ليس سياحة عابرة.. جاءت ومعها وفدين من القوى الإنسانية والسياسية اليسارية من هناك.. وفد أمريكي باسم مؤسسة رمزي كلارك للنشاط السياسي.. ويضم عضوين إضافة إليها.. ويرأس الوفد رئيسة المؤسسة سارة كاندريس.. ووفد هولندي لجمعية إنسانية يحمل في شعاره كلمات عن الحرية، الحلم، والإنسان، والطبيعة!! جاؤوا ليقفوا على حقيقة الأوضاع الإنسانية للشعب اللبناني بعد الحرب.. مرادهم أن يحملوا صورة بواقعها وواقعيتها، ينقلونها للناس في بلادهم.. لعل هذا السبات "العازل" يستفيق.. ويتحدى عهر

البغي الامبريالي في أروقة دفيئاته العنصرية.. ربما من الصعب أن يحدث ذلك.. إلا انه ليس بمستحيل.. "فما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا."

مراد هَذين الوفدين "الحقيقة بالناس والطبيعة".. لم يتجهوا قط إلى أي مسئول رسمي.. حزبي أو حكومي.. كانت علاقاتهم اليومية مع الناس بصورة عادية وارتجالية.. رفيقهم كان البكاء حتى لم تعد مدامعهم تقوى عليه.. لكنهم استمروا لأيام وليالي.. يجوبون لبنان.. من ثرى بعلبك، إلى الضاحية الجنوبية، وصولاً إلى ارض الجنوب.. الجنوب ببنت "جبيله".. بمارون الراس.. بالنبطية.. ببقاع الأرض الصابرة الصامدة.

"جنوبي الهوى قلبي..
وما أحلاه أن يغدو..
هوى قلبي جنوبيا.."

تريث أيها المتدفق سيلاً من الكلمات.. فمن أين لك هذا؟!

حقيقة، إني أصيغ كلمات هنا، هي بالأصل ما روته لي صديقتي الفنانة سامية حلبي.. ففي حديث لي معها "قالت لبيروت القصيدة كلها".. لم يبقَ من كلام الرثاء شيئاً.. لم يبقى من كلام الأمنيات شيئاً.. لم يبقى من كلام الصبر شيئاً.. "قلنا لبيروت القصيدة كلها".. وقال لنا الجنوب كل شيء.. والناس كل شيء.. وقال لنا الإصرار إن الحياة أعظم شيء!

سامية حلبي مع بعض أعضاء الوفد المرافق لها – في الضاحية الجنوبية في بيروت

قالت سامية "ما أشبه الضاحية بجنين" كم راودها وهي تدوس غباراً كثيفاً أن تصرخ في وجه الدنيا.. "من جنين إلى الضاحية.." إلا أن الأمر هنا أكثر رعباً وأكثر دماراً وأكثر خراباً!! والتحدي هنا أكثر صموداً!

سار الوفداء بصحبة سامية حلبي في طرقات الدمار والغبار والخراب.. وعن كثب وعن قرب، لامسوا وجوه الناس، والجدران الباقية.. وقطع البيوت المنثورة في كل مكان.. عن قرب، أحذية الأطفال وكتبهم وكراريس أيامهم المدرسية.. عن قرب، نوافذ البيوت والأبواب وأدوات الطعام.. عن قرب، حجارة وحجارة وركام.

التقى أعضاء الوفدين بالناس.. تحدثوا إليهم ولمسوا كم هو قاس هذا الدمار والخراب.. وتيقنوا كم هو عنيد هذا البقاء والصمود والثبات!! وهنا على قارعة ركام بناية كانت قبل الحرب تشمخ في عباب الهواء.. وتمتد لخمسة عشر طابق.. حدثهم رجل في الخمسين من العمر.. عن تلاحم اللبنانيين تحت وطء الحرب.. وكيف قامت مجموعات من اللبنانيين في الجهة الأخرى من بيروت، باستضافتهم.. إذ فتح الكثير من المواطنون بيوتهم وقلوبهم لاستقبال المهجرين من الضاحية، ومن الجنوب المنكوب أيضاً. تلك الحواجز التي أقامتها علاقات السياسة الفئوية، سقطت بدافع الانتماء للحياة.. للوطن.. للإنسان!!

تقول سامية "أين الدولة اللبنانية.. لم نشاهد أجهزة الدولة اللبنانية تساهم في فتح الطرقات التي سد مسارها الدمار والخراب.. لم نشاهد أجهزتها ورجالها يقومون بإزالة الردم، ومساعدة المواطنين للبحث عما يمكن أن يكون باقٍ تحت الردم والغبار.. لم نشاهد الدولة اللبنانية تساعد في إعادة الإعمار.. لا في الجنوب ولا في الضاحية.. ولا في أي شبر من محيط الحرب المجرمة!"

استنفر "حزب الله" قواه البشرية واللوجستية، وقام وجموع الناس معه في إعادة الإعمار والإنشاء.. هنا الناس ثورة، والأرض ثورة، والثورة ثورة!! لم يقتصر العمل المشبع بالقناعة الوطنية وحب الحياة.. على فئة من البشر "على عناصر حزب الله" حقيقة لا رياء.. بل كل الناس.. وليس من أبناء الضاحية وحسب.. بل من كل ربوع لبنان.. جاءوا يحملون لوعة الوطن.. وإصرار الحياة، ليعيدون إعمار ما هدمته الحرب من ديار.. جاءوا لأنهم استشعروا النصر.. واستشعروا أن هذا هو لبنان.. "لبنان أيها الأغبياء".. لبنان الذي اجترح النصر والبقاء!!

حمل الوفد الأمريكي.. الذي جاء ليكشف أسرار الدمار والخراب.. حمل في جعبته ساعات من التصوير الحي.. للدمار، للخراب، للقتل، للبشاعة!! وحمل طي أعبائه قطع من مخلفات بقايا القذائف والصواريخ و"القنابل الذكية" الأمريكية.. وأشياء لها صلة بأسلحة محظوره.. حملها لأنه يتعامل مع الأمور بصورة مهنية وعلمية.. لأنه يريد بما حمل، أن يضع الحقائق الدامغة أمام المؤسسات الحقوقية الأمريكية.. وان يطلع جماهير الناس هناك، على ما اقترفته أمريكا بأيدي إسرائيل.. وما اقترفته إسرائيل بأدوات أمريكية.. من قتل ودمار وخراب على ارض لبنان.. لبنان الإنسان والوطن!

هذه المؤسسة الناشطة في العمل السياسي اليساري في أمريكا.. تنشط على صعيد العمل الجماهيري والحقوقي.. من خلال المظاهرات وعرض الأفلام الوثائقية وإقامة الندوات السياسية، بمشاركة أعداد كبيرة من الناس.. لاطلاعهم على حقيقة ما يدور في العالم.. وعلى حقيقة ما ترتكبه الإدارة الأمريكية "السياسية العسكرية" من جرائم باسم الحرب على "الإرهاب".. في كل بقاع الأرض.. من كوبا إلى دول جنوب القارة الأمريكية.. ومن أفغانستان إلى العراق إلى فلسطين.. إلى لبنان!! فهل سيأتي يوماً في زماننا، نشهد فيه تحولا، تصنعه قوى الشعب الأمريكي.. على الصعيد الإنساني والسياسي والعسكري أيضاً.. هيهات!!

لم يغادر الوفد الإنساني الهولندي الأراضي اللبنانية بعد.. وسامية أيضا ما زالت معهم.. بل أكثر من ذلك.. فهم يقطنون في إحدى بيوت الجنوب.. نعم في بيت عادي.. لأناس عاديين.. لا ليس"احتلال"!! إنما وديعة، لقد سلمها مفاتيح البيت صديقنا اللبناني المغترب نعيم فرحات.. هذا الذي يحمل حلم فلسطين ولبنان ومقاومة الشر والاحتلال.. من هناك من بعيد.. فهو يعيش في أمريكا منذ سنوات طوال.. يعمل في مجال الفنون التشكيلية الإدارية والتسويقية..

ويهتم بشكل خاص في دفع مسيرة "فن المقاومة".. وهو صاحب أكبر مجموعة من الأعمال التشكيلية الفلسطينية والعراقية واللبنانية.. وهو صاحب القسم الأكبر من مجموعة معرض "صنع في فلسطين".. ومجموعة "متحف الخيام".. الذي كلفه كل ما ادخر من ميراث وشقاء عمر.. هو نعيم فرحات.. هو من سلم سامية حلبي مفاتيح بيته في الجنوب.. وأعطى لها وللوفدين المرافقين حرية اكتشاف حقيقة أن تكون مواطناً في "لبنان".. ومعنى أن تكون مواطناً في الجنوب!!

يتألف الوفد الهولندي من أربعة أعضاء.. هم أبناء لمؤسسة إنسانية تهتم بالمهاجرين إلى هولندا.. وبما يحدث في بلادهم.. وتهتم بالعائلات المتضررة من واقع الشتات والتهجير.. وممن يسقط على حياتهم وابل الحرب والخراب والدمار. وهم هنا اليوم في لبنان.. بعلبكاً وضاحية.. وجنوب!! يتقصون حقائق حياة الناس ومآسيهم.. ويحملون شيئًا من أعباء هذا الدمار.. علهم يجدون الوسائل التي بمقدورها أن تساهم في أعادة إشفاء ذوات الناس المهشمة والممزقة، حزنًا على أحبة لهم قتلوا.. وعلى ديار لهم غدت ركام. علهم يستطيعون أن يكشفوا أيضاً، حقيقة "الإرهاب"!! أمام مواطني بلادهم المتضامنين معنا.. وأمام مواطني العالم في كل مكان.. علهم يقدرون.. أو ربما!!

انتقل الوفدان من مكان إلى مكان.. زاروا المدارس ونظروا في أحوال الناس الذين افترشوا الغرف هناك. وزاروا المستشفيات في بعلبك والنبطية وبنت جبيل.. وكيف طاول القصف الهمجي أهم أقسامها.. من غرف العمليات حتى غرف تزويد المستشفى بالكهرباء.. بدا واضحاً لجميعهم، إن ما قامت به قوى الطغيان من دمار وقتل.. لم يكن يستهدف "قوات مسلحة لحزب الله".. إنما هو استهداف للقوى البشرية والإنسانية.. وللبنية الاجتماعية في ابسط معالمها وإمكانياتها!! فعن أي حرب يتحدث المجرمون؟!

وفي سياق الانتقال من خراب إلى خراب.. ولقاء الناس بالناس.. سمع الوفد كلمة "جهاد" يتداولها الخلق حباً ومحبة وعمل.. "جهاد العطاء".. تقول سامية.. (صرعنا الغرب بتدويله كلمة "الجهاد".. حتى أصبح الناس هناك يحفظونها كمرادف لكلمة "إرهاب" فليأتوا إلى هنا ويتعلموا ما معنى "الجهاد").. الجهاد بالعطاء.. بالحب.. بالإعمار.. بالتضحية.. بالصمود.. بالتحدي.. بكل كلمات الحياة والبقاء.. إننا لمجاهدون، "إنا هنا باقون !!!"

صحيفة "الاتحاد" - الخميس 2006/9/28

لوحة "سامية، زيتونة من فلسطين" حبر على كرتون 70/100 سم 2015

من أعمال الكاتب/ زاهد عِزَّت حرش

ناجي العلي

ناجي سليم حسين العلي (1937 إلى 29 أغسطس 1987)، رسام كاريكاتير فلسطيني، تميز بالنقد اللاذع في رسومه، ويعتبر من أهم الفنانين الفلسطينيين.

له أربعون ألف رسم كاريكاتوري، اغتاله شخص مجهول في لندن عام 1987.

لا يُعرف تاريخ ميلاده على وجه التحديد، ولكن يرجح أنه ولد عام 1937، في قرية الشجرة الواقعة بين طبريا والناصرة، بعد قيام الكيان الصهيوني هاجر مع أهله عام 1948 إلى جنوب لبنان وعاش في مخيم عين الحلوة، ثم هجر من هناك وهو في العاشرة، ومن ذلك الحين لم يعرف الاستقرار أبدا، فبعد أن مكث مع أسرته في مخيم عين الحلوة بجنوب لبنان اعتقل وهو صبي لنشاطاته المعادية للاحتلال، فقضى أغلب وقته داخل الزنزانة يرسم على جدرانها. وكذلك قام الجيش اللبناني باعتقاله أكثر من مرة وكان هناك أيضاً يرسم على جدران السجن.

سافر إلى طرابلس ونال منها على شهادة ميكانيكا السيارات. تزوج من وداد صالح نصر من بلدة صفورية الفلسطينية وأنجب منها أربعة أولاد هم خالد وأسامة وليال وحسنيه.

"ناجي العلي" من جدارية "الخابية، جذور فلسطين" رسم بالحبر على كرتون

من أعمال الكاتب زاهد عِزَّت حَرَش

انطباعات سريالية من افتتاح معرض ناجي العلي في المركز الثقافي في كفرياسيف

الخطوط المميزة في أعمال ناجي العلي.. الباكية إلى حد الضحك.. المبتسمة إلى حد البكاء.. الصادقة إلى مرحلة ما بعد الوعي.. الواعية إلى حدود ما بعد الصدق.. الرافضة حدود الأفق الآتي بعد الموت.. الباقية بقاء الحياة.. هذا المبدع الإنساني الذي اثبت إن الحقيقة اصدق من كل شيء.. وان المواجهة الحقيقية تكمن في قول الحقيقة.

إن أعمال ناجي العلي ليست لوحات ذات طابع تجريدي سريالي أو كلاسيكي، تجتمع فيه الألوان ليحكي كل لون قصته بشكل منفرد، أو إذا ما تجانست الألوان وتنافرت مع ألوان أخرى تجتمع لتروي قصة تمتد في سلسلة لا متناهية من التساؤلات والطروحات الحياتية الرافضة لواقع اليم.. أن أعماله تتكون من خطوط ومساحات من الأسود والأبيض.. تندرج في سياق ما يسمى "كاريكاتير".. لكنها تتعداه أو الأصح ترفع من مستواه.. فيصبح "الكاريكاتير" كالقصيدة.. كبيت من الشعر المحبب إلينا.. الذي نقرأه صدفة في زاوية ما.. فنعيد قراءته مرات

ومرات حتى يصبح جزء منا.. نحفظه عن ظهر قلب.. بل يتغلغل في أذهاننا ويصبح إحدى مكوناتنا الذهنية التي من خلاله يمكننا استيعاب الحياة وطرح أسئلة تجعلنا نغوص في متاهاتها لنصبح جزء منها.

صدق الكاتب سلمان ناطور في مداخلته، عندما تحدث عن الإنسان المفكر، حيث قال **"لا حياد في الفكر.. فالفكر نوعان، الفكر الديني والفكر العلماني.. ولا مكان هناك لفكر محايد.. كما لا يمكن أن يكون هناك أيضًا فكرٌ وسط يوفق بين الاثنين.. ولكل منهما الحق في التعبير عن عالمه في ظل الدولة الديمقراطية الحديثة"**.. إذًا.. فأن ناجي العلي قد انصهر في فكره العلماني الرافض لواقع عالمنا العربي البائس المهزوم.. متعامل معه كأنه يعيش في زمن يسمح له بأن يظهر عوراتنا ومآسينا المؤلمة إلى حد الضحك والبكاء.. إلى أن تربص به من يصطادون في المياه العكر وأطلقوا النار عليه..

لقد حفظنا أبيات الشعر المرسومة بريشة ناجي العلي.. فأصبحت في داخلنا قصيدة رفض تقول الحقيقة بكل صدق فنزداد أملاً بالفكر الإنساني الحر لبناء عالم جديد.

"أنا عربي يا جحش"!! عربي أنت يا ناجي.. في كل ما تعنيه العروبة من مروءة وشهامة وصدق وفروسية وتحدي وحضارة وتاريخ عظيم.. أنت عربي يا ناجي.. فما زلنا نجتمع حول أعمالك كما كنا نجتمع حول مواقد كانون أيام الشتاء.. نجتمع لنعيد ذكريات المواقف البطولية الرافضة.. ونبني داخل طبقات الذهن حوار مع الزمن الآتي الذي كنت تبحث عنه واقفاً في واجهة أعمالك الرائعة.. تنظر إلى البعيد!! فنجد من خلالك أن الفجر أمسى قريب.. وأننا قاب قوسين أو أدنى من الفجر.. فإن السواد المحيط بنا يحمل في أعماقه الخيوط الأولى لانبثاق النور.

الاتحاد الاثنين 17 تشرين الثاني 1997

ناجي العلي.. نبي الصمت الهادر

اسمحوا لي أن ابدأ هذا المقال بقصيدة للشاعر مظفر النواب التي عنوانها (إلى الضابط الشهيد).. الذي مزقته زخات الرصاص بعد أن فجر طائرة أمريكية.. وقد تماديت فبدلت بعض من كلماتها لتقال في ذكرى هذا الضابط الشهيد ناجي العلي.. فعذراً.

"ليس بين الرصاص مسافة.. أنت الحقيقة التي تتحدى.. وهذا هو الوعي حد الخرافة

تفيض وأنت من الغيم.. تخبره أن تأخر موسمه.. والجفاف أتم اصطفافه

وأعلن فيك حساب الجماهير.. وماذا سيسقط من طبقات.. تسمي احتلال البلاد ضيافة

ولست قتيل نظام يكشف عن عورتيه فقط.. بل قتيل الجميع..

ولست أبرئ إلا الذي يحمل البندقية قلباً.. ويطوي عليها شغافه

لقد قبضوا كلهم.. وأحطهم من يدافع عن قبضة المال.. مدعياً أنها الماركسية أم العرافة"

لقد صدرت كتب تحتوي على أعمال ناجي العلي.. تحتوي أجمل القصائد الرافضة وأجمل الأغاني التي حفظتها العيون.. صدرت تلك المجموعات من إبداعاته وهو ما يزال يتأبط أوراقه البيضاء وقلمه الأسود ليرسم في كل لحظة قصيدة أو بيت شعر جديد. بيد أن هذا النوع من مطبوعات اللغة المقروءة بالعيون لم يتجول بين أيدينا إلا في زمانه. ففي العام 1976 صدرت مجموعة أعماله التي كان ينشرها في صحيفة "السفير " البيروتية والتي سميت ب "كتاب

السفير". وعن دار القبس الكويتية، صدرت له مجموعة تضم أعماله هناك، فصدرت الطبعة الأولى سنة 1982 والثانية سنة 1983، ومجموعات أخرى عديدة. لكن بعد أن أطلقت عليه رصاصات الغدر، ثارت المكتبة العربية وأصدرت له العديد من الكتب والمنشورات والدراسات التي حملت سيرته الذاتية، ووثقت عشرات الرسومات التي تحكي قصتنا بعفوية وبراءة طفولية ساخرة.. أن هذا الفلسطيني "الضالع بالهجرات".. والنازح ستة مرات.. "لم يتزود قبل الربع الخالي بقطرة ماء" كما أوصاه مظفر النواب. فلقد تهيأت كل الظروف.. فلسطينياً ولبنانياً وعربياً وشرق أوسطيا وعالمياً لتغتاله بدم بارد.. ولتمتد يد الغدر وتسحبه من بيننا وتتركنا وحدنا نردد قصائده بصمت هادر.

كان ناجي العلي يعمل في قطف الليمون والبرتقال في بساتين الجنوب، لأنه لم يكن بإمكانه ممارسة مهنته في الميكانيكا والكهرباء، فكان عمله موسمياً. مما أتاح له المشاركة الفعلية في التظاهرات والعمل السياسي اليومي مع بقية شباب المخيم آنذاك.. فأقام مع بعض من أصدقائه نادي داخل إحدى غرف التنك. وفي أحد الأيام زار المخيم الأديب الفلسطيني غسان كنفاني فلمح بعضاً من رسوم الكاريكاتير على الحيطان الداخلية لذلك الكوخ. فأخذ منها رسمين أو ثلاثة ونشرها في مجلة "الحرية", لسان حال التقدميين العرب. وكان غسان كنفاني أول من شجع الشاب على المضي قدماً في هذا الطريق.

نزح عن وطنه إلى مخيم عين الحلوة في الجنوب اللبناني، ومن ثم إلى بيروت ليعمل في بداية مشواره الفني في مجلة "الحرية".. واضطر إلى النزوح مرة أخرى إلى الكويت للعمل في صحيفة "الطليعة" وهناك كان همه كهموم الآخرين، أن يدخر قليلاً من المال كي يسافر إلى القاهرة ليبدأ دراسته في الفن التشكيلي. لكنه اكتشف أن الكاريكاتير يرضي طموحاته.. بعد أن

عانى الكثير من شظف العيش داخل المجتمع الاستهلاكي، الذي تصبح حياة الفنان فيه مسألة صعبة للغاية. وكان الكثير من أصدقائه قد أغرقهم ذلك المجتمع بعد سنة من وجودهم في الكويت.. فهاله ما رأى.. فانبثق من بوتقة فكره العميق ذلك الطفل المتشرد.. حنظله. يقول ناجي العلي في لقاء صحفي مع د. رضوى عاشور: "بتلك المرحلة ولدت شخصية حنظله، ويومها قدمته إلى القراء بشرح وافٍ.. كتبت إلى جانبه: أنا حنظله من مخيم عين الحلوة.. وعد شرف أن أظل مخلصاً للقضية وفياً لها.." وفي موقع آخر قال أيضًا: "إن شخصية حنظله كانت بمثابة الإيقونة، حفظت روحي من السقوط، كلما شعرت بشيء من التكاسل أو بأنني أكاد أن أغفو أو أهمل واجبي، اشعر بأن هذا الطفل كنقطة الماء على جبيني، يحصيني ويدفعني إلى الحرص ويحرسني من الخطأ والضياع. انه كان البوصلة بالنسبة لي، وهذه البوصلة تشير دائماً إلى فلسطين."

لقد اكتشف ناجي العلي ما يحمله الكاريكاتير من تأثير فعال ومباشر، وقد لاحظ أيضًا أن رسامي الكاريكاتير في مصر "أصحاب المدرسة القديمة" التي كانت تتزعمها صحيفة "صباح الخير" يعتمدون كثيراً على الحوار المكتوب، مما يمنع القارئ من تفعيل ذكاءه.. فاتجه هو إلى عكس ذلك، حتى انه اختلق رموزاً أصبحت مع التكرار نوعاً من اللغة المشتركة بينه وبين القراء. فرسم المنفردين، والمستسلمين، والقابلين، والمهادنين، ورسم المترهلين وعرب أمريكا وعرب النفط والفدائي المخدوع.. واستطاع بفلسفته الخاصة أن يدمج بين الرافضين والقابلين، حتى انه خلق نوعاً من الصراخ المكبوت فجاءت معظم أعماله، كالنبيذ ألبيتي المعتق، لا تحمل أي عنوان. وبعد هزيمة ال 67, اختار هجاء الذات.. فوخز ضمائرنا المتثاقلة وغذى وعيها وحرك فيها الإحساس بالمسئولية عما حدث. فاستيقظت حركة شبابية ثورية بدأت التفافها حول الشيخ إمام ونجم، لتردد معه مقاطع من أغانيه، وأصخت السمع لتسمع آخر ما وصل إليها من أشعار مظفر النواب.. حتى تبلورت تساؤلات اختلط فيها الحابل بالنابل، فتحولت إلى عبثية ساخرة ومؤلمة في آن واحد.

وغداة حرب أكتوبر 1973، حين طغت الطروحات السلمية والاستسلامية انطلقت صحيفة "السفير" اللبنانية. فدعته للعمل فيها، فكانت السبب في نزوحه الرابع الذي تلته الحرب الأهلية اللبنانية. وكانت هذه المرحلة تحتاج إلى نوع آخر من الضحك والسخرية، تختلف عما كان سائدًا منذ عشر سنوات. حيث اجترحت أعماله نوعًا من السخط والحزن معاً. ولقد كان زياد الرحباني بصوته المسموع وأغانيه التي امتزجت بالألم والاكتشاف والسخرية العبثية الواعية صوت الريح.. فتألق ناجي المرئي من خلال أعماله المنشورة في السفير.. وسطع زياد المسموع من خلال برامجه الإذاعية اليومية. وهنا أيضًا يُرغم على النزوح مرة خامسة إلى الكويت، بعد الاجتياح الإسرائيلي لبيروت. "في إحدى رسوماته يصل عدد الأوطان البديلة إلى 64 وطنًا ".. أما في الكويت فقد كبلته "الخطوط الحمراء" التي كان يفرضها النظام، والتي كانت تتيح له جلد الذات الفلسطينية على قدر ما استطاع، وفي نفس الوقت تمنعه من التعبير

عن رفضه لحالات أخرى تمسها.. ويطرد فجأة مع العديد من الصحفيين الغرباء. ويكون هذا النزوح نزوحه السادس والأخير.. لكن هذه المرة ليس لأي بلد عربي آخر، إنما إلى مدينة لندن، حيث تمتد إليه يد الغدر الحيواني وتطلق الرصاص عليه لتسكت بذلك صوت ريشته الغاضبة.

يقول محي الدين اللباد "تُشكل أعمال ناجي العلي يوميات عربية عمرها عشرون عام" أي منذ العام 1967 ولغاية العام 1987. ويضيف أيضًا: "حدثني ناجي العلي منذ ربع قرن عن إعجابه بالمسيح، وباستشهاده مصلوباً من اجل إنقاذ البشر من ذنوبهم" أما ناجي العلي فيقول حول ذلك في اللقاء مع د. رضوى عاشور: "منذ طفولتي وأنا متأثر بشخصية المسيح، ولقد قرأت التوراة والإنجيل والقرآن، واحمل صليباً في داخلي، وقد حججت لبيت الله مرتين. وان أول رسم كاريكاتير فكرت فيه هو أن اصلب نفسي، ليس أن ارسم نفسي مصلوباً، بل أن اذهب إلى الأمم المتحدة حاملاً صليبي كنوع من التعبير عن وضعنا وحقنا المهضوم.. المسيح يعنيني كقيمة للفداء، لقد رسمته كثيراً ليس لأنه فلسطيني وحسب، بل لأنه مطارد ومغلوب وهو نبي.. ارسمه كجنوبي من لبنان وارسمه كفلسطيني من أبناء المخيمات".

لقد كانت لغة ناجي العلي المرئية بليغة وموجزة ولاذعة.. وكانت عصامية لم تُصب بداء الحذلقة والمبالغة التي تقتل الرسالة المباشرة الصادقة قبل أن تصل إلى الناس حين تصاب بداء النزعة الأكاديمية.. لكني شخصياً أرى أن بعداً آخر كان يختفي في كيانه، فلقد كان فناناً تشكيلياً انطباعياً بكل ما في الكلمة من معنى، ويكفي أن نأخذ بعض من أعماله ونوظفها بدقة في عمل تشكيلي كلاسيكي مشبع بالأبعاد اللونية، حتى نجد إننا أمام عمل رائع من حيث التكوين والفكرة والأداء. وفيما أنا ابحث عما يخصه، قرأت ما قاله بصدد الفن التشكيلي وعلاقته به،

فقال: "أجلت طموحي الشخصي بالتعبير عن نفسي.. وقلت حين ترجع البلد- أي حين يعود إلى الوطن - ولو كنت ما زلت على قيد الحياة، أكون قد تقدمت في العمر، فأجلس في ركن واعبر عن ذاتي بلغة التشكيل والألوان".. واعتقد أن هذه الأعمال الفنية الناطقة التي كانت ترسم الإنسان الفلسطيني بأطيب الملامح واصلبها وبأرق التعابير، هي جزء من حالة ذلك المخزون الفني الذي كان يحتفظ به ناجي العلي.. ولو استطاع أحدنا أن يترجم تلك الأمنية التي لا زالت تعيش في أعماله، بحيث يحول بعض هذه الأعمال إلى لوحات تشكيلية ناضجة.. شرط أن يدرس شخصيته بكل أبعادها ويتأثر به بعمق يصل إلى أبعد الحدود، كي يستطيع الحصول على أعمال أقرب ما تكون إلى روحه وحلمه المنسي.

إن القصائد الملتهبة التي كان يرسمها ناجي العلي.. هي أكثر الرسوم معرفة وشيوعاً في العالم العربي.. وان تفاعل الإنسان العربي مع هذه الأعمال يثبت دون جدل إننا ننتمي إلى امة ليست تطرب للسجع الصوتي واللحني وحسب، وإنما أيضًا أصبحنا نعي القراءة بعيوننا التي لم تعد عمياء.. بفضل الأبجدية التي اختلقها هذا النبي الصامت.

"الاتحاد" - عيش وملح - الجمعة 1999/8/13

إبراهيم حنا إبراهيم، الفنان المنسي

ولد في قرية الرينة قضاء الناصرة سنة 1936

شاءت الظروف أن أتعرف على رسامة من الرينة تدعى ليلى خميس (أم حنا).. وكان ذلك في العام 2003، عندما كنت اعمل على بعث الحركة التشكيلية في شفاعمرو من جديد، وخاصة من خلال تفعيل صالة العرض الجديدة التي افتتحت مع بداية ذلك العام تحت اسم "جاليري سوا للفنون التشكيلية". وقد نظمت أيامها معرض "ثلاثيات" وشاركت فيه ليلى بثلاثة أعمال كضيفة شرف، على هامش المعرض التقيت بالمحامي نبيل حنا إبراهيم.. سألته عن أخيه المرحوم إبراهيم؟؟ فقال إن لديه ما يمكن أن يساهم في توثيق تاريخ هذا الإنسان الشخصي والفني.. فجاء أول لقاء عملي بيننا بعد مضي قرابة عامين، أي يوم الأربعاء 29.05.2006.

حين تلتقي بالمحامي نبيل إبراهيم لتتحدث معه عن أخيه.. تجد أن هذا الإنسان يخبئ في رئتيه تاريخًا من الحب والحنين واللوعة، على موهبة فذة لم تؤخذ حقها في الحياة.. كما لم تحصل على حقها بالاعتراف بها على الصعيد الوطني الفلسطيني أو المحلي الجليلي، فالذكريات بعيدة منذ أربعين عامًا.. وفارق العمر بينهما في بيت ضم 13 أخ وأخت، لم يفسح المجال لعلاقات متينة مفعمة بالتفاصيل الدقيقة!! فان إبراهيم الولد البكر للأستاذ حنا إبراهيم، معلم اللغة العربية في المدرسة الثانوية البلدية في الناصرة، يكبر أخاه نبيل ب 12 سنة.. وقد روى لي الأخير من خلال لقائنا عن إبراهيم الكثير الكثير!

قال: "في إحدى الأيام، حين توترت العلاقة بين المرحوم أبي وبين أخي إبراهيم، بسبب اختياره لدراسة الرسم.. وكمحاولة من أبي لردعه عن قراراه، قام أبي بجمع أعماله ورميها في الحاكورة المحاذية للبيت.. كان ذلك قبيل التحاقه بمعهد بتسلئيل.. وكنت في الثامنة من عمري، فشرعت اجمع رسوماته المتناثرة وأعيدها إلى البيت!! كان إبراهيم مرهف الحس إلى درجة البكاء، لكنه كان مؤمناً إيمان عظيم برسالته وبأنه لا يصلح لغير الفن والرسم.. فمضى في طريقه دون ان يقيم وزناً ذات معنى للرفض والديه وأقاربه ومجتمعه في ذلك الحين"

كان إبراهيم متيماً بالرسم، يعيش ساعات عمره من اجل أن يمر كل ساعة بتجربة رسم جديدة، وحين بقي على إصراره بان لا جدوى من أي محاولة لردعه عما هو مُقدِم عليه، حينها تعامل الوالدين على أن هذا الابن لن يكون مصدر وجاهة وفخر على صعيد التحصيل العلمي والتحصيل المالي، إلا انه سيكون، ودون أدنى شك، وجه تاريخ وحضارة، فقاما بدعمه في اختياره حتى النهاية.. إذن تقبل والديه هذا الاختيار وسمحا له بالالتحاق بكلية بتسلئيل للفنون في القدس.. كان ذلك سنة 1954, التي بها أنهى إبراهيم مرحلة الدراسة الثانوية. ذهب إلى هناك وهو معبئ برائحة الأرض والزيتون.. وبظلال البيوت والساحات وعبق النعناع والزعتر والطيون.. فجاءت أعماله التي جسد بها ملامح قريته والقرى العربية الأخرى.. نابضة بالحب والحياة!!

إبان دراسته في القدس تعرف إبراهيم على فتاة أمريكية تدعى باربرا دون هيلين، تزوج منها، وأقيمت مراسيم الزواج في كنيسة قريته الرينة.. مما يدل على تمسك هذا الإنسان بانتمائه وعائلته وتاريخه، رغم كل ما تعرض له من نظرات لوم وعتب ورفض لقبوله كرسام.. تلك

النظرات الآتية تحت طائل "لا خير في علم لا ينفع صاحبه".. بيد أن إبراهيم لم يكن يبحث عما ينفع إبراهيم بشكل خاص، بقدر ما ينفعه وينفع قضيته الكبرى التي لها علاقة بكينونته الذاتية.. المتصلة بمنظور رؤيته الفنية الإبداعية، لمعالم بيئة استشف منها هذه العلاقة الجدلية ما بين الرؤية والرؤيا.. وقد أثبتت الأيام ذلك!! فهناك في ارض الغربة السوداء التي احتضنته رغم كل ما فيها من تناقض وصراع.. سجل ابراهيم وجوده الفني، وترك بصماته والكثير الكثير من الأعمال في متحف مدينة روزنديل في ولاية نيويورك الأمريكية.

أنجب إبراهيم وباربرا سنة 1964 جوني (حنا)، وعاشت العائلة في كنف بيت واحد في ضاحية مانهاتن في نيويورك.. إلى ان حل عام 1980 حيث تم الانفصال بين إبراهيم وباربرا.. لتنتقل باربرا مع ابنها للعيش بعيداً عنه.!! بقي إبراهيم على علاقة وطيدة برسالته الفنية يرسم ويعمل كمنظم قسم الفنون في مكتبة جامعة نيويورك، أثناء تلك

السنوات عمل على إعداد أطروحته عن شخصية الفنان "أنريه ماتيس" لنيل الدكتوراه من جامعة نيويورك.. إلا أن يد الغدر لم تمهله أن يمثل أمام أساتذته لمناقشتها والحصول على ذلك اللقب الجامعي.

رسم إبراهيم في بداياته القرية العربية الفلسطينية بمعالمها الطبيعية ذات الرحاب البعيدة.. والمعبئة بظلال الزيتون والدوالي!! وهناك في القدس اكتشف أساتذته الفرق ما بين أعماله وأعمال الفنانين اليهود الذين رسموا القرية الفلسطينية برؤية جافة، لأنهم تعاملوا معها بالشكل وليس بالروح والمضمون. أثناء دراسته هناك شارك إبراهيم في العديد من المعارض التي أقيمت في المدن الكبرى بالبلاد.. وحصل على جائزة نادي الروتاري الأولى للفنون، حيث وصلت قيمتها إلى 250 ليرة في حينها. وقد كان ذلك المعرض الذي أقيم في أيار من عام 1960 هو معرض البينالي الأول، الذي احتلت الأعمال جدران متحف الفنون الحديثة في حيفا.

في سنة 1963 أقيم في البلاد مؤتمر نقاد الفنون التشكيلية، شارك فيه اثنان من نقاد الفن من باريس.. وقدما توصياتهم باشتراك ثلاث فنانين شباب من إسرائيل كان من بينهم الفنان إبراهيم حنا إبراهيم.. وقد شاركت أعماله تلك في المعرض العالمي في قاعة "شاربنتييه" الذي أقيم في باريس ذلك العام.

كتب "يغال لوسين" في ملحق معريف بتاريخ 07.10.1959 عن إبراهيم مقالة مطولة تحت عنوان <u>"الفنان العربي الأول في إسرائيل"</u> جاء فيها الكثير من المعلومات عنه ما يلي:

"هكذا يروي إبراهيم.. أو كما يحلو لأصدقائه أن ينادونا عليه باسم ايب.. (اختصارًا لإبراهيم – زاهد) الفنان العربي الأول بالبلاد.. وهو يعرض في هذه الأيام بأكورة أعماله.. في معرض يحمل عنوان (6 فنانين شباب) والذي يقام في "قبوا فناني القدس".. أصابه ما أصاب "سيزان وفان غوخ"، وعمالقة الفن الآخرين في حقل الرسم. رفضت عائلته قبول الطريق التي اختارها لنفسه. إلا أن الأمر لم ينته هنا فقد وقف المجتمع ضده أيضًا. ويقول إبراهيم في ذلك: **"المجتمع العربي لا يملك الحد الأدنى من الوعي والاستيعاب في موضوع الرسم"** ويتابع أيضًا.. **"رسمت في أحد المرات لوحة لقريتي فسألوني إذا ما كنت اعد خارطة للقرية؟؟".. "منذ الآن لم اعد أعيش داخل المجتمع العربي – وحين أزور قريتي اشعر وكأنها ترفضني!! من الصعب جداً على المرء أن يبدع في بيئة لا تفهمه ولا تتقبل عطائه، الكل هناك ينظر إلى الأمور بمنظار مادي جاف.. المهم لديهم كم تربح من نقود في نهاية كل شهر؟؟"**

"إلا أن إبراهيم يحب أن يرسم قريته، التفاصيل هناك مهمة جداً، طبيعتها مرتسمة وتبعث الكثير من الإيحاء.. حتى وان كان المجتمع هناك ليس واعياً أو متفهماً لفن الرسم؟!! ربما بذلك يعود إبراهيم إلى ذويه وعائلته؟؟!! كثير من الفنانين اليهود رسموا القرية العربية، إلا أن توجههم كان رومانسيا،" إلا أنني ارسمها بالكثير من المصداقية – لان حياتي هناك"

يقول إبراهيم:

"من الصعب على إبراهيم أن يتذكر في أي وقت بدأ مشواره مع الرسم.. إلا انه من الواضح له أن ذلك بدأ برسم السيارات.. وان شهيته للرسم مردها إلى الكتب الكثيرة لكبار الرسامين العالمين التي احتفظ والده بها في مكتبته. ومع تعمق علاقته بأعمال كبار فناني عصر النهضة (الرينيسانس) بدأ يقرأ عن الفنون الحديثة (المودرنزم) ويهتم بها".

"أصيب إبراهيم بخيبة أمل من كلية بتسلئيل.. حيث أن التعليم الأساسي فيها اقتصر على الرسم الغرافي، لقد تحمل مشقة البعد عن قريته الجليلية وجاء إلى هنا كي يتعلم فن الرسم، وها هو يكتشف بعد هذه المشقة، أن هذه الكلية ليست سوى مدرسة متخصصة بالرسم الغرافي.!! يقول إبراهيم حول ذلك (أنا أكره الرسم الغرافي العملي.. وقد رفضت المشاركة في دروس تلك الدورات) لقد حاز إبراهيم وصديقه مردخاي موريه الذي يشترك معه بنفس المعرض، حازا الاثنين على جائزة لمتابعة دراستهم وذلك من قبل "صندوق نورمان".. وقد استغل إبراهيم هذه المنحة ودرس الفن على يد كل من الفنانين ايبز نشر، "اشنهييم، واشتنهار دط في القدس".

"أول فنان فلسطيني من الجزء الباقي في وطنه بعد النكبة.. درس الرسم والتصوير في كلية بتسلئيل في القدس ما بين عامي 1954 – 1959م. بعد أن أقام وشارك بعدد من المعارض في القدس والناصرة، هاجر إلى أمريكا سنة 1960.. والتحق هناك بجامعة نيويورك.. أقام العديد من المعارض هناك، إلا أن المنية وافته مبكراً فمات وهو في ريعان الشباب والعطاء، إذ مات يوم الحادي عشر من آب 1984."

ولد إبراهيم حنا إبراهيم قبل 22 عاماً بمدينة حيفا، لم يتجاوز عمره الست سنوات حين قررت عائلته الهجرة إلى بلدة الرينة الجليلة القريبة من الناصرة، حيث عمل والده حنا إبراهيم هناك أستاذا للغة العربية في المدرسة الثانوية البلدية في الناصرة، **كان أبا إبراهيم مولعاً بالموسيقى الكلاسيكية، وقد جمع في مكتبته الموسيقية ببيته العديد من الاسطوانات لكبار الموسيقيين العالمين، من أمثال هايدن، بيتهوفن، موتسارت، غريـغ، وآخرون.. إضافة الى كبار المطربين العرب في ذاك الحين.. وقد شب إبراهيم في أجواء هذه الأنغام وتعلم أن يحب هذه الموسيقى الأصيلة.. وموسيقى موتسارت هي الأقرب إلى قلبه وكيانه! إضافة إلى**

سيبيليوس وستراونسكي، وللحقيقة انه لم يفوت أي فرصة تتيح له حضور حفلة كونتسرت موسيقية.

صحيفة "معريف" للكاتب العبري يجئال لوسين 10.07.1959 ص 4

خلال دراسته في بتسلئيل، اشتغل في تدريس الرسم في "أبو غوش"، وانطباعه عن هذه التجربة.. أن العرب يملكون الكثير من القدرات والطاقات الخلاقة في مجال فن الرسم والتشكيل.. إلا أن البيئة التي يعيشون فيها تخنق هذه القدرات وتمنع تطورها؟!!

بموجب ما قاله إبراهيم فانه لا يزال يبحث عن خصوصيته الفنية "كطالب الذي أنهى للتو دراسته في الفن لا توجد لدي حتى شخصية فنية خاصة بي، ولا زلت متأثر بالعديد من الظواهر الفنية".. اثنان من أعماله الزيتية المشاركة في المعرض تذكرنا بأعمال "شاغال" إلا أنها منجزة بتقنية مختلفة عنه!! ومع هذا فان أعمال الحفر المنجزة على الخشب.. تدل على طابع الاكسبرسيونزم الألماني.

"لست من أتباع أي أسلوب فني محدد" يقول إبراهيم.. "ما أهمية ذلك؟؟! المهم أن تكون اللوحة جميلة، حسب رائي.. لا يوجد اليوم أسلوب او منهج فني محدد – لان الفنانين شخصيون وذاتوين (انديفدواليم)".!! أما إبراهيم فانه يقدر الفنان مودلياني والفنان بيكاسو.. وهو متعلق ببيكاسو أكثر من أي فنان آخر.. لأنه اسباني استوحى من البيئة القريبة منه ما هو محبب لكل إنسان شرقي. ويعقب إبراهيم على ذلك "إنني افهم بيكاسو أكثر مما افهم رينوار.. على سبيل المثال."

"إن لدى إبراهيم آمالاً كبيره ففي جعبته مخطط للسفر إلى أوروبا في السنة القادمة، وبالتحديد إلى باريس، أو إلى ايطاليا خاصة، يقول "في البدء علينا التعرف على الآباء الأصلين لتاريخ الفن الكلاسيكي" وعلى باريس أن تنتظر إبراهيم حنا إبراهيم أن يدخل رحابها".

المصدر السابق

هذا بعض مما جمعته خلال الأيام القليلة الماضية عن تاريخ هذا الإنسان، الفنان، الذي وجد مقتولا في بيته في مانهاتن صباح الثامن من تشرين الثاني من العام 1984. لم يُلقَ القبض على المجرم.!! كما لم تعرف بلاده وأبناء شعبه الكثير عنه لغاية اليوم. إلا أنني، وكراهب نذر ما تبقى من عمره لخدمة تاريخ الفن التشكيلي الفلسطيني، سأحيي ذكر هذا المبدع المنسي من خلال توثيق مسيرته الفنية، لتصبح جزءاً من تاريخنا وثقافتنا. فلا عليك يا إبراهيم.. أن ما أنجزته خلال عمرك القصير لجدير بالاعتزاز والفخر والمحبة!

صحيفة "الاتحاد" الحيفاوية 17.06.2005

اللوحتان من أعمال الفنان إبراهيم حنا

تمام الأكحل شموط

ولدت في مدينة يافا - فلسطين سنة 1935، وقد شردت مع أسرتها في أيام النكبة من يافا إلى بيروت 1948.

منحتها كلية المقاصد في بيروت بعثة لدراسة الفن في المعهد العالي للفنون الجميلة بالقاهرة عام 1953، حصلت على شهادة الفنون الجميلة وشهادة إجازة تدريس الفن من المعهد العالي لمعلمات الفنون بالقاهرة سنة 1957.

شاركت في المعرض الذي أقامه زميلها الفنآن إسماعيل شموط عام 1954 والذي افتتحه ورعاه الرئيس جمال عبد الناصر. وشاركت زوجها الفنان إسماعيل شموط في كافة المعارض التي أقيمت لأعمالهما في معظم البلاد العربية، وفي عدد كبير من بلاد العالم.

شاركت في عشرات المعارض المشتركة العربية والدولية في الدول العربية والأجنبية، لها أعمال مقتناه في عدد من متاحف الدول العربية والأجنبية ومن قبل مقتني ومحبي أعمالها، حاصلة على جوائز متنوعة عديدة.

1959 - 1983 عاشت مع عائلتها في بيروت وعملت مع زوجها إسماعيل في مجالات فنية وثقافية عديدة.

1983 - 1992 اضطرتهما الظروف لمغادرة لبنان والعيش في الكويت متفرغين للفن.

1992 - 1994 اضطرتهما الظروف مرة أخرى لمغادرة الكويت والعيش في مدينة كولون بألمانيا.

كان لها معارض عديدة في كل من بيروت وصيدا بلبنان وغزة ورام الله ونابلس والقدس بفلسطين1957. وفي القدس ونابلس وعمان 1964.

كما شاركت في مائة وواحد وعشرين معرضا في أثنى عشرة ولاية أمريكية خلال أربعة اشهر ونصف في كل من نيويورك، واشنطن، فيلادلفيا، بيتسبيرغ، شيكاغو، آن آربر، شامبين، ديترويت، هيوستن، آوستن، لوس أنجلوس، سان فرانسيسكو، وعام 1964 طرابلس (ليبيا)، وفي القاهرة ودمشق 1965. وفي الكويت وبيروت ،1966، وفي لندن وبيرمنجهام بإنكلترا 1967. وفي القاهرة والإسكندرية 1968، وفي بيروت 1969و 1970. وفي بلغراد وصوفيا1971. بكين (الصين(1972، وفي تونس والجزائر والمغرب 1973. وفي فيننا (النمسا) وباريس وروما ا1976، وفي برلين 1977، وفي المتحف الوطني الألماني في برلين 1977، وفي بيروت 1982، والكويت 1984، وفي أبو ظبي 1986، وفي المنامة وكوالالمبور واليابان 1987، وفي الكويت 1989، وفي عمان 1994، وفي ورام الله ونابلس والناصرة وبيروت 1996، ومعرض "السيرة والمسيرة" في عمان 2000، وفي أنقرة وإستانبول 2001، وفي الدوحة وأبوظبي والشارقة ودبي والقاهرة ودمشق وحلب 2002، وأخرها كان في بيروت 2003.

تمام الأكحل في مرسمها بعمان، وما زالت تحمل مفتاح بيت والدها في يافا

رحلة في الشريان

جرحكَ يمتد عبر ألوان اللوحات التي كانت تظهر لدقيقتين ليترجم على الشاشة البيضاء بواسطة (الفانوس السحري) لتأتي أخرى بعدها.. صمت.. تنهد واسى يترجم إلى إصرار وتحد وبقاء.. تبدأ المسيرة منذ سنوات الرحيل الأولى عندما سكنت العائلة في غزه، فكانت أولى أعمال الفنان إسماعيل شموط أيام دراسته في القاهرة ((بداية المأساة)) فشكلت نموذجا تعبيريا عن واقع الألم والجوع والعطش عبر مأساة الرحيل.. التي تتكرر في حياته سبع مرات.

الفرح الغاضب.. حجارة أقواس القناطر.. صدى الزمان والمكان.. يافا الحلم والحقيقة، رسالة البقاء رغم شراسة المأساة.. رغم ((فرنكلشطاين غاليري)).. فان بيتها، طفولتها المسلوبة.. عشقها البحري.. رمال يافا، أزقتها، كل نسمة تمر من خلال نوافذ البيت ما زالت باقية.. بقاء تمام الأكحل وأعمالها الرائعة.. رسالة تتحدى الموت والفناء تتحدى القهر والشقاء.. تمام الأكحل عوسجة وشقيقة حمراء.. سحر وقصيدة عشق.. منسوجة بألوان إبداعاتها الفنية.. ابسطها أعظمها.. كونها تحمل الحياة، ابسط ما فيها عظمتها الكامنة بين مساحات اللون المتتالية والرسالة التي تحكي مراحل الزمان.. والغضب.. كيف كان ممكن أن تكون لو لم تكن هناك ريشة تمام الأكحل وإسماعيل شموط.. ومأساتنا واغتيال حلمنا الإنساني، كيف كان يمكن أن يكون لو لم يوثق هذا العملاق تاريخنا في أعمال فنيه غاية في الإبداع والرصد الإنساني. "الرحيل"، "العطش"، "تل الزعتر"، "شموس نيسان ،" "الغرق"، "نحن والبحر"، "الدهيشه"، "الحب والحصار"، "بقايا الرحيل"، "المعتقل" ،"الانتفاضة"، "اطفال الحجارة"، "حارسة النار".. هذه بعض أمواج بحره الهادر المعبأ بقصائد الحس الإنساني. دعها تأتي إسرائيل، مؤسسات وفعاليات شعبيه وحكومية، لتحطم كما تشاء، ولتصدر للعالم حلمها الصهيوني بان هذه البلاد كانت ارض

بلا شعب.. وبان الصهيونية رسالة إنسانيه.. وان إسرائيل لم تمارس الفاشية ضد أبناء شعبنا الفلسطيني.. يستطيعون كل شيء!! أما نحن فرغم هذا الزمان الرديء ورغم تسيب الفكر الإنساني والحضاري المعاصر، ورغم الظلم الذي ارتكب بحقنا، والتآمر على حلمنا الكبير في الحياة والاستمرار والبقاء.. فانه يحق لنا رغم كل شيء أن نمتلئ فخرا واعتزازا.. فشعب أنجب تمام الأكحل وإسماعيل شموط لن يموت.. أبدًا لن يموت. أن هذه الأعمال الخالدة وثيقة إنسانية تصل قمة المجد وشاهد أزلي يروي حكاية الجرح الفلسطيني منذ النكبة.

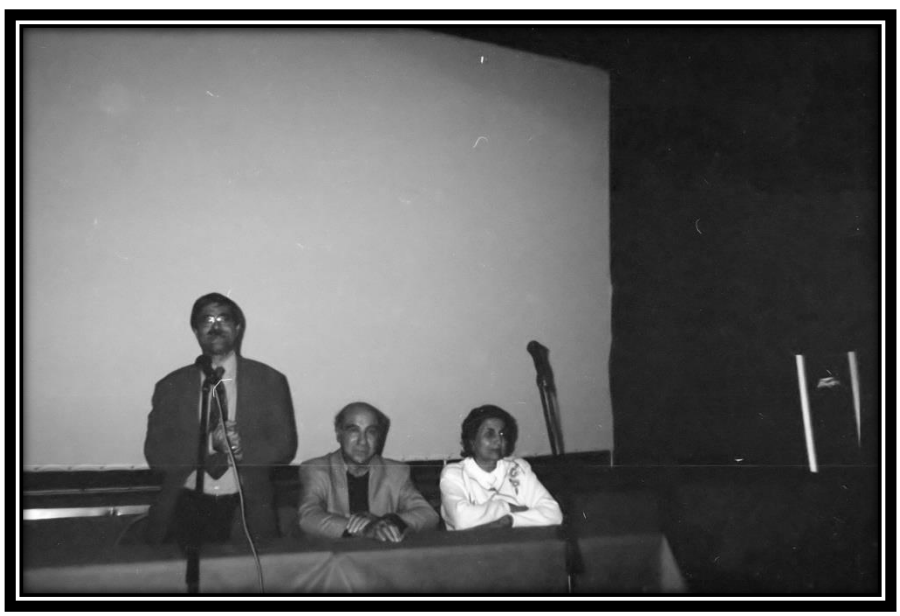

اثناء حفل التكريم الذي اقامته بلدية الناصرة سنة 1997

أن مجمل أعمال الفنان المبدع إسماعيل شموط – صوت صارخ في البرية – تحمل الطابع التعبيري، ذات الملامح والحركات الواضحة، كأنه يريد أن يقول – إن هذا الشعب، الشعب الفلسطيني، إنسانه، إنسان ذات ملامح حضارية وتاريخ عريق، حيث أنها تشكل

السمة المميزة المتوارثة من جيل إلى جيل.. يريد أن يحدث العالم، وان يروي للبشرية جمعاء قصة هذه الملامح، لأجل ذلك فهي متقنة غاية الإتقان، كأنها تملك الحياة في خلاياها. فواقعية هذه الأعمال التعبيرية ومبناها الفني المتماسك والمتكامل ليس بإمكانها أن ترتدي طابعا وصبغة أو أسلوبا فنيا غريبا.. إنما هي الدلالة والأسلوب الذاتي المتمرس في ذاتيته، هي أسلوبه الخاص المتفاعل المسيطر على كل جزء من بقايا اللوحة، فلا مكان للفراغ في لوحاته، ربما يخاطبها من خلال ذلك، بان فلسطين بمجملها كتلة واحدة لا تقبل التجزئة.. وليس هناك من مساحة منها يمكنه أن يكون خارج دائرة الوجود الفلسطيني.. أي أن اللوحة قطعة متكاملة عند إسماعيل شموط، ذلك الشاب الذي باع الحلاوة في طرقات وأزقة قطاع غزه حافي القدمين، أشعث الشعر، مغبر الملامح، غبار لم ينل من عزة نفسه الأصيلة وإنسانه المبدع، فما اللوحة عنده سوى فلسطين. لذلك يملأ مساحاتها بالحركة والبقاء المستمر لأناس اختلطت أنفاسهم بتراب هذه الأرض.. فان أي جزء من فلسطين، لم يكن من دون تاريخ أو شعب أو حضارة، لذلك نجد لوحاته مليئة بكل ما له صلة بشعبه وأرضه.

إن يده التي تصر على صنع هذا النمط الإبداعي، تستقر في اللوحة بنفس الإصرار والكبرياء.. تقبض على العكاز لتؤكد الصلة العضوية بالأرض.. ويده الأخرى تحتضن عنصر بقائنا للغد المقبل، تحنو عليه تخبره إننا ما زلنا هنا.. كما أن اللون الترابي الخصب يتجسد في ملامح الوجوه والأيدي متحدية مساحة اللون الأحمر الملتهب الذي يحمل قصة دماء الأبرياء الذين سقطوا في مسيرة جرحنا الفلسطيني.

"قرية السمّوع" من أعمال الخليل، تلك التي دمرتها آلية الحرب الصهيونية في سنة 1966.. باقية في أعمال إسماعيل شموط، باقية بآثارها المهدمة ومساحات الدم والدخان المنتشرة والمترامية على أطرافها، وثيقة أبدية تحكي فصل من فصول رواية هذا القمع الفاشي القذر،

ومثلها الكثير من المشاهد التعبيرية المحسوسة إلى درجة انبعاث الحياة من داخلها. أي كبرياء يحملهُ هذا الإنسان ابن الخامسة والستين عاما، هذا الذي حول كل مشهد من مشاهد هذا الوطن إلى وثيقة تستصرخ ضمائر البشرية والإنسانية جمعاء.. أن هذا العمل الفني المرتبط بالواقع الحياتي الحقيقي والبسيط هو العمل الأعظم في روايتنا وطريق خلاصنا، حيث انه انبثاق من أعماق الأرض، من تحت أنقاض البيوت المهدومة، من أزقة المخيمات الباقية إلى حين.. وفي خضم ذلك، لوحة "إلى حين" في مركزها ذلك الوجه المجهد لرجل يحمل طفله المريض على كتفه ومن حوله أولاداً آخرين، يقبض على عصاه بحزم ويده اليمنى، يد العطاء والعمل، تشد كتف ولد آخر.. تخبره بأننا هنا إلى جانبكم.. هنا معكم إلى أن تقوم الساعة.

وفي لوحة أخرى كهل عصامي جالس يصطلي بجمرات كانون فخاري من برودة الليل وعتمته، ومن خلفه ألواح خشبية تمثل حيطان بيوت المخيمات. يقول الفنان إسماعيل شموط عن ذلك "إنها صورة والدي.. دائما كنت أصحو لأجده على هذا الحال.. وكم كنت استيقظ واسمعه يتحدث إلى نفسه". ولكن في اعتقادي انه من خلال اللوحة يتحدث إلى الآخرين – الناظرين – دون أن يلتفت إليهم. لأنه يعلم علم اليقين أن هذه المهزلة لا يمكن أن تستمر، وان هذا الوضع لن يبقى كذا إلا لحين.

هنا أود أن أتحدث عن الخجل الذي رافق العديد من لوحات الفنان إسماعيل شموط.. واعتقد أن مرَدهُ لخجل الفنان من انتمائه للعالم العربي الذي لم يستطع حماية فلسطين.. بل انه كان جزءاً من المؤامرة على شعبها وترابها.. حيث نرى ذلك الخجل الإنساني المربك في أبطال لوحاته الذين لا ينظرون مباشرة إلى المشاهد بيد إنهم يتحدثون إليه لكنهم ينظرون إلى مكان ما.. يغضون الطرف!! كي تتوارى ملامح الشقاء الكامنة في حدقات العيون، ذلك يعطي

شعورا مضاعفا بالمرارة والأسى، حيث أنك تبحث عن علاقة إنسانية من خلال العين بينك وبين اللوحة، فتجد أن هذه الطاقة المفعمة بالحياة لا تبادلك نفس الاهتمام، بل تنكب في قراءة صامتة دامعة لفصول مأساتها وجرحها الدامي. لكن حين ينوي الحديث عن المستقبل تجده يعلن بكل إصرار وحزم من خلال أبطال أعماله ألفينه، الذين يحملون ملامح إنسانية معبرة تواجهك بنظرة مفعمة بالثبات والحزم والتحدي، حتى ليعجز الناظر إليها عن تحمل مواجهتها لأكثر من بضع دقائق، وربما لو استطاع الناظر البقاء أمامها والتحديق فيها لمدة طويلة، لشعر أن أبطالها يخرجون من إطار لوحاتهم لينفذوا وعدهم بالعودة.

لك أن تكون كذلك.. ولك أن تفرح وتبتسم أيها المهاجر دوما.. فإلى جانبك رفيقة عمر غاية في الطيبة والتواضع الإنساني.. تعيش في ظلك مع أني وجدت ملامحها تمر في أعمالك وتحوم كطير السنونو في كل مجازاتك اللونية.. لمحت مضامينها وعروق دمائها منسوجة في لوحاتك.. هذا هو الحلم الذي يستيقظ بين يدي امرأة عظيمة ليصبح عملا إنسانيا عظيما.. تمام الأكحل، قصيدة مكتوبة بسمامات اللون على لوحات إسماعيل شموط، هي النسيج السحري البراق الذي يمد إبداعاته بالطاقة والحياة، لكنها أيضًا تحمل ملامحها الفنية الخالصة والخاصة بها.. تنتقل من حال إلى حال، وتعود في كل حال.. إلى يافا.. قصيدة بحرية تتنفس من خلال أعمالها.. تجلس معك، تمشي معك.. تنقل رائحة البحر.. تروي حكاية الرمال وأقواس قناطر البيوت ومسار الطرقات.. ترى الفرح الإنساني ضمن أكثر أعمالها.. يطيب للموشح أن يتقمصه حصان عربي أصيل يصدح باللحن عبر لوحاتها وبين قصيدة شكلنا العاري بعد حرب العراق.. إنها وخزات ضمير تلبس حالات متعددة، فان ما تريد أن تقوله واضح المعالم محدد الأهداف.. يعبر عن صدقها بما تحس وما تريد أن تقول. ينتقل اللون والشكل ليرتدي زيا فلسطينيا يحكي روايات الأيام الخوالي.. يتحدى الطمس والعهر الفكري والسياسي والانفرادي في عصر ضياع وتريات الإنسان الطيب. أن العبء الذي تحمله عبر أنفاسها، ماذا سنعطي للأجيال القادمة؟

كيف سنهيئ لهم العالم للعيش في المستقبل؟ هذه الحالة الفلسفية تواجهك في لوحة فتى منتصب بصعوبة وهو يحمل جثة هامدة، أقدامها تشكل عقبة في طريقه بسبب التوائها المتناقض لحركة تقدمه!! لماذا لا يحمل هذا الفتى شبحًا مريضًا؟؟ لماذا جعلته مبدعتنا الرائعة يحمل جثة هامدة؟ حتى تحجر الدمع في مقلتيه.. إذا كان الإيمان بالإنسان عظيما حقا فيجب أن يكون هناك صياغة أخرى للوحه.. وان كان هدفها استصراخ الضمائر البشرية لأخذ دورها في إصلاح ما يمكن إصلاحه قبل فوات الأوان.. فان هذا المشهد هو العاصفة التي لا تنتهي في حدود الزمان والمكان.

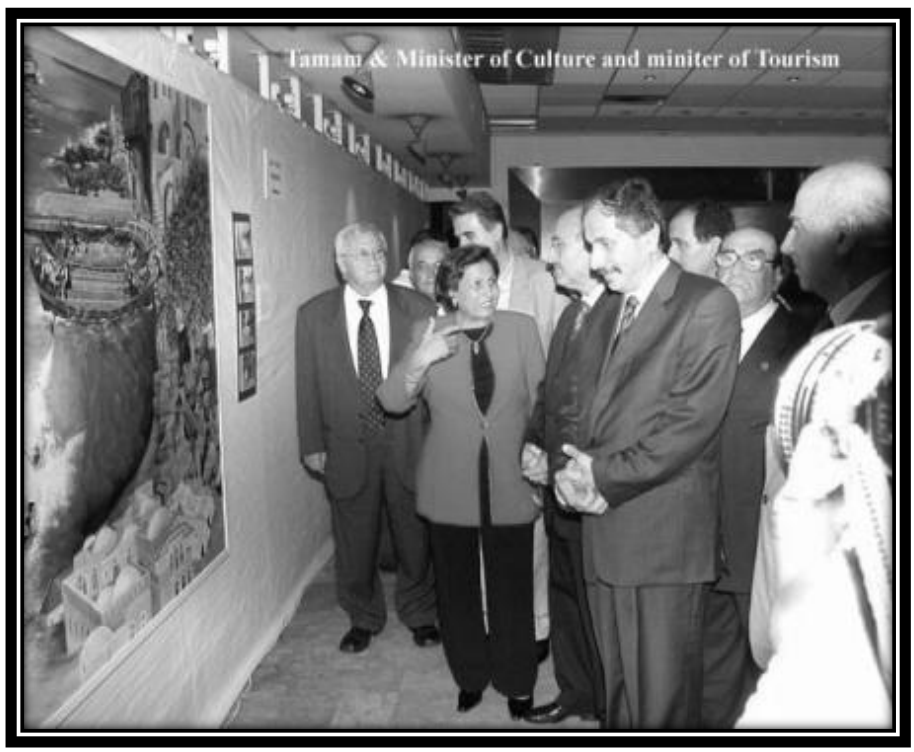

في الصورة تمام وإسماعيل أثناء حفل افتتاح معرض "السيرة والمسيرة" في بيروت

إن صدق المشاعر المنسوجة من خلال ألوان لوحات المبدع إسماعيل شموط والرائعة تمام الأكحل، ما هي إلا انعكاس حقيقي للمكونات الخلقية الإنسانية التي يتحليان بها.. وكنت أتمنى لو إني اعرفهما منذ زمن بعيد، واقصد المعرفة الشخصية لا الفنية.. كي أستطيع أن أتعمق في هذين الكائنين اللذين يخبئان الشمس في صدريهما قوتا وياقوتا ذهبياً ينسكب عبر لوحاتهما بشكل أنساني يعمق ترابط اليوم بالأمس، ويعطي شحناته وطاقاته الفوق اعتيادية للوصول بثبات لزماننا الآتي.

صحيفة "الاتحاد" – 8 كانون أول 1977

"تمام الاكحل" من مجموعة "الخابية، جذور فلسطين" – رسم زاهد عزت حرش

تمام الأكحل.. رسولة فلسطين

هو الميلاد المتجدد للعطاء المتأصل في كيان طاقات باقية بقاء الدهر والوطن!... أين كنا سنجد لوننا الإنساني في عصر التشوه هذا؟؟ في عصر الاستقطاب المشحون بالحقد والنذالة تحت ستار مواجهة الإرهاب.. يا معضلة ينفذها بعض السخفاء طوعاً في سياق استفحال عهد المعلوماتية، خدمة لرب واحد هو رب رأس المال ورأس الحرب ورأس الخيانة!

إلا أن شعباً امتلك برتقال يافا، وسنابل البروة وزيتون الجليل.. وبقاعاً وارفة الظلال، ينابيعاً وسماء صافية من الحب والإيمان.. بالأرض والإنسان، ليس بوسعه، رغم ما حل به من نكبات وويلات ومجازر، إلا أن يكون شعباً عاشقاً للحياة.!! وهذه هي تمام الأكحل، ابنة بيارات يافا، ابنة رمال شواطئها، وزرقة بحرها الممتد على طول ساحل فلسطين.. ها هي تحمل ألوان العشق الأزلي للحياة، لفلسطين، وتذهب إلى هناك! إلى بلدة ربما اقل من اعتيادية، تقع في ايطاليا، في الجنوب الشرقي منها.!! إذاً ليست هي روما، وبالطبع لن تكون فينسيا.! إذ لا يقطنها سوى أربعمائة شخص فقط، ويرجع تاريخها إلى بضع قرون خلت.. والمدهش أن أهلها يؤثرون الحفاظ عليها كما هي، بأزقتها، بساحتها القديمة، بكنيستها، بقناطر بيوتها الباقية.. حفاظاً على ما كان في وجه تحديات الزمان! وقد أتاحوا لأبنائها ومحبيها أن يقيموا أحياء جديدة تبعد بضع كيلومترات عن مسطحها ومساحات الألوان الخضراء الممتدة حولها! اسمها "سكونتروني.." حفرته على صفحات الحضارة المعاصرة بأحرف من ذهب خالص! ليس لشيء، سوى لأنها أقامت ثاني متحف لفن المرأة في العالم، أطلقت عليه اسم "المتحف الدولي لإبداعات المرأة في الفنون ("Muse International dell Donne Nell Art)، وقد وجد متحفًا وحيدا آخر في العالم يقع في "واشنطن" ويدعى المتحف الوطني للمرأة في الفن" The National

Museum of Women in The Arts).) أما الثالث فلا يزال قيد الإنشاء في إحدى المدن الأوروبية!

وموجز الفكرة يلخص بأن هذه القرية اعتمدت فكرة إنشاء هذا المتحف فقامت بتوفير المكان له. وقومت جدرانه بالأعمال النسوية من خلال طلب التبرع بلوحات ذات أهمية وقيمة فنية، التي استطاعت أن تجمع بعضها من قبل مقتني الفنون، من أهل البلدة ومن البلدات المجاورة ومن أرجاء ايطاليا بشكل عام. وقد أتاح هذا التوجه الشامل لفن المرأة تبني إقامة معرض سنوي، تدعى إليه فنانات من شتى أنحاء العالم، تشارك الواحدة منهن بأربع من أعمالها وتتبرع بعمل منهم كهدية للمتحف، يمكن اعتبارها تعويضاً على ما تقدمه البلدة الوادعة من ضيافة ومساهمة في تدعيم هذا التوجه الحضاري والإنساني.

فاعلمي يا جحافل الاحتلال الأرعن، رغم مما ترتكبينه من قتل وتدمير وإبادة.. أن هنا في هذا الحدث المميز تشارك فلسطين أيضًا!! بصرح من صروح حركتها التشكيلية، اسمه تمام الأكحل!! ذلك إلى جانب مشاركات مبدعات عربيات هن.. زينب خليل وهدى مراد من مصر، سعاد العطار من العراق، فتحية جاروشي من ليبيا، كما أخريات من انكلترا، أمريكا، أستراليا، ألمانيا، فرنسا، اسبانيا، بولندا، الأرجنتين، البرازيل، رومانيا، وغانا!... فحسبنا أن هذا هو عطائنا إلى الأمم والزمان، في عهد يقتل فيهِ أبناء فلسطين ليس من خلال مواجهة في ساحة حرب اعتيادية.. إنما من خلال إرهاب دولي تمارسه ترسانة من الذخيرة الامريكواسرائيلية.. تحت غطاء الصمت العربي القذر!

لم يأتِ الافتتاح بمراسيم باريسية الأضواء والصخب، إلا انه جاء متجانس مع جدران البيوت المحاذية لساحة البلدة القديمة هذه، مفعمًا بغناء كلاسيكي أدته ابنة تلال تلك الربوع برفقة عزف على البيانو.. ذلك بحضور عدد من المدعوين من أبناء البلدة والمدن المجاورة، إضافة إلى شخصيات تمثيلية على مستوى الدولة. تكلم في الحفل ممثل وزارة الثقافة الايطالية، منظم المعرض ورئيسة البلدية.. بكلمات ترحيب لا تتعدى اللياقة الأدبية، ومن ثم عاد منظم المعرض ليُعَرِّف الحضور على الفنانات المشاركات، فدعيت كل واحدة بدورها ليقول على الملأ ما دونه تاريخها الإبداعي، وبعده أفسح المجال لكل فنانة بالرد على هذا التكريم بكلام تختاره لهذه المناسبة.!! وبهذه المناسبة أيضًا قدمت رئيسة البلدية هدية تذكارية، عبارة عن قطعة فنية من الإنتاج المحلي، لكل واحدة من الفنانات المشاركات. والجدير بالذكر أن معرض هذا العام جاء تحت عنوان "اختيار الورد"(Rose's Choice). وقد صاحبه إصدار كراس هو عبارة عن "دليل المعرض"، جاءت صفحاته المائة وعشر، ممتلئة بصورة شخصية لكل مشاركة مع نبذة عن تاريخها، وعمل من الأعمال المشاركة لها في هذا المعرض.

شاركت الفنانة الفلسطينية تمام الأكحل في هذا الحدث الفني الدولي، من خلال دعوة أرسلت لها من قبل القائمين على المتحف، وقد وصل الثُنائي شموط إلى روما في 18 تموز 2003، حيث كان باستقبالهما اثنان من بلدة "سكونتروني،" وفنانتين تشكيليتين من مصر هن زينب خليل وهدى مراد دعيتا للمشاركة أيضًا في هذا الحدث.. وقد استغرق السفر إلى البلدة البعيدة عن روما مسافة 200 كم، ما يقارب ثلاث ساعات. وصل الركب إلى "سكونتروني" مع ساعات الليل الأولى، لتكون في انتظارهم امرأة على قسط وافر من الحسن، تخطو على مهل سنوات ربيع العمر، هي (العمدة) أي رئيسة البلدية.!! اسمها "باتريشيا" وكان بصحبتها عدد من مساعديها، إضافة إلى لفيف من الأديبات والفنانات اللواتي حضرن من ايطاليا ومن أماكن مختلفة من العالم.

لطالما استوقفتني أعمال الفنانة القديرة تمام الأكحل، فكلما التقت عيناي بزاوية الفن التشكيلي التي تحتل جزءاً لا باس به من مكتبتي، وجدتني المح خيوط ألوان ومساحات فلسطين، من خلال ما احتفظ به من البومات لأعمال لها ولرفيق دربها العائلية والفنية والكفاحية.. الأستاذ إسماعيل شموط! وكم من المرات التي تصفحت بها هذه الأعمال لساعات طوال، ولم ارتوي رغم إنني أحفظ الكثير من ملامح تلك الأعمال عن ظهر قلب.!! تنتمي أعمال تمام إلى المدرسة التعبيرية الواقعية، إلا أنها ضمنتها شيئاً خاصاً تميزت بها أعمالها، وذلك من خلال التعمق في المضمون والابتعاد بقوة وذكاء عن التفاصيل الدقيقة، التي يمكنها في كثير من الأحيان، أن تسلب المتلقي وتُبعده عن الشعور العام الذي تحمله اللوحة.

لقد كتبَ عن أعمالها الأستاذ عماد عبد الوهاب في مجلة الهدف الصادرة في دمشق يوم 8.7.1985 ما يلي: **"أن أعمال الفنانة تمام الأكحل أتت لتعالج موضوعات**

لها صبغة غير مباشرة، لكنها في الحقيقة شكلت قفزة نوعية بكل المقاييس ووضعت الفنانة في إطار خاص ومميز، وربما متفرد أيضًا. فهي التي تدرجت من الواقعية إلى المحاولات التجريدية التي تعتمد على الزخارف الفلسطينية بأسلوب يبتعد عن التزينية التي وقع ضحيتها الكثير، واقتربت من المعالجة التشكيلية المحكمة عبر التركيز على انسجام التكوين، بفراغاته وأشكاله وانسجام اللون، والاهم هو استثمار الزخارف الفلسطينية الهائلة وتوظيفها بشكل يحمل الصفة الإبداعية"

تمام يا تمام.. يا رسولة اللون الفلسطيني الأرجواني، المتسربل بروح العشق المعتق للحياة.! يا سنبلة عطاء لا يجف.. يا برتقالة يافاوية حملت رائحة الليمون في رئتيها إلى بقاع الأرض.! يا صهيل خيول تعدوا نحو الشمس والحرية.. حسب فلسطين أنك ابنتها الوفية.. وحسبك أنكِ أنتِ هي أيضًا.

الجمعة 12 أيلول 2003 صحيفة "الاتحاد" الحيفاوية

من مجموعة "السيرة والمسيرة" الوان زيتية على قماش 165/200سم

من أعمال الفنانة تمام الاكحل

عبد عابدي

عبد الرحمن عابدي - عبد عابدي، ابن مدينة حيفا.. ولد سنة 1942.

كان جده لامه، المرحوم عبد الرحمن الحاج، رئيس بلدية حيفا ما بين 1920-1927.

درس الفن في المرحلة الثانوية، ضمن دورات فنية على يد الفنان العبري إبراهام يشيكل والفنان النحات مردخاي جفري.

انضم إلى نقابة الرسامين والنحاتين في إسرائيل سنة 1962، وكان أول فنان عربي فيها كما كان الأصغر سناً بين أعضائها.

سنة 1964 سافر إلى ألمانيا الديمقراطية الشرقية، لدراسة الفن في معهد الفنون الجميلة في " درزدن"، وذلك من خلال منحة تعليمية كان يؤمنها الحزب الشيوعي ضمن علاقاته المميزة مع دول الكتلة الاشتراكية في حينه. وقد تخصص هناك أيضاً في فن الجداريات والتصميم الجغرافي على يد الفنان جيرهارد كيطن، والفنان هورلبك فلآه جروبنديج.

سنة 1970 حصل على درجة M.A، وبعدها استمر لمدة سنة أخرى في دراسة رسوم الجداريات "رسوم الحائط."

عاد إلى حيفا سنة 1972.

بعد عودته عمل في صحيفة " الاتحاد " لسان حال الحزب الشيوعي لمدة سبع سنوات، كما كان أول من أقام دورات لتعليم الرسم في القرى والبلدات العربية في الجليل، وذلك ضمن دورات تثقيفية أقامتها المراكز التربوية والثقافية حديثة العهد حينها. ومثال ذلك دورات الفنون في المركز الثقافي في بلدة كفرياسيف التي استمرت زهاء 25 عام، وقد تدرب على يديه عشرات الرسامين ومعلمي الفنون خلال هذه الفترة، خاصة من كفرياسيف والقرى المجاورة.

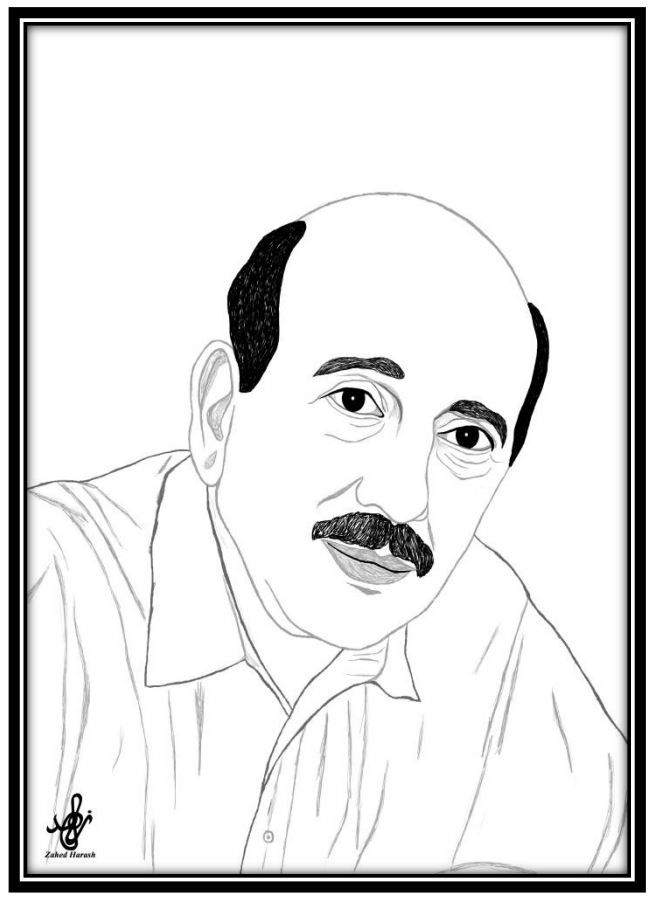

عام 1977 أقام وبالاشتراك مع الفنان التقدمي غرشون غنسبيل، النصب التذكاري لشهداء يوم الأرض، والذي لا يزال إلى اليوم يربض على أرض مقبرة بلدة "سخنين" في الجليل.

"عبد عابدي" من مجموعة "الخابية، جذور فلسطين" رسم زاهد عِزَّت حرَش

عام 1985 أنجز النصب التذكاري لمدينة شفاعمرو، وذلك بمناسبة مرور 75 عاماً على قيام مجلسها البلدي.

أقيمت للفنان عابدي عشرات المعارض الخاصة، في البلاد والخارج.. كما شارك في عشرات المعارض الجماعية الفلسطينية والإسرائيلية.. لقد شكل عبد عابدي ظاهرة فنية لا يمكن التغاضي عنها، وقد أرسى بوجوده وجهده المتواصل أُسس تكوين الحركة التشكيلية للأقلية العربية الفلسطينية الباقية في وطنها!

من أعمال الفنان عبد عابدي

تحت عنوان "التجريب الجريء.. والتخريب البريء" كتب مروان العلان في كتاب (تشكيل 1 الصادر أواخر (2002.. عن معرض عابدي الأخير الذي أقيم في مركز خليل السكاكيني الثقافي، والذي ضم أعمال نحاسية، ما يلي:

"يتسم الخط الأول، وهو الأقدم في مسيرة الفنان، برؤية تشكيلية مضمونية لونية واضحة وقوية، تمثلت في دلالات ورموز ومفردات قريبة إلى

الإحساس والوعي، بعيدة عن الاستغراق في تجريد غامض، سهلة المنال، يتضح فيها نضج التجربة واستكمال العناصر التشكيلية في كثير من اللوحات. بينما اتسم الخط الثاني بتجربة جريئة، دفع الخط الأول ثمن جرأتها ضعفاً وحيرة وتنافراً وتشابكاً في الرؤية غير منسجم. وقد استخدم الفنان في خطه هذا خامتي النحاس والخشب في أعمال أطلق عليها أن تسمى (تجريبية). وسبب ضعف هذه التجربة، ليس في كونها جديدة وجريئة، فهي ليست وحدها تتصف بهذا، بل في كونها لم تتقن توظيف الخامات بما يخلق حالة تشكيلية تقدم للمشاهد بعداً ناضجاً، لرؤية شكلية أو لونية أو مضمونية قوية واضحة." **ص 128**

يميل عابدي إلى التعبيرية التجريدية، وأعماله لها صلة وثيقة بالقضية الإنسانية والوطنية لشعبنا الفلسطيني. وقد كانت أعماله في العقدين الأولين من مسيرته الفنية أكثر وضوحاً ومباشرة في التعامل مع الموضوعات الوطنية، بيد انه في العقدين الأخيرين.. تحول أكثر إلى الحداثة والرمزية، وقد جاء ذلك من خلال رؤية فلسفية تستدعي استعادة وأحياء الذاكرة والحنين، وذلك من خلال أعماله ومعارضه التي حملت العناوين التالية "صمت البحر"، "البحث عن المستتر" و "ما بعد البحث عن المستتر."

كتب عنه الفنان كمال بلاطه، في دراسته التي قدمها في المؤتمر السنوي الثاني لجمعية الخريجين الأمريكيين العرب، والتي أقيمت في ديترويت في ولاية منشيغات في الولايات المتحدة في كانون أول سنة 1969, ما يلي: **"... ومع انه (عبد عابدي) مثل أكثرية العرب يميل إلى التعبير الكلامي إلا أن لوحاته عناصر قوية غير متأثرة بالكلام.. ان عابدي لا يبكي مأساة اللاجئين فقط بل انه يتغنى بفلسطين في خطوط**

ملتوية برقة (في أرضنا)، انه يثور على الطغيان والاستعمار في (افتحوا الأبواب) ".

وفي موقع آخر جاء عنه:

"لمياه عبد عابدي الراكدة أعماقها الخاصة المواراة بصيحات مكتومة من الاحتجاج الحزين على غبن شخصي وقومي وإنساني لازم الفنان طفولته الممزقة بين الغربة والوطن والغربة في الوطن".

سميح القاسم

من كراسة معرض " فلسطين الواقع والحلم "- عمان 5 أيلول 1997

كتبتُ عن الرسام عابدي العديد من المقالات كان أولها:

نخيل متناثر على ضفاف طبريا

بيت "جبرئيل" على ساحل بحيرة طبريا.. مكان يجمع بين أروقته فعاليات ثقافية مختلفة.. يتوافد عليه أناس من أنحاء الدنيا.. وأمام إحدى قاعاته المتوسطة المساحة تجمهر عدد من الوافدين من جنسيات مختلفة، عرب، يهود وأجانب، تجمع فيما بينهم فكرة واحدة هي المشاركة في حفل افتتاح معرض "البحث عن المستتر 2" للفنان الكبير عبد عابدي.

لقد ضم المعرض سبعة عشر لوحة أعدت بتقنيات متعددة.. يتجانس فيها الأسود ومشتقاته، ويتميز بداخلها عالم منسجم من الألوان وخاصة الفضي الممزوج بتداخلات لونية وحركية متنوعة بتناسق إبداعي يحمل رموزاً وبقايا أجزاء لمواقع متقاربة متباعدة تمتد ما بين الحاضر والماضي، ما بين المرئي والمستتر.. وان هذا المستتر في أعمال الفنان ما هو إلا علاقته الروحية مع واقعه المنسوج في أعماله وارتباطه الوجداني بها، والذي استطاع عابدي أيضًا وبأسلوب فني قدير أن يجعلنا نتحسس شفافيته ومشاعره المرهفة المرتبطة بتلك الأشياء.

أن هذه الأعمال تمثل مرحلة متقدمة ومتطورة جداً في حياة الفنان عبد عابدي، فلقد

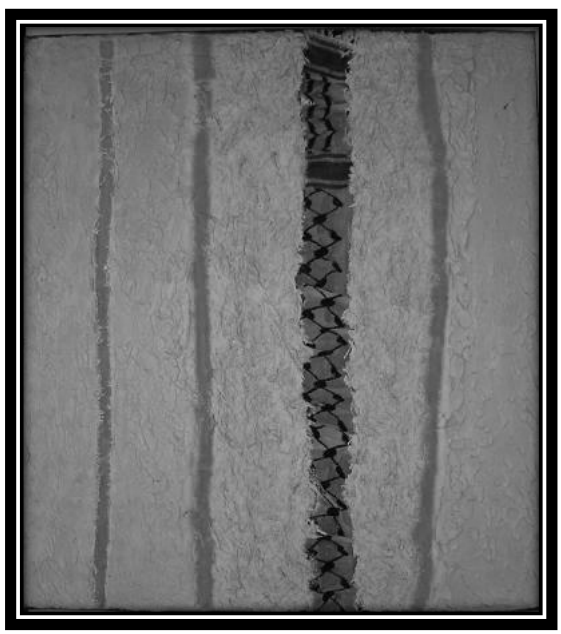

عرفناه فيما مضى ولغاية أواخر الثمانينات بأسلوبه المميز المنسوب إليه، وهو الرسم بالخطوط السوداء الحادة والظلال الكثيفة للوجوه والأشياء. أما هذه الأعمال الممتدة منذ عام 1990، فهي تحمل في داخلها اقتحاماً لعالم الألوان وانقلاباً في أسلوب الفنان وتقنيته، وهي مجازفة إنسانية مرتبطة بقدراته الإبداعية أللامتناهية، فان هذا التجسيد لموضوعاته الفنية داخل العمل الواحد وانتقال الموضوع ما بين عمل وآخر، كما يظهر ذلك في "باب بيت قديم" فهي مرحلة ما بعد الرؤية التصويرية للأشياء – أي هي الشكل الفني المتناقض في أبعاده وأجزائه المختلفة كما يرصدها الفنان بإحساسه وليس كما هي قائمة في حالتها الواقعية التصويرية. وفي أعمال أخرى

تنطلق مادة اللون الفضي في فضائها الرحب لتغطي مساحات غير متواصلة لتتميز بالتجديد والابتكار، فتعطي شعورًا معديًا لحالة الإنسان النفسية في هذا الزمان، منتقلة عبر الذاكرة من خلال زوايا "نافذة بيت قديم" و"وجه حزين مألوف لامرأة عجوز". كما أن هناك دائماً خلفية أو بعض من خلفية سوداء بعيدة المدى تنبعث مرة من داخل اللوحة وتارةً من عمقها تاركةً لك أن تبحث عن المجهول عبر شرخ في "باب قديم" أو "شق في خيمة" أو امتداد بنمط حدودي يفصل بين عالمين ذات طبيعة واحدة كما هو الحال في "من فوق سماء السعودية".

أن هذا الاقتحام المشحون بإحساس الفنان وتقنياته المتعددة يعطي المصداقية الثابتة لحالة واقعية لما يحمله الفنان عبد عابدي من حضور متميز على ساحتنا المحلية. كما أن هذه الموضوعات المستقاة من واقعنا الحياتي والذي عايشه الفنان تتحول من خلال تصوره الشمولي لتصبح رواية تحكي مسيرة أبناء شعبنا الفلسطيني الباقي في وطنه، متعدية ذلك أيضا باعتبارها أجزاء كونية متواجدة في كثير من بقاع الأرض تعطي لكل إنسان إمكانية التعامل معها بما يحمله وجدانه وإنسانيته عبر تاريخه ومكتسباته الذاتية، وهي أيضًا شكل حضاري وحضور فني يعمق العلاقة المتبادلة ما بين الكائن والوعي الاجتماعيين، ما بين الشعوري بالأشياء الباقية واللاشعوري المرتبط بما اندثر منها عبر مسيرة التطور التاريخي للوجود.. فتجعلنا دائماً نبحث عما تخبئه تلك المشاهد من أحاديث الزمن البعيد.

أن هذا العمل الجاد المبدع الذي يكمن في تركيبات متناقضة بين ما تراه وما تبحث عنه من خلال شقوق ممتدة كالجرح الأسود في عمق اللوحة، ما هو إلا حياة الصراع والتناقض التي عايشها مجتمعنا الفلسطيني في هذه البلاد، وهي أيضًا صورة عن حياة الفنان عابدي المليئة بالتناقض الحاد ما بين الأسود المعتم والأبيض الفضي اللامع، والذي اثبت بوجوده واستمراره في

مجال الإبداع جدوى قدرته على استنباط كل شيء جميل من هذه العوالم المختلفة والمتناقضة، معتمداً على موهبته الفذة المصقولة بتجربته الحياتية والفنية. أن الفنان عبد عابدي هو الفنان الفلسطيني ابن جماهيرنا العربية في هذه البلاد وهو الأكثر حضوراً وشمولاً على ساحتنا المحلية، وهو صاحب سجل حافل بالأعمال الإبداعية الخلاقة الماثلة في العديد من الجداريات والواجهات لمرافق قائمة في قرانا ومدننا العربية. وان هذا المعرض المتناثر كنخلات على ضفاف بحيرة طبريا هو نقلة نوعية في مسيرة عابدي المتجددة دوماً، ومحطة إضافية في سجل عطائه المستمر، انه مع العديد من مبدعينا يحمل عبئاً حضارياً يتجسد في الحفاظ على سجل تاريخنا القومي في ارض الآباء والأجداد.

الاتحاد – الجمعة 28 تشرين الثاني 1997

"في ساحة الدار" من أعمال الفنان عبد عابدي

خيوط شمس دافئة في أيام شتاء باردة

رحلة يومنا العادي تتحول إلى انتحار مع فنجان قهوة الصباح.. إذا لم ينكسر بلور ساعات عمرها الغالي بوميض بريق جماليات مدينة الفنون الخالدة.. هذه الحالة الوجدانية المنبثقة من غياهب الذات البشرية، تعزف على أوتار القلب لحن الصيرورة والبقاء. وتمدنا بألف سبب كي نتجدد كل يوم.. وكي نجذر بقائنا في هذه الأرض وعلى ثرى هذا الوطن.. الذي سأرتل مزموره الأبدي "سنبقى في هذا الوطن الذي ليس لنا من وطن سواه!"

تجليات، ربما ليست صوفية، في رحاب معابد الفن التشكيلي هناك "في ساحة الدار" الريفية العبقة برائحة الليمون والبرتقال وعشبة حصى ألبان.. ريف في قلب مدينة حيفا، على اليمين من شارع طلعة الجبل الزاخر بالحركة والضوضاء.. تربض قطعة من ثرى الجنة، مر في رحابها الطيبون، جيل إثر جيل!! وبناء عقد بحجارة قديمة عايش سماء بلاده السلاطين والغزاة، إلا انه بقي عربي الكلمة والتراب والإنسان! وألان.. الآن تزهر في فضائه ألوان ريشة الفنان عبد عابدي في رحلة ميلاد متجددة.. هي وعد الأجيال الواعدة بأننا "سنفهم الصخر إن لم يفهم البشر"... حيث سيشغل هذا المكان ورشة للإبداع المرئي، كي يساهم في تجذرنا وبقائنا.. ويعمق لغة التواصل الإنساني فيما بيننا بوسائل الحب والعطاء واستمرار الحياة.

حيفا يا حيفا.. يا أغلى المدن على قلبي بعد يافا البحر والرمال والبرتقال!! صديقي الفنان التشكيلي حميدو شلبك وأنا، جئنا نشارك أبي أمير فرحته في افتتاح معرض "في ساحة الدار".. فوجدنا الدار كلها ساحة من الطيب والياقوت والأزهار.. وعيون من كل البلاد هنا..

رحاب وترحاب.. هو ضجيج الفرح المشبع بالهمس والابتسام.. وعِشرة الخبز والنبيذ، كتلك التي يكسرها ابن الإنسان في العشاء الأخير.

تتحول الريشة بين يديه إلى أزميل تارة ليرسم فراغات في طين من تراب المكان.. ففي عمل هندسي الشكل يحمل فراغات دائرية تهذي بصوت هديل الحمام.. يذكرك الفنان عبد عابدي بتلك الأيدي التي تعجن الصخر فتاتًا لجياع الأرض.. متتاليات لسبعة أيام واثنا عشر شهر.. هي قصة الوجود اليومي العظيمة حد السذاجة.. إلا إنها تستطيع أن تكون هنا عمل فني حمل سحر الأيام الخوالي كوثيقة في وجه الدهر والأقدار.. "أنا هنا باقون."

مجموعة من الأعمال الجديدة تستقبلك في باحة الدار.. على الجدران القليلة هنا عمل كثير.. بالكيف والكم!! بيت الضيق يتسع لألف صديق!! ويتسع لأعمال تتحاور فيما بينها.. في البحث عن "المدينة الفاضلة" لفلسفة الأرض القديمة بصوت أفلاطون.. هذا الجدل الذي يستمر فينا إلى أن ينتهي احتلال الشعوب، وتسقط كل جدران التخلف والعنصرية والقهر الوطني.. ففي لوحة ذات تقنية خاصة.. جمعت في تكوينها الإنشائي كل معطيات أسطورة الإنسان الفلسطيني.. حيث جعل عابدي الإنسان الفلسطيني ذات قوة خارقة تستطيع أن تمر وتتواصل بشكل سحري عبر جدران من الاسمنت المسلح.. في حين حول جزء منه إلى حبل غسيل، علق عليه راية حمراء نسجت في وسطها كوفية فلسطينية.. تعلن بذلك أنها ثورة "ثورة، ثورة حتى النصر". كان الجدل المرئي هنا سيد المقام.. فما بين الدافع الملتزم لقضية شعب نحن جزء حي منه.. وبين موتيفات جمالية تتراقص على ضفافها زقزقة الوتر اللوني، جاء صوت النغم الحائر، حين تلتقي في تشكيل شيء هو شيء في إللاشيء.. إلا انه في آن واحد هو صفة جمالية للسفر عبر مخيلة الفنان، وعبر آفاق رحلته في البحث عن إجابات لأسئلة لم

تولد بعد. فهذه الحبال المشدودة والمتراصة كسلاسل ذهبية حيناً.. وحينا هي طرق، ممرات، حقل سنابل، سجادة صلاة، صلة، تواصل، قيود.. وأشياء أخرى!! فأنها في معظم الحالات تحمل في أحشائها قطع ترميز فلسطينية.. ما بين كوفية وقطع زجاج وصولجان.

أنت هنا قصيدة بحروف فلسطينية مكتوبة بتراب الأرض يا أبا أمير.. لا خوف عليك من العمر والسنين.. فأنت متجدد كمواسم العطاء، ولا خيار لديك سوى العمل والقليل القليل من العتاب.

يبقى ان نذكر حقيقة هي ان في العديد من النصب التذكارية التي انجزها الفنان عابدي لم تكن بأكملها من صنعه، فقد استعان في الكثير من الأحيان بفنانين آخرين لإنجازها، ومنها على سبيل المثال اعمال البرونز في النصب التذكاري لمدينة شفاعمرو منذ عام 1985، والنحت بالرخام للنصب التذكاري لشهداء كفر كنا. الا ان معظم الاعمال النحتية في الألومنيوم كانت من إنجازه، فقد خبر هذا النوع من العمل من خلال تجربته وعمله الى جانب الفنان الشيوعي غرشون كنسبل غداة إقامة النصب التذكاري لشهداء يوم الأرض.

صحيفة "الاتحاد" الحيفاوية 21.02.2005

نموذج التصميم الأول للنصب التذكاري ليوم الأرض

قاما بإنجازه الفنان اليساري غيرشون كنسبل والفنان عبد عابدي

برهان كركوتلي

برهان الدين كركوتلي فنان تشكيلي سوري، ولد في دمشق عام 1932م لعائلة كردية.

تخرج من قسم التصوير بجامعة القاهرة عام.

1958 ليستكمل دراسته في برلين التي تخرج منها عام 1963.

انتقل للعيش في ألمانيا عام 1983م وتوفي في بون في ألمانيا في 26 ديسمبر عام 2003م.

اقتصرت كافة رسومه على اللونين الأبيض والأسود، وكانت القضايا التي رسم فيها القضية الفلسطينية ورسوم المواويل ذات اللمحة الدمشقية الشعبية. إلى جانب رسمه كتب كركوتلي في النقد، كما لديه بعض الأعمال في النحت.

انتقل للعيش في ألمانيا عام 1983م وتوفي في بون في ألمانيا في 26 ديسمبر عام 2003م. اقتصرت عموم رسومه على اللونين الأبيض والأسود، وكانت القضايا التي رسم فيها القضية الفلسطينية ورسوم المواويل ذات اللمحة الدمشقية الشعبية. إلى جانب رسمه كتب كركوتلي في النقد، كما لديه بعض الأعمال في النحت.

اشتغل كأستاذ في كلية الفنون الجميلة بدمشق ورسام ديكور في التلفزيون السوري.

تجول كركوتلي في حياته وأعماله بين سوريا، المغرب، المكسيك وغيرها، ومسّت أعماله قضايا تحررية للشعوب كالفلسطيني والمكسيكي، بالإضافة إلى قضايا مثل المرأة والفقر وغيرها.

حسبك أنك برهان كركوتلي

عام على رحيل ثورة موال عربي في وطن الغربة

"غنِّي قليلا يا عصافير فاني كلما فكرت في أمر بكيت"

يقتلني بغاء هذا الوطن العربي الممتد من الهادر إلى الثائر "سجون متلاصقة سجان يمسك سجان".. يقتلني هذا الظلم الموبوء بكل الأحكام العرفية.. وقانون الإرث المنزل باسم سلاطين العهر، لعروش ملوثة بدماء الإنسان العربي، والتاريخ العربي، الفكر العربي.. فإلى متى نموت هناك.. في وطن ليس لنا.. ونعود إلى الوطن رفات وذاكرة.. وربما لا نعود!! يقتلني هذا الصوت الكاذب والنبض الكاذب.. والصمت الكاذب.. لأنه لا يحمل العاصفة.. "كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".. فإلى متى يظل الصوت العربي الحر مذبوحاً على عتبات مماليك الردة، أقزام الامبريالية، قواد البيت الأبيض، إلى متى يدوسون بنعالهم ملامح حياتنا السوداء.. ونصمت صمت القبور.. إلى متى؟؟!

عام مضى على رحيلك أيها الصوت الصارخ باسم الثورة.. أيها الدمشقي المولود من رحم فلسطين.. ريشتك موال صدح باسم الحرية والقضية.. وموالك ريشة أثرت فضاء الكون بالحلم الإنساني العظيم.. بأنه لا بد من واقع آخر!! واقع الجمال، الحب، الحق، الحرية.!! فحسبك إنك موال الثائر، حسبك أنك برهان كركوتلي!!

قبل عام، أي في أواخر كانون الأول عام 2003، أعلنت إحدى مستشفيات مدينة بون الألمانية، خبر وفاة الفنان العربي السوري الفلسطيني برهان كركوتلي، عن عمر يناهز ال 71 عاماً قضى قرابة نصفها بعيداً عن حضن الوطن. فمات مرتين!! مرة بداء الغربة والحنين إلى الوطن.. والأخرى بداء التعتيم والقهر العربي لكل ما هو ثوري وأصيل وأنساني!! إلا أن هناك من حملوا تراثه الفني والإنساني ونقلوا قليلاً منه، ليحتل قليلاً مما سمحت به سماء ثقافتنا المقروءة.. علنا نحمله إلى الغد الآتي، لينهل من حلمه حلم آخر يتوق للحق والشمس والحرية!!

"إنني كرسام أحب الجمال في كل شيء. الجمال ضرورة للحياة ولهذا أتأثر به بسرعة وعمق. فانا هنا لا أعنى جمال الوجوه فقط، بل كل ما يحمل صفة الجمال. جمال الروح، جمال الفعل، جمال الصدفة، جمال الشجاعة. إن الكفاح السياسي الثوري يحمل ذات الجمال الذي نراه في عيون امرأة جميلة. إنه الجانب الآخر في جمال الثورة. لان الثورة هي الحلم لتحقيق عالم إنساني جميل. ليس جميلا بأشجاره وزهوره فقط، بل بما هو أهم أيضًا، بإنسانه الحر. فماذا يهمني من جمال العالم، إذا لم تتوفر السعادة لساكنيه. ماذا يهمني من جمال غابة أو جبل إذا كان في سفحه جثة لإنسان اغتيل غدرا وظلما". برهان كركوتلي

ولد برهان عام 1932، تمرغ ككل أطفال العالم على ثرى بلاده.. فحضن الأم وحضن الوطن لا يمكن أن نولد منه وفيه سوى مرة واحدة في العمر.!! كانت ولادته ببيت محاذ لفندق بسيط متواضع في إحدى حواري دمشق يملكه والده.. وفي رحاب فناء هذا الفندق تعرف برهان على جذور القضية الفلسطينية منذ ما قبل النكبة.. ذلك من خلال رواد هذا الفندق من الفلسطينيين، ومنهم استمع إلى ملحمة الجرح الفلسطيني وهو بعد في مقتبل العمر.. فسكنت فلسطين، كما سكنت دمشق ببيوتها وأزقتها، جنان قلبه ووجدانه وروحه الدافئة المشاعر، ومات وهو ينادي باسمها معاً بصوته السردي لتغريبة الحق الفلسطيني، أمام واجهات المقاهي وعلى خشبات المسارح، في بون وبرلين وفرانكفورت بألمانيا.. يروي لكل الناس قصة الثورة على الظلم والاحتلال والعدمية والتشرد.!! ويحلم على مسمع منهم بالثورة على الظلم والفقر والتخلف.

غادر دمشق متوجهاً إلى القاهرة في عام 1954 ليلتحق بمعهد الفنون الجميلة فيها.. حيث درس فن التصوير الملون (الرسم الزيتي).. أنهى دراسته هناك عام 1958، ويترك القاهرة متوجهاً إلى اسبانيا ليترجل مشواره الدراسي في كلية سان فرناندو بمدريد سنة 1959.. ومن

هناك يرحل إلى برلين، كي يدرس فيها فن النحت، الغرافيك، والتصوير الجداري، ما بين 1961- 1963. وليعود قافلا إلى ربوع وطنه الأم.. إلى ارض الشام التي لم تحتمل وطء هديره الثوري المشبع بحب الإنسان والوطن.. فعمل أستاذاً لفن الغرافيك في كلية الفنون الجميلة في دمشق 1967-1968.. إلا انه اضطر إلى الذهاب لبيروت دون أن يحصل على مرتبه عن السنة التي قضاها في الشام.. لم يحتمل هذا الباشق الثائر ظلم ذوي القربى، فهاجر سنة 1971 إلى موطن زوجته ليستقر وإياها باقي سنوات عمره، متجولاً ما بين المدن الألمانية الكبرى يمارس عمله كفنان حر، يردد مواله الثائر من خلال ريشة التي اعتمدت اللون الأسود على بساطها الأبيض.. وليعلن من خلالها عن قوة الحق في وجه الظلم وقوة النور في وجه الظلام.

رسم برهان كركوتلي أعماله عن دمشق وحواريها، رسم طرقاتها وأزقتها ونوافذ بيوتها.. رسم قناطرها ومآذنها وأسواقها.. كما رسم فلسطين بمأساتها ومآسيها.. رسم فلسطين بدماء ثوارها ومقاتليها.. رسم فلسطين ببنادقها وتشردها ومعاناة أهليها.. رسم فلسطين بحلم العودة ورسم القدس ثلاثون عاماً وأكثر.. حتى أصبح جزءًا من فلسطين والقضية.. كل ذلك على بطاقات بيضاء وبلون واحد.. هو لون الحبر الصيني الأسود.. ليجسد من خلال هذه الرسوم رؤيته التعبيرية لطفولته المحجوزة خلف جدران دمشق.. وليروي قصة حلمه الثائر للحق الفلسطيني والإنسانية جمعاء!! طيلة هذه السنوات ظل يرسم برهان كركوتلي مواويله الثورية، على بطاقاته البيضاء لينثرها على الناس بأسعار شعبية.. كي تكون صوت فلسطين المسموع في كل أرجاء الدنيا.. ي حملها عبق أنفاسه عن كل شيء معتق بالذاكرة.. ذاكرة الوطن الذي يسكن في الإنسان حين يكون هائمًا بين ضباب الغربة وقسوة الوطن. كان يعرض تلك الأعمال على أرصفة الطرقات وهو قابض على آلة العود، يعزف عليها الحان مواويله التشكيلية.. كأنه صوفي وَفَق ما بين هذيان الموسيقى وهذيان الجسد.

الفنان إسماعيل الدباغ وزوجته، المخرج فؤاد عوض، الفنان رمزي شيخ قاسم،

الفنان برهان كركوتلي والفنان صقر السلايمه

وفي السنوات الأخيرة من عمره توقف هذا الفنان العريق عن عرض أعماله في الصالات الكبرى.. حين أيقن من أن ألمانيا.. بل أوروبا برمتها، لن تسمح لفنان من أصل عربي، مهما ملك من قدرة على العطاء، أن يصبح شريكا في صنع تاريخ الفن الإنساني هناك وهنا.. وبالتحديد قبل وفاته بعشر سنوات، استبدل مسار عطاءه ليرتدي ثوبا فولكلورياً يحمل في طياته صوت الموال الثوري الناطق باسم الحق والحرية.. فلعب دور "الحكواتي" متلبسا شخصيته الشامية المحفورة في ذاكرة الطفولة كوشم عربي أصيل.. تقمصها بكل ما فيها من إثارة وحدة وسخرية.. ليروي لمستمعيه قصص النضال الثوري التي كانت تجود بها بنات أفكاره بشكل

تلقائي.. إضافة إلى قصائده المكتوبة بالألمانية، تلك المعبرة عن أحلامه الجميلة التي أوردت مقتطفاً منها في بداية هذا الكلام.

في هذا السياق كَتب عنه أحد النقاد الذين واكبوه وعرفوه عن قرب يقول: "ظلّ برهان يحكي أكثر من ساعة مؤلفاً الحكايات بصيغة فورية، مشخصاً تفاصيل المواقف الملحمية، مستعرضاً العناوين مما يكشف نسيانه لبعض المضامين من دون أن يثير فينا أدنى ملل. كان هذا العرض البارع المرتجل ذريعة لإقناعنا بما نحن مقتنعون به أصلاً وهو أن: السياسات الدولية والمحلية لا تعمل لمصلحة الإنسان."

مات برهان كركوتلي.. ولم ينل حقه كفنان متميز بأدائه وأسلوبه وأدواته وقضيته.. لا من وطنه الأم سوريا.. ولا من الوطن العربي الأكبر.. كما لم تعطِ الظروف الحالية لفلسطين قيادة

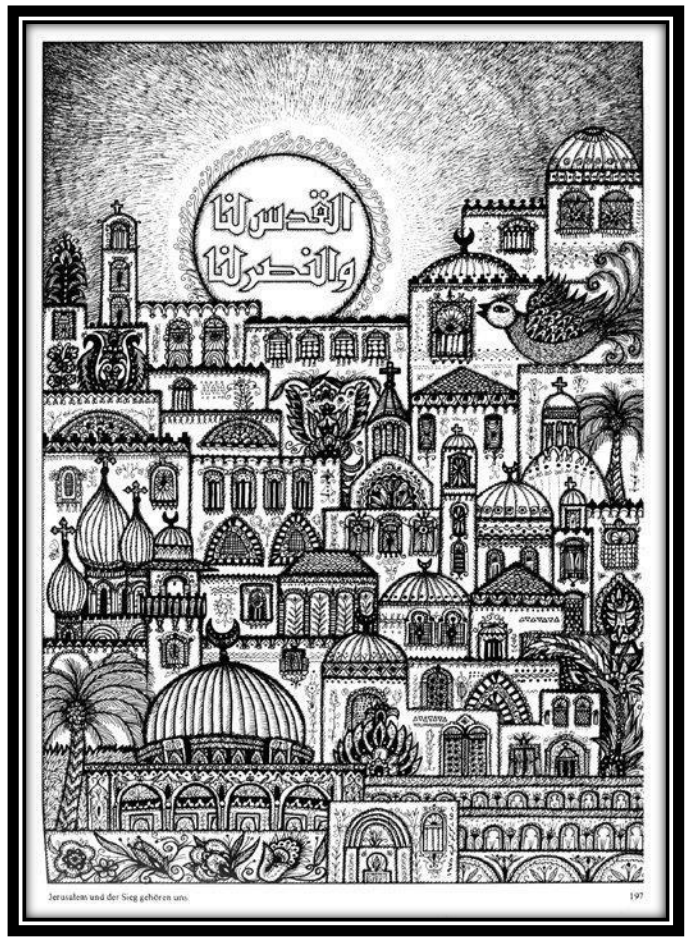

ومؤسسات وشعب، أن يحتضن تراثه وينشره بالشكل الذي يليق فيه.. إلا انه على الرغم من قسوة الظروف، فان فلسطين قامت بتكريمه بعمل فيلم وثائقي عنه.. كما اعتبرته أحد أهم الوسائل النضالية الفنية الفلسطينية، التي رصدها الشعب الفلسطيني وقيادته الثقافية في مواجهة الصهيونية ودحر مزاعمها. سيمضي الكثير من الزمن.. أجيال وأعوام!! حتى تأتي الأيام العظيمة التي يتحرر بها الإنسان العربي من نير العبودية والاستعباد.. ويقبض بكلتا يديه على زمام أموره.. ويعرف تاريخ عظمائه ومخلديه.. ويعرف تاريخ وفضل ثواره أنبياء الحق والحرية، فيعيد لهم اعتبارهم ويكتب أسماءهم بأحرف من وهج الشمس على جبين أبنائه آنذاك.. يومها سيكون اسمك يا أبا نديم.. يا موال الثورة النقي، أول الأسماء!! فلا عليك أن امة أنجبتك لن تتخلى عنك ولن تنساك!

ملحق "الاتحاد" 3 كانون أول 2004

هكذا عبر برهان عن معتقداته ورسالته الفنية:

"احلم أن اشتري حمارا في بلدي سورية واضع لوحاتي على ظهره, وأدور بها من قرية لقرية واعرضها على الفلاحين الفقراء"

يعتبر برهان "أن اللوحة تكون حية وتستطيع التغيير إذا كان من ورائها هدف وقضية، تموت عندما تستقر على حائط في دار ثري.. وتملك قوة التغيير إذا انتشرت بفعل الحركة والتداول بين الناس"

وقيل عنه أنه "ردم المسافة بين اللوحة والمتلقي، مستعملاً مصطلح "اشتراكية اللوحة""

اللوحات المرفقة من أعمال الفنان السوري الفلسطيني برهان كركوتلي

مصطفى الحلاج

مواليد سَلَمة /قضاء يافا عام 1938

درس النحت في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة وتخرج منها عام 1963.

أتم دراسته في مراسم الدراسات العليا بالأقصر وتخرج منه1968.

أول معرض خاص عام 1964 في القاهرة.

أقام العديد من المعارض الفردية في البلدان العربية والأجنبية، كما شارك في المعارض الجماعية في كل من القاهرة، دمشق، بغداد، الرباط، الجزائر، تونس، عمان، الشارقة، أمستردام، موسكو، إيران وغيرها.

أعماله موزعة بين متاحف القاهرة والإسكندرية ودمشق وبغداد وعمان وفي بلدان كثيرة في أوربا وأمريكا والشرق الأقصى.

من آخر أعماله لوحة جرافيك بلغ طولها 114م.

توفي في دمشق 12.12.2002.

مصطفى الحلاج.. احتراق في قاعة الانتظار

زارني الحزن فوق العادي.. واورثني مزيدًا من الألم ومزيد اً من عمق المأساة الذاتية والوطنية.. فكم من أبناء هذا الشعب المهجر يموت على عتبات الغربة والضياع؟؟ ذلك مساء الاربعاء 16.12.02 إذ وصلني من على صفحات البريد الالكتروني، مباشرة من الاستاذ إسماعيل شموط.. نبأ وفاة شيخ الفنانين الفلسطينيين.. النحات مصطفى الحلاج. وذلك من خلال مقالة كتبها شموط لذكرى رحيل هذا الفنان الشيخ، حملت عنوان "الفنان التشكيلي الفلسطيني مصطفى الحّلاج يلتحق بركب الراحلين"..

"مصطفى الحلاج" من جدارية "الخابية، جذور فلسطين" رسم زاهد عِزَّت حَرَش

بدأت تواً بالكتابة عنه بهذه الفقرة.. وجثم فوق مشاعري صمت وذهول.. منعني من الاستمرار في الكتابة عن هذا الرحيل المأساوي الى الان.. وقد بحثت ما استطعت عن مواد

وتراثيات تدلني على تاريخ هذا الراحل المهيأ للسفر دوماً.. الى ان وجدت انه من الواجب علي ان اكتب لذكراه ما أستطيع.

لم يمت هذا الذي اسمه مصطفى الحلاج، والذي أطلقت عليه فلسطين اسم، شيخ التشكيليين الفلسطينيين.. لم يمت لكنه احترق.!! احترق كشمعة خلقت من اجل أن تقاتل الظلام، احترق، لأنه "من الشرارة يندلع اللهيب".. احترق كالمأساة، ليتمم مأساة الحلاج الصوفية، ذاك الذي دهن وجهه وصدره ويديه بما نزف من دمه على الصليب، ليكتمل طقس رحيله المشبع بالعشق والصوفية.!! احترق الحلاج كقطع جداريته التي أنجزها حرقاً وحفراً على ألواح "المازونيت "الرخيص، ليرتفع بذلك قدراً وقدرة، وليسمو بذاته وبقضيته وبعطائه إلى صفوف الخالدين.

احترق الحلاج في "قاعة الانتظار.." فدمشق، التي احتضن زاوية من أزقتها الفقيرة.. بقبو شُغِل لزمن ما مكان سميّ "مرسم ناجي العلي" ذلك بعد اغتياله، كي لا تندثر وراء ستائر النسيان كل خيوط جريمة الاغتيال.. نام فيه الحلاج ما بين عمل وتواصل، كالشاهد الذي يواجه الطغاة في عدمية الاستمرار والبقاء!! كان فيه، كُوّنه "قاعة انتظار" يستقل منها قطار العودة المسافر باتجاه واحد نحو فلسطين.. إلا أن سكة جداريته استوقفته لحظة نشوتها لتأخذه معها في قطار العودة، المسافر باتجاه واحد إلى النهاية!

ما التقيت به، وما رأيته بصورة منقولة حية مرة في حياتي.. لم التقي به سوى من خلال تلك الرموز المتحركة صمتاً، فوق المساحات السوداء المطبوعة على صفحات قليلة من كتب الفن التشكيلي الفلسطيني.. هذا الضالع بالتأمل والتوغل في متاهات التكوين.. هذا

الزاحف نحو ما تبقى منها لينسج فوقها حالات من صراع البقاء، ما بين الليل والنهار، ما بين خطوط الضوء والمساحات السوداء، حتى أن رحيله لم يأتِ هادئًا، ناصعًا في صمته المسكون بالتناقض.. بل حمل ملحمة أخرى على راحتي الصراع المنطلق بحثاً عن الحقيقة.

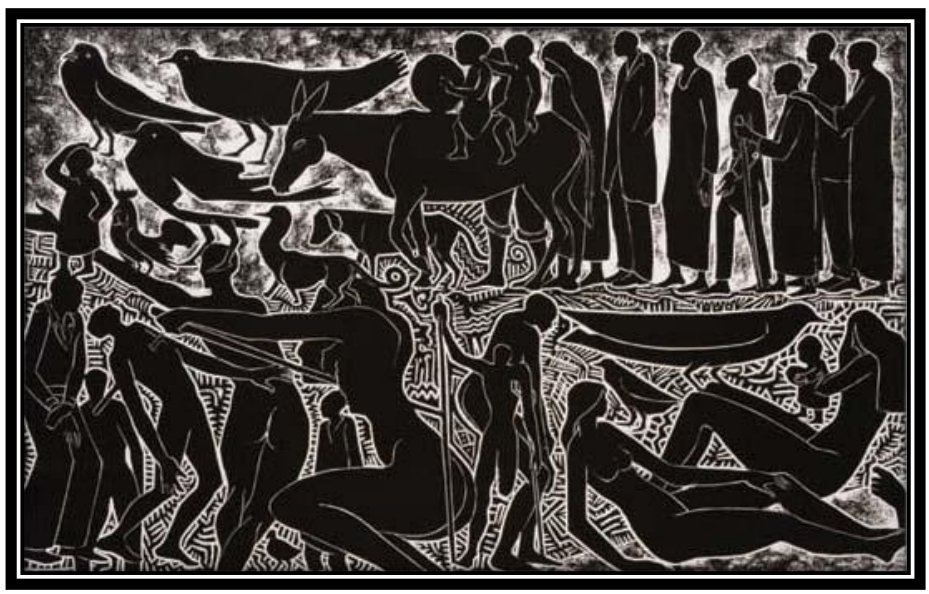

مقطع من الجدارية شارك في معرض " صنع في فلسطين " في هيوستن

ولد الفنان الفلسطيني مصطفى الحلاج سنة 1938، في قرية سَلَمة من أعمال يافا.. ابتلاه الزمان كما ابتلى أبناء فلسطين بالاقتلاع والتهجير.. فسكنت أسرته ارض مصر. مرت على مصطفى الحلاج صور مشابهة لصور العذاب، التي مر بها الفقراء على أرصفة مخيمات الأرض اليباب.. وعانى كأبناء هذا الشعب الصامد من ذل المهانة وشظافة العيش. إلا انه مع حلول أواخر خمسينيات القرن الماضي، التحق بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ودرس فن النحت عمداً.."أنا درست النحت عن رغبة لأنني كنت ذاهباً من اجل دراسة النحت والعمارة، فالعمارة

هي أم الفنون كل الفنون. درست النحت لأنني من خلاله أستطيع أن أرى الشيء من 360 درجة". من حوار أجراه معه مفيد نجم. من ثم التحق كوفد من قبل الدراسات العليا للاشتراك برسم الأقصر جنوب مصر.

يعتبر الحلاج أول فلسطيني يدرس فن النحت والغرافيك."كان الحلاج من أكثر الفنانين التشكيليين العرب ثقافة، تمتع بقدرة جيدة بالحديث عن الفن وعن الفلسفة والتاريخ، وكان صاحب بال طويل لا يمل الحديث مهما طال عن هموم الحركة الفنية الفلسطينية والعربية بشكل عام، ويؤمن بأن الفنون كلها تيار ثقافي واحد، كل منها يفعل ويتفاعل مع الفنون الأخرى. كان صديقا للأدباء والشعراء والفنانين، وكانت جلساته ممتعة ومفيدة فكريا في الوقت ذاته". من مقالة إسماعيل شموط.

مقطع من الجدارية التي شاركت في معرض " صنع في فلسطين" في هيوستن

استنبط، هذا الضالع بالثورة والأمل والمثابرة، وسيلة مبتكرة للتعبير عن همه الفلسطيني والوجداني. فاخذ يشطب بالسكين والإبرة وجه ألواح الخشب الرخيص، ليحولها إلى قطع نادرة ذات قيمة حضارية وإنسانية غالية، حيث نسج عليها مسيرة مخزونه الفلسفي

والمأساوي، في جدلية شعرية تشكيلية قائمة على الحوار ما بين الأبيض والأسود المحترق، باحثاً فيها ومن خلالها عن مصداقية التاريخ والإنسان والأرض والزمان.. إلى أن تقاطعت أجزاء العطاء والعمل بوتيرة النار المعدة لإحراق المساحات الخشبية، فأحرقت ذاته وكيانه وعطاءه أيضًا.

هكذا نحن، لا نكتب إلا عن مأساتنا، فقد بحثت مع حلول مأساته، عبر الكثير من المنافذ، لاستدل عليه ولو بما يشفي القلب والضمير.. فما وجدت سوى ما أرسله الأستاذ إسماعيل شموط في المقالة أنفة الذكر.. والقليل القليل فقط هنا وهناك.! وتحدثت إلى الزميلة سامية حلبي، وكانت في تشرين من ذاك العام قد التقت به من خلال زيارة إلى مرسمه، ومعها وفد من متحف ARTCAR لتشارك جداريته في معرض "صنع في فلسطين".. لتقول لي، أن الخبر سقط عليها كالصاعقة، وان ما يقتلها حزناً هو أن يفارق هذا المبدع جداريته قبل أن يتمها.. وأكثر من ذلك، هو أن تحترق أجزاء كبيرة من جداريته معه.. وتذهب إلى حيث يمضي هو أيضًا.!!

أما بعد.. وقد اعتدنا أن نكتب عن المأساة والرحيل، فقد استطعت أن اجمع ما يقارب عشر مقالات عن الحلاج وجداريته.. خلال الأشهر الماضية، شارك فيها أقرب الناس إليه.! وكلهم يذرفون دمعاً على واقع لم يكن في الحسبان أبدًا.! لان تواصل واستمرار حلم العطاء الحي للجدارية "النهرية" التي وصل طولها إلى 93 مترًا.. كان كحلم العودة!! متأصلاً فيه إلى ما بعد كونه حيًا.. وهو الذي قال في سياق ذلك **"سأستمر فيها طالما أنا حي، وقادر على العمل. أحياناً تتعب يدي فأتوقف ثم أعود فأكمل العمل. هذه اللوحة ستتوقف فقط عند الموت"**. من حوار أجراه معه مفيد نجم.

إلا أن أحد أقرب الناس إليه يروي كيف أنهم قبل وقت قليل من رحيله عملوا جماعة من اجل توثيق حلمه المستمر.. فكتب يقول "لقد انشغلنا جميعاً بموضوع تصوير تلك اللوحة العملاقة وتوثيقها. إنها، بالفعل، عمل جبار، ليس فقط من حيث الحجم بل ومن حيث المحتوى والشكل الفني.. موفق قات اعتمد تصويرها بالفيديو؛ عماد صبري قام بالتصوير الفوتوغرافي ليل نهار؛ وتعهدت أنا التوضيب الكومبيوتري، وشارك عدد كبير آخر من الأصدقاء في إدارة بعض أعماله اللا نهائية. كنا نشعر به والنشاط يدب فيه، ويلفه الحب والوطن وهاجس الإنسان." من مقالة بعنوان "مصطفى الحلاج فنان الأساطير" كتبها وليد قارصلي في مجلة معابر الالكترونية.

أستطيع أن اكتب المزيد عنه وعن جداريته وحلمه الثائر.. إلا أن ما تم توثيقه منها، ما هو إلا أعظم شاهد عليه وعلى واقع المأساة.. فقليل من الرؤية المنظورة لتكتمل الرؤيا.. والسلام!!

صحيفة "الاتحاد" الحيفاوية 27.10.2006

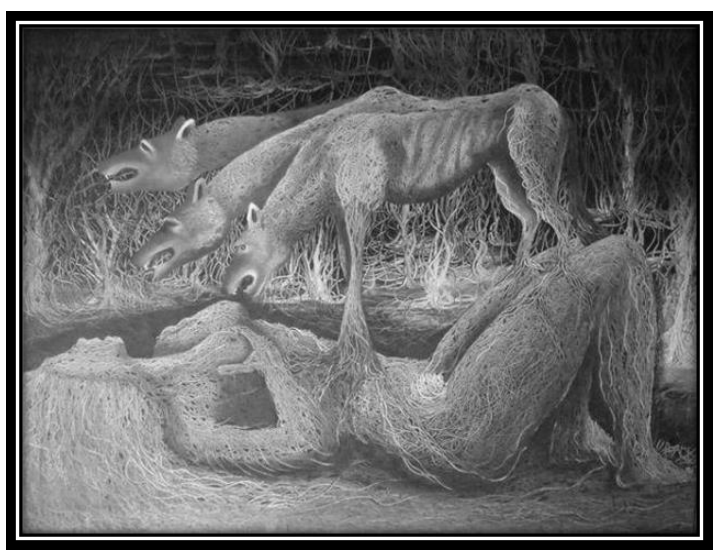

مقطع من جدارية "النهرية" للفنان الراحل مصطفى الحلاج

كامل المغني

من مواليد غزة/ فلسطين - حي الشجاعية 1943/12/27م.

بكالوريوس ديكور كلية الفنون الجميلة- الإسكندرية 1966م.

ماجستير في سيكولوجية الرمز واللون 1987م.

حاصل على وسام اتحاد الفنانين السوفييت 1979م، وعلى وسام بلدية داندي - اسكتلندا 1981م.

جائزة الشراع الذهبي - الكويت 1989م، والجائزة الأولى عن الفن التشكيلي بمهرجان جرش الثالث الأردن، وجائزة معرض البيئة الفلسطيني القدس 1978م. كما حصل على درع اتحاد العمال الفلسطينيين نابلس 1976م، إضافة إلى جائزة عن أحسن شعار للمؤتمر الاجتماعي الفلسطيني الأول القدس 1986م.

أقام أربعة وثلاثين معرضاً شخصياً وثنائياً داخل الوطن وخارجة.

أنجز خلال مراحله الفنية ما يقارب الخمسمائة عمل فني موجودة ألان في عدد من المتاحف العربية والدولية ومقتنيات خاصة داخل الوطن وخارجة.

أمضي في سجون الاحتلال ثلاث سنوات من1969-1972م بتهمة انتمائه إلى صفوف الثورة الفلسطينية، عمل رئيساً لقسم الفنون التشكيلية بكلية الفنون الجميلة جامعة النجاح الوطنية/نابلس فلسطين المحتلة.

قام بتصميم وتنفيذ النصب التذكاري للشهداء في مركز شباب مخيم بلاطة 1979م وقد تم تدميره من قبل قوات الاحتلال الصهيوني.

4.03.2008 مات كامل المغني في غزة.. وهو عميد كلية الفنون الجميلة في جامعة النجاح الوطنية.

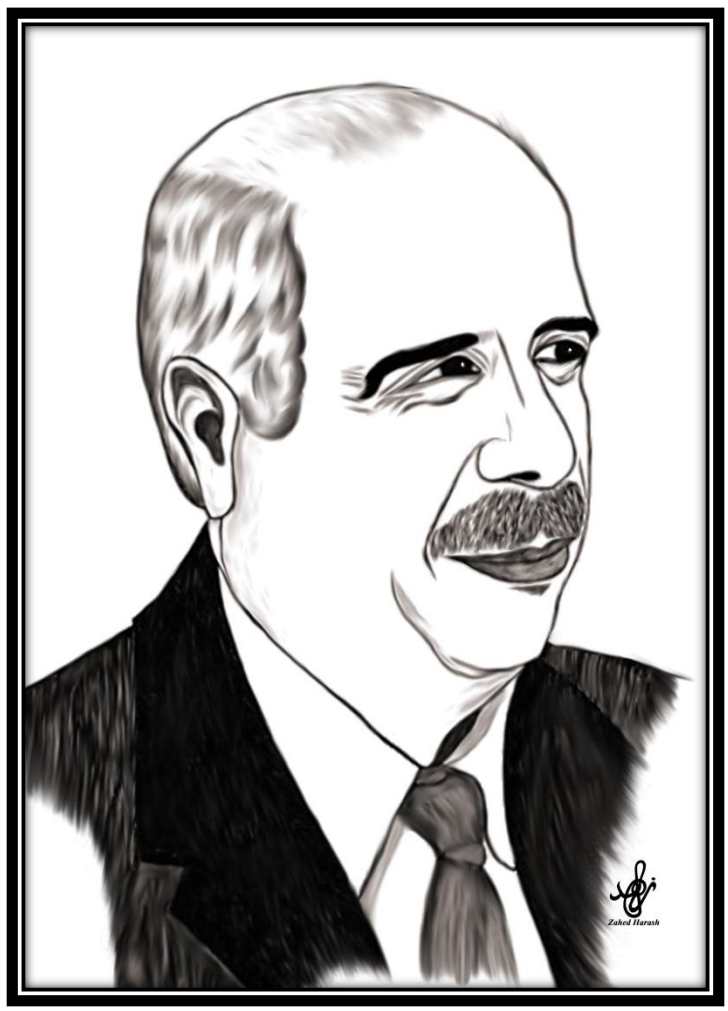

"كامل المغني" من جدارية "الخابية، جذور فلسطين" من أعمال زاهد عِزَّت حَرش

القدس.. ووتريات فلسطينية

حول أول معرض لأعمال الفنان كامل المغني في شفاعمرو

تستضيف مدينة (ذات الأرام) في أروقة قلعة ظاهر العمر، في مركز شفاعمرو الجماهيري، معرض لإبداعات الفنان الفلسطيني كامل المغني، حيث سيفتتح المعرض في السابعة والنصف من مساء الاثنين 1999/7/19.. فلقد اختير الفنان الفلسطيني الكبير كامل المغني، كفنان متميز للعام 1999 من قبل موسوعة Whose Who العالمية.. فأحسست أن هنالك واجباً أخلاقيا وإنسانيا يحتم علنا أن نساهم نحن أيضًا، هنا على ارض وطننا، بتعريف مجتمعنا وأهلنا على أبناء شعبنا المتميزين الذين يساهمون في صنع الهُوية الثقافية الفلسطينية. وان يتعرف الناس على دورهم بالغ الأهمية في تطوير حركة الفنون التشكيلية وإرساء قواعدها كأي شعب له تاريخ وحضارة وحضور أنساني عبر الزمان.

إن مفكرة تاريخنا الفلسطيني زاخرة بالأسماء العظيمة التي صنعت من هول المأساة رسالة عشق مفعمة

بالعزة والإنسانية.. ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، الفنان التشكيلي العريق إسماعيل شموط والفنانة تمام الأكحل والفنانة سامية حلبي وآخرون، والكثير من الأسماء الكبيرة في عالم الأدب والشعر والموسيقى والمسرح والعلوم، كطيب الذكر إميل حبيبي والشاعر الخالد محمود درويش.. من هنا جاءت فكرة إقامة معرض خاص بأعمال الفنان كامل المغني.. وما أن اتصلت به حتى أبدا استعداداً تاماً لذلك.. بل تحمس بطيبة عفوية لان تكون انطلاقة مسيرة معارضه الجديدة من مدينة شفاعمرو من قلب قلعتها التاريخية، حيث إنها المرة الأولى التي يقام له معرض فيها.!

هكذا بدأت البحث عن إمكانية تجسيد هذا الحلم.. فتوجهت إلى بلدية شفاعمرو، والى مركز شفاعمرو الجماهيري. تقدمت باقتراح خطي، فكان الرد ايجابيًا.. وقد تم الاتفاق على أن تقوم البلدية بتغطية تكاليف إصدار الدعوات والتضيفات يوم الافتتاح، وان يقوم مركز شفاعمرو الجماهيري بإعداد مكان العرض.. ذلك، على أن أقوم بالتطوع ودون أي مقابل، بترتيب كافة المواضيع المتعلقة بإحضار اللوحات والاتصال مع الفنان كامل المغني وتنظيم المعرض

والإشراف عليه.. فقمت بزيارة مدينة غزة وتعرفت على الإنسان الكبير، الذي زادني اللقاء احتراماً وإعجابًا به، حين رأيت أعماله الجديدة المتطورة، وقرأت سجل حياته الفنية الزاخر.. وما وجدته من مساحات الالتقاء والتقارب الإنساني ما بين الأعمال العظيمة لهذا الإنسان وإنسانيته.. حتى وجدت إنني ملزم جداً، بعمل كل ما يلزم من اجل إنجاح هذا العمل وتقديمه كعربون صداقة من المدينة وأهلها الطيبين لهذا الفنان الفلسطيني العظيم.

يقول أفلاطون: "الجمال فكرة موحدة كامنة في جميع الكائنات.. وهو غير مقتصر على جسم معين، وفكرة الجمال مقرونة بفكرة الخير.. لان الجمال هو العنصر الأساسي للخير". وكامل المغني، هذا الفنان الفلسطيني المبدع، هو شاعر الأغنية المرسومة بالإيحاءات والرموز الشعبية والفلكلورية..

وهذا الفنان هو الموثق تاريخها العريق. أن اللوحة عند كامل المغني هي مدخل معقد للعديد من العمليات الفكرية والحسية وكلما وعيّ المتلقي لأبعادها زادت الفرصة لديه للمزيد من التكامل الإنساني والوجداني للارتقاء بحياته الفكرية والثقافية. لقد تعامل الفنان كامل المغني مع اللون بذات الشفافية الأخلاقية الموروثة في كيان الإنسان العربي منذ بدء التاريخ.. وان الهزات والكوارث التي حلت بالشعب الفلسطيني زادت من إصراره على إننا امة تنتمي للحق والخير والإنسانية. وعلى **"أننا امة - لو جهنم صبت على رأسها - واقفة / ما حنى الدهر قامتها أبدًا / إنما تنحني لتعين المقادير أن سقطت أن تقوم / تتم مهماتها الهادفة"** مظفر النواب.. حتى أن الكثير من لوحاته التحريضية الثائرة كانت دائماً مليئة بالضوء المشع بالأمل والحياة، وكانت دوماً تحمل ضمن مكوناتها بعدًا ثلاثيًا آخر يروي قصة الفرح الغريزي المرتبط بنا والذي يعمق فينا الإيمان ببزوغ فجر جديد.

تبدأ إحدى أعماله (تراث فلسطيني) منذ العام 1994، بخلفيتها الخضراء المستمدة من التراث اللوني الإسلامي، وتقف في مركزها فتاة بلباسها الفلسطيني التقليدي والخمار الأبيض التي تمتاز به نساء منطقة غزة.. أما الزخرفة اليدوية المنسوجة على صدرها فأنها لا تشكل جزءاً من الثوب الفلسطيني وحسب، إنما تشكل أيضًا بحالتها الاستقلالية المسطحة سجادة أو حصيرة قصب مزركشة، ذلك من اجل أن تعبر عن حالة التعامل الجمالية في حياتنا اليومية.. من ثم تتوالى الألوان النحاسية في شكل دله القهوة وجرة الفخار الباردة، التي تحتوي ماء الحياة، ليذكر الشعوب الأخرى بما اعتمده العرب من عطاء وتضحية.. وفي عمل آخر يحمل اسم "غزة" يخرج الشعاع الدافئ من ضوء الأمل في شكل التكوين الشمولي، كأحد الرموز الأساسية في المدينة والمتمثل بتلك الجرار المعبرة عن ينابيع المياه وتحولاتها ما بين الصلصالي والأصفر المشع والزرقة ذات الشفافية الكثيفة.. أما النساء فهن العنصر التكويني في أعمال الفنان كامل المغني، وكأن المرأة، هي رمز للوطن والبقاء والعطاء ألامحدود.. فهذا الشكل البيضاوي الذي يوحي بشكل جرار الماء يوحي أيضًا إلى المرأة العربية التي تعمل عمل الوعاء، لتحمل كل هموم الحياة وقذارات المعتقدات البالية والعادات العقيمة، وهي مع كل ذلك اللبنة الأساسية لتكوين المدينة واستمرار البقاء فيها. وفي عمل ثوري تتحد الأيدي السمر والسواعد لترفع شعلة النور والحياة.. شعلة الثورة، في عمل أطلق عليه الفنان اسم "تغريد"، فتلك الأيدي تضرب وجه الشمس وفضائها الأزرق الصامت، لتعلن عن استمرار المسيرة بعد سقوط الشهداء على أسوار القدس العربية، المتمثل في رأس فتاة يغمرها الضوء الآتي من بقايا شمعة تحترق لتضيء للآخرين طريق الحياة، كتعبير عن استشهاد الفتاة تغريد البطمه في نضالها ضد الاحتلال.. إضافة إلى كلمات كتبت بشكل إيحائي جميل تحمل عبارة تقول: "لولا احتراق الغصن ما ولد اللهيب من الشجر". أن هذه المعزوفات الرائعة التي خطتها ريشة الفنان المبدع كامل المغني، هي جزء من هدير شلال يحمل "أغنية للوطن" و "فلسطينية" و "الفتيات الثلاث" و "التوأم" و "نغم" و

"القدس".. والكثير الكثير من رذاذ الإبداعات الشفافة والمليئة بالحساسية والشعور العميق، الذي يحمل الانتماء ورسالة البقاء إلى ابد الدهر.. بل إلى دهر الداهرين.. آمين.

لا يمكن للإنسان المتلقي لأعمال الفنان المبدع إلا أن يلحظ ذلك التكامل الإنساني في أعماله.. لأنها تتطابق وأخلاقياته وإنسانيته. فالتكامل يعني ترابط العناصر المكونة له، وانسجامها بعضها مع بعض.. بحيث تغني لحناً تلقائياً موحداً.

وحين تصغي للألحان المنبعثة من أعمال الفنان كامل المغني فأنك ترتوي حتى الثمالة من زخم التناسق والتكامل المتميز بتماسك الحركة واللون والفكرة والأداء.. أن هذه الأعمال تشكل سيمفونية عشقنا الأزلي المستمر لهذه الأرض...!

"أن جوهر الفن هو الاهتمام بحياة الناس.. وهو التأكيد لمثاليات الخير والعقل والإنسانية" *ايرينا تشيبك. وهكذا هو باختصار الفنان الكبير كامل المغني وهكذا هي أعماله.

هنا لا يسعني إلا إن اذكر بقلبي ووجداني، الكثير من الإخوة والأصدقاء الذين ساعدوني في السفر والعمل الجسماني من اجل أن يخرج هذا المعرض إلى النور.. فشكراً لهم جميعاً.! وأتمنى أن تكون مساهمتهم الإنسانية زادًا روحيًا يمدني بالعزم والإصرار على متابعة

العطاء من اجل إقامة فعاليات ثقافية أخرى لأبناء بلدي ولحركة الفن التشكيلي الفلسطيني هنا وفي أي مكان آخر...!

* ايرينا تشيبك - ناقدة فنية سوفيتية.

الاتحاد - عيش وملح - الجمعة 1999/7/16

اللوحات المرفقة من أعمال الفنان كامل المغني

خليل ريان

خليل ريان، ابن بلدة الدامون التي هُجرَ أهلها عنوة منذ 1948, أسوة بأجزاء هذا الوطن.! ومنذ ذاك انتقل الأهل للعيش في مدينة طمرة، قضاء عكا. وهو من مواليد عام 1946.

درس الفن في مؤسسة بيت الكرمة في حيفا بين 1964 - 1965.

سنة 1967 انتقل للدراسة في كلية " بتسلئيل "في القدس. أنهى دراسته سنة 1972.

عمل في الإرشاد الفني في مراكز ثقافية في القدس، وفي متحف إسرائيل. منذ عام 1972 انضم إلى عضوية رابطة الرسامين والنحاتين في إسرائيل.

"خليل ريان" من مجموعة "الخابية، جذور فلسطين" رسم زاهد عزت حرش

ينشط في الحركة التشكيلية منذ أواخر الستينيات، وقد شارك في العديد من المعارض الجماعية، وله عدة معارض شخصية أقيمت في المدن والقرى العربية في الداخل. كما شارك في معرض جماعي انتقل ما بين القدس وعمان ولندن، سنة 1977.

عمل لعدة سنوات في مسكب لصب البرونز لدى الفنان الإسرائيلي داني زارتسكي.. وفي هذه الحقبة من حياته أنجز كمية وافرة من التماثيل البرونزية، ذات المعطيات الرمزية المتغيرة، والتي تصب كلها في بوتقة رؤية محددة تدور حول الإنسان الفلسطيني.. وحول وجوده وتراثه وارتباطه الأزلي بهذه الأرض. نكتشف من خلال هذه الأعمال أن ريان يمتلك قدرة عالية في إنجاز أعماله النحتية البرونزية والأخرى المصنوعة من الطين "السيراميك".. وان لديه طاقة كامنة في التعبير من خلالها بأسلوبه المرتبط بالقضايا الحياتية لأبناء شعبه.

أن أعماله التصويرية تمتاز بالواقعية التعبيرية. وقد رسم مشاهد القرية العربية في الكثير من أعماله.. ووظفها من خلال رؤيته الشمولية لارتباط هذه الكيان بهذا المكان، وتستشف من خلال هذه الأعمال عمق الحنين إلى الأرض والبيوت، إذ انه يتناولها بتشكيل لوني وخطوطي عاطفي محبب لا يزعج الناظر إليها ولا يجترح شعوراً مؤلماً في أبعادها.. وهو بذلك يفسر ذلك الحنين إلى تلك البيوت الخاوية في قرانا المهجرة من أهلها، ويحتفظ من خلال هذه الأعمال بالكثير من التعاطف مع تلك الأيام العامرة بالريف الفلسطيني ما قبل النكبة.

لم يجري ريان خلف الدعاية وحب الظهور، بل حافظ على استقلالية خاصة في مواجهة سوق "العرض والطلب", من ناحية قبوله او رفضه الموافقة على المشاركة في إقامة معرض هنا أو آخر هناك. وذلك من خلال قناعته انه لن يشارك في أي معرض لا يخدم

القضية الفلسطينية بشكل من الأشكال، أو انه يمكن أن يندرج في خدمة تصب في غير صالح قضيتنا الوطنية والاجتماعية.

أقام ريان بالمشاركة مع الفنانة العيلبونية (قرية عيلبون) حنان يوسف معرضًا مشتركاً، أقيم الأول في الناصرة والثاني في شفاعمرو، وقد التقيت بأعماله من خلال هذا الحدث وكتبت عنه ما يلي: اتسعت مساحة الزمان والمكان، فأخذت تتوافد من كل حدب، دعوات للمشاركة بافتتاح معرض هنا وآخر هناك. ففي تلك المدينة المشبعة بالتاريخ والشواهد القديمة.. والكثير الكثير من المؤامرات المنسوجة بأيدي خفافيش الظلام، لتنال من وحدة أبناء شعبها الأبي.!! في صالة عرض "جاليري المركز" التابعة للمركز الثقافي البلدي في الناصرة، امتزجت الأدوات التشكيلية لتحتفل بافتتاح معرض ثنائي للرسامة حنان يوسف من عيلبون والنحات خليل ريان من طمرة.

اتحدت الأنغام ما بين الكتلة والمساحة وامتزجت أضواء اللون بانعكاسات لمعان جزيئات المعدن البرونزي المخضر.. فأعطى كل ذلك ألف سبب للتواجد المتكاثر مرة تلو المرة، في حضور المشاركين لمثل هذه الفعاليات الثقافية التعبيرية التي تؤكِد أننا نمارس حتى ولو بهذا الشكل الخفي عن العالم.. شيئاً من الحضارة المعاصرة. وفي لقائي مع النحات خليل ريان وتلك الابتسامة المشبعة بالسعادة للقائه بلفيف من متذوقي الفن التشكيلي، وهم يتحركون ببطء وعيونهم تتراقص إعجابا بما يحاولون اكتشافه من خلال أعماله المنحوتة في صيغتها النهائية، المتلألئة بانعكاسات أضواء المكان بفعل مادة البرونز المصنوعة منه، فتارة هي خضراء مسودة وتارة سوداء مخضرة..

وهناك خمس حمامات باللون البني المنتمي إلى أتلام التربة الخصبة المنتشرة في ربوع جليلنا اليانع. كانت الثرثرة خافتة، خافضة جناحيها، للتعابير الروحانية والوجدانية المرفرفة في صالة العرض.. وكانت ديوك خليل ريان منشغلة بعشقها المسروق عن الإنسان.!! تحاول أن تذكرنا بذلك الإحساس المنحني.. بان هكذا يكون من يعشقا. هذا هو العناق الشبقي المتحرر من آفات التقاليد التي لا تبالي بها دجاجة تحنو على فارسها.. فينتشر عبق العشق صارخاً في وجه العالم، أن اتركوا لهذا الشعب متسعاً من الزمن ليحب بعضهم بعضًا!! وقليلاً من الفكر

ليحاول اكتشاف عناصره الإنسانية من خلال هذه الطيور المتأنسنة في مشاعر عشقها العادي، الموازي للحياة العادية للبشر.

أن كل ما اختاره خليل ريان من أعمال نحتية نقلت للمتلقين الكثير الكثير من المعاني الإنسانية الراقية لا يمكن للإنسان المتلقي لأعمال الفنان المبدع إلا أن يلحظ ذلك التكامل الإنساني في أعماله.. لأنها تتطابق وأخلاقياته وإنسانيته. فالتكامل يعني ترابط العناصر المكونة له، وانسجامها بعضها مع بعض.. بحيث تغني لحناً تلقائياً موحداً. وأوضحت تلك القدرات والجهد الطيب الكامن فيها والمعبأ بدفء نيسان ومواسم الخير.. فطائر تلو الطائر يروي حكايته ويغرد رغم الجراح ورغم سواد الليل "في الطرقات الموبوءة بالذل في زمن الردة ".. فهي

حكايات عشق عادية تتمحور بلغة المكان الذي انبثقت منه، وما هي إلا فصل من فصول روايتنا الفلسطينية من اجل الاستمرار والبقاء.. فيا أخي خليل، كلما ازداد عطاؤك واجتهادك في انجاز هذه الكتل الإبداعية كلما تركت لنا أرثًا إبداعيًا يتباهى به أبناؤنا في الزمن القادم. وباعتقادي أن ليس من شكل آخر تستطيع أن تحسن التعبير فيه كما تحسنه في مجال النحت، كما إننا نحتاجك في لغة النحت أكثر من أية لغة تعبيرية أخرى، فقد نصاب بالتخمة من كثرة الألوان والخطوط ومتاهات الأشكال المتكررة والمنسوخة أيضًا!!

عيش وملح - الاتحاد - الجمعة 12 تشرين ثاني 1999

تناولت مجلة "تشكيل" العدد الأول السنة الأولى 2001، أعمال الفنان خليل ريان وأفردت لها مقالة خاصة حملت عنوان "معركة مع المرأة.. معركة مع الذات".. جاء فيه: "تشكيلياً تتميز أعماله بالتماسك والتوازن، والتآلف على المركز، الذي هو نقطة ارتكاز الأعمال. كما يمتلك الفنان قدرة خصبة على الخيال. تمنحه قدراً وافراً من التقاط الإشارات التشكيلية في الطبيعة وصياغتها في أعمال نحتية ذات طابع فطري قوي. بما يعكس علاقته الحميمية بالطبيعة وكائناتها الهادئة والمدجنة، بشكل خاص، كالدجاج والحمام والسلاحف، ويبدو أن التدجين السائد للكائنات يلفت انتباه الفنان ويوصله إلى الابتكار."

وقد جاء في المقالة أيضًا تفسيراً دلالياً لما تحمله أعمال ريان، من قدرة على التعبير عن معاناة شعبنا الفلسطيني، وذلك من خلال التطرق إلى منحوتة "السلحفاء".. وأورده هنا لأهمية ما يحمل من بعد تشكيلي وفلسفي:

"ويمكن التقاط موتيف السلحفاء وتقديم دلالات واعية من خلال تشكيلها كمنحوت تعبيري, فالصدفة خوذة عسكرية ثقيلة الوزن والإيحاء والدلالة, تضغط بعنف خانق على بقية الأطراف لكائن هو في الاصل بطيء جداً, لكنه معمِّر حتى ليبقى وحده وقد مرت عليه عشرات الكائنات الفانية الأخرى, والدلالة هنا تبدوا واضحة, يمكن فهم السلحفاة, كإشارة إلى الشعب

الفلسطيني بطيء التطور والماشي بهدوء معتبراً أن الزمن يعمل لصالحه, وهو مثقل بتراثيات متراكمة تزيده تباطؤاً, وفجأة يضاف للثقل التراثي احتلال ثقيل خانق لكل شيء ومحاصر لكل شيء, ويجتمع الثقلان ثقل الأمس وثقل الاحتلال, وتتحول مسيرة السلحفاة البطيئة الى جمود يعيدها ألاف السنوات في الزمان والمكان والتطور, لكنها تبقى ويذهب الباقون, تماماً كهذا الشعب الذي بقيَّ وذهب العابرون".

منحوتات برونزية ولوحات بألوان زيتية على قماش من أعمال الفنان خليل ريان

إبراهيم النجار أبو الرب

ولد إبراهيم النجار أبو الرُب في قرية يالو الواقعة قرب القدس، سنة 1949.

حصل على بكالوريوس الفنون الجميلة من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة سنة 1976.

في عام 1983 حصل على إجازة الماجستير عن فن التصوير المعاصر في الأردن.

ثم على درجة الدكتوراه عن موضوع "الفن الإسلامي وأثره على الفن في الوطن العربي.

يعيش في الأردن ويعمل أستاذًا للفنون الجميلة في جامعة قطر.

تمكن في فتره قصيرة نسبياً من إثبات حضوره الفني، وهو أكثر الفنانين عنفاً، وينزح نحو الجداريات الكبيرة، يخزن الحزن الحدث والألم في نفسه إثناء حدوثه ويضغطه كي يتفجر ألواناً وحركه لا تتسع لها لوحاته، تكويناته متماسكة وهو لا يميل إلى استخدام ألوان كثيرة في أعماله، وأشكاله تتداخل مشكله حركه باتجاه واحد متماسكة لتحدي القهر والعذاب والظلم معاً.

إنـها الحيـاة

"إنها الحياة، هذه الزانية، التي لا تخلوا قط من فتنة وطيبة وروعة.."

عبد الرحمن منيف.

جاءني صوت عبر سماعة الهاتف، تعودت عليه منذ زمان.. فتبادلنا الحديث دون مقدمات، وكأن الواحد منا يرى-الآخر من خلال نبرة صوته. كان الفنان عبد عابدي يخبرني عن مفاجأة يعدها لي في لقائنا المرتقب مساءً في مقهى "فتوش" بمناسبة افتتاحه، وافتتاح معرض صديقنا الفنان أسامه سعيد.!! وهناك، وفي الزَحْم البشري المتحرك كانت تكتب قصيدة غزل عذري على إيقاع الأنغام المنبعثة من جوف المكان. والفنان عبد عابدي بابتسامته المشرقة الطيبة، يتقدم من بعيد.. ليعرفني على الفنان الفلسطيني، الضالع بالمسيرة الملحمية المعبأة بصراخ أبناء شعبنا الفلسطيني الرافض لكل أساليب المهانة والمذلة، في هذا الزمن الغادر، هذا الصراخ الذي يحرق جوف الحلق ويمتد في الأعماق منذ (50 عام).. انه الفنان د. إبراهيم النجار أبو الرُب، النازح عن قريته "يالو" من أعمال القدس العربية، والتي أحرقتها جحافل "المنتصرين" بقيادة بطل أبطال إسرائيل، إسحاق رابين، ذلك إبان حرب الأيام الستة في حزيران من عام 1967.!! والتي حولتها القيادة السياسية الديمقراطية إلى "منتزه كندي" منذ وقت قريب.. بعد أن اقتلعت الصبار وأشجار التين والزيتون ولم تبق إلا بعض الحجارة التي تدل على موقع أثار رومانية.

جاء إلينا.. إلى ارض وطنه، هذا المتسربل بالجرح الفلسطيني، جاء يسلم على الأرض والإنسان، يريد التهام هذه المساحات الشاسعة بأقل ما يمكن من الوقت، ليريح تلك الذاكرة

المثقلة مما يعانيه عالمنا العربي من أزمة تكاد تكون مرضاً خبيثاً مزمناً، لا يحمل أي بارقة أمل للشفاء.. إذ انه يعيش أزمة ضمير، على الصعيد الإنساني، فرداً ومجتمعات.! كان اللقاء فرحاً ممزوجاً بالعرق المتصبب من صفحات الوجه المتجعد في محاولة لتشكيل شيئاً ما يشبه وجه ارض فلسطين.. وحيفا في تلك الساعة من ساعات العشق، تتجلى فرحاً وأنغامًا شرقية، تفترش الفضاء الرحب، وقليلاً من النسيم البحري يجفف بعضا من حبات العرق المتساقط عن زوايا الوجوه.!! من بعدها ذهبنا إلى شاطئ الكرمل الجنوبي، احتفلنا بوجود هذا الإنسان، الفنان القدير.. قمراً وبحراً وهواءً.!!

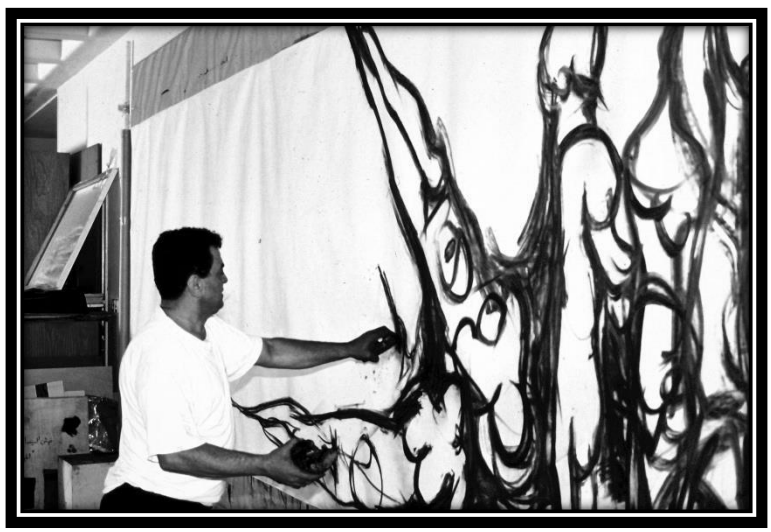

هذا المتمكن من مواقفه الثابتة والتزامه الصارم بكل ما يتعلق بقضيتنا وبتجربتنا التاريخية المنسوجة بدم الشهداء. كان يروي لنا عن انجازاته، في حكاية تلك الجداريات الممتدة إلى مسافات طويلة من حيطان الساحات العامة في الوطن العربي. وعن تلك الجدارية الملحمية التي حملت ملامح مذبحة الخليل، وصراخ الدم المستمر من خلال شخوصها المتراصة، تلك الجدارية التي وصل طولها إلى خمسين متراً.!!

يقول عنه الفنان الكبير إسماعيل شموط في كتابه "الفن التشكيلي في فلسطين" ص 87 ما يلي: "تمكن في فترة قصيرة نسبياً من إثبات حضوره الفني، وهو من أكثر التعبيريين الفلسطينيين عنفاً.. وينزع باتجاه الجداريات الكبيرة.. انه يختزن الحدث والألم في نفسه أثناء حدوثه، ويضغطه لكي يتفجر ألوانًا وحركة لا تتسع لها لوحاته، تكويناته متماسكة رصينة تسهم في تحقيق غايته".

كان الحديث الدائر بيننا، كلما تعمق في ذواتنا، كلما وضحت الصورة الشمولية أكثر. وحين افترقنا مودعين بعضنا عند لحظة انكسار ظلام الليل، على أمل اللقاء مساءً.. كان يجوب في ذهني تيار مشحون مضطرب من جراء قسوة هذا الزمان.. مشوباً بشيء من العذوبة أيضًا، فيترك للأمل بصيصاً من الضوء يشبه تلك الخيوط المتسربة من خلف الأفق لتعلن ميلاد نهار جديد، حين كنت ادخل إلى ركني الخاص لأنام قليلاً.

مساء السبت 1999/7/24، جاء سُمار الأمس، وكان د. إبراهيم أبو الرُب يختزن طاقة تتحرق شوقاً لتنسكب حالة من حالاته التي تحدث عنها الفنان إسماعيل شموط.. ذهبنا سوية إلى أحراش شفاعمرو، حيث لي هناك أصدقاء أقاموا مخيم سرية الكشاف الإسلامي الثالث عشر، وكنت قد رتبت معهم مسبقاً، تحضير لوح من الكرتون بمساحة مترين بثلاثة

أمتار.. وحين وصلنا إلى هناك كان الليل قد أرخى سدوله، وأنوار مصابيح الكهرباء تترك الظلال خلف أشجار الصنوبر، كأنها أشباح تتراقص فرحاً بقدوم ضيفنا العزيز.. ذهب د. إبراهيم يبحث في موقد النار، الذي أعد لخبز الصاج عند المساء، فأحضر منه فحماً رطباً وخشباً احترقت إحدى أطرافه ليتحول لقلم فحمي كبير.. أخذت إيقاعات النغم الراقص تظهر في حركات الفنان وهو يخط خطوطه المنحنية والمتعددة الالتواءات بمزيج من الحس والتكوين، لتظهر الأجساد المنتصبة في أفق السماء والمضطجعة التصاقاً بالأديم في مسيرة الشهادة.!! أن الخطوط الملتوية المتعددة الانحناءات والآتية بشكل تلقائي عفوي مباشر تشكل نموذجاً جماعياً للحس المتكتل للمجموعات البشرية الفلسطينية في مسيرة بقائها رغم انف الغاصبين. رسم الفنان د. أبو الرب.. على ارض مخيم سرية الكشاف الإسلامي في أحراش شفاعمرو، ما يقارب عشرين عمل بمقياس 70/50 سم، وعملاً واحدًا كبير. كان بالإضافة إلى توقيعه بالخط العربي، يضيء اللوحة بتوقيع آخر يسكن في فضائها العلوي الأيسر، برمز دائري يشكل الشمس أو القمر.. ليعبر بذلك عن بقايا الأمل الكامن داخل الإنسان الفلسطيني، الأمل المختبئ تحت عباءة العدم واليأس والتشرذم.. فيمدنا بطاقة الاستمرار والبقاء ويساهم في بناء أقدار بزوغ فجر جديد. كانت تجليات الفنان إبراهيم النجار أبو الرُب محاطة بعيون الفتيات والفتيان وبعض الحضور البالغ، من رواد المخيم.. جميعهم كانوا يتمتعون بالصمت، وعيونهم تلاحق تلك الحركات الإبداعية التي تتوالد منها مجموعات بشرية في الرواية الملحمية المستمرة ما بين الأرض والسماء.

أن ظاهرة د. إبراهيم أبو الرُب، ليست عابرة كطيفه العابر في فضاء ارض هذا الوطن. مما حثني للبحث عنه في صفحات كتبها أناس عرفوه منذ سنين. ففي كتاب لمحمد أبو زريق، يتحدث به بلغة تشكيلية واعية عن الفنانين التشكيليين.. جاء كلام كثير تحت عنوان "تجريدية تعبيرية ملحمية متحركة" اقتطف منه ما يلي: **"الأزرق ومشتقاته يتبادل الأدوار مع الأبيض الشفيف، ولمسات من الأحمر المشع في حركة راقصة تتناوب مع**

حركة الشخوص، ليصبح الطقس العام ملحمياً, يكمله حرية الفرشاة وجموحها, الأمر الذي ينتقل إلى المشاهد بهوس يخدم الجانب التعبيري في هذا التجريد, لقد خاطرت وقلت تجريد وان كنت اقصد انه تجريد تعبيري، ذلك أن هاجسه هنا ليس التصوير وإظهار الشكل، وإنما هو إيجاد نوع من الصنيعة الشكلية التي تخدم التعبير، ضمن أداء متكامل لا يعتمد على تخطيطات مسبقة، دائماً يقدم نفسه بجرأة وطلاقة وتداعيات لا تنتهي، فإذا أحس انه ابتعد عن إحساسه الذي يقوده, فأنه يعاود العمل بطبقة جديدة باحثاً عن الأقرب والأصدق والأجمل في هذا التداعي، ولا يتوقف إلا عند الانتهاء منه تماماً، وهو نوع من التصوف الغني الذي يصل إلى التوحد في العمل لدرجة النسيان لكل شيء سواه."

كان اللقاء مع هذا الفنان الإنسان يبدأ لكنه لا ينتهي إلا مع اقتراب انتهاء الليل.. أن كلام كثير انتشر فيما بيننا، كان يقرأ فيه واحدنا الآخر بهواجس ذهنه بصوت مسموع.. لكنني وبرغم الكثير الكثير من تلك القراءات فلم أزل في الصفحة الأولى من صفحات هذه الموسوعة الملحمية المخبأة في كيان هذا العملاق البسيط. حتماً سيكون هناك لقاء آخر نحدد مداه بموجب إرادتنا.. فنتمكن عندها من دراسة اللون الأحمر بكل أبعاده ومشتقاته، وخاصة تلك الأبعاد الطبقية التي عادت لتوها لتلاءم بقايا جرحها، لتبدأ مسيرتها من جديد.

صحيفة الاتحاد الحيفاوية، ملحق (عيش وملح) الجمعة 20 أب 1999

مسيرة الشعب العظيم

ذبذبات من صدى جدارية د. إبراهيم أبو الرب في أريحا

بدأ مسيرته من جامعة قطر، غرباً باتجاه الوطن.. إذ أن د. إبراهيم أبو الرب، وبناءً على دعوة من بلدية أريحا ومركز الواسطي للفنون، قام بالسفر بسيارته الخاصة قاطعاً ثلاثة آلاف كيلومتر، ليعيد ويجدد تواصله الجسدي مع الوطن، من خلال اللون والحركة والأداء.!! هذه هي أدواته القتالية التي تمرد بها هذا الثائر العظيم، وهي التي تشحذه بكل ما يختزنه من طاقات وقدرات صارخة، من خلال أعماله في وجه واقعنا العربي الرديء.. وبواسطتها فجر ملامح العودة في جدارية وصلت مساحتها إلى ستين متراً مربعاً، على الواجهة الداخلية لجدار الحديقة الاسبانية في أريحا، والتي أنجزها تحت شعار "عشتار تنتظر مسيرة الشعب العظيم، هنا في أريحا".

مقطع من جدارية "مسيرة الشعب الحزين" الحديقة الاسبانية - أريحا

كان د. إبراهيم أبو الرب قد حدثني عن هذا المشروع من بداية العام، وما أن وصل إلى ارض الوطن، حتى عاود الاتصال ليحيطني علماً بالمكان والزمان، من اجل أن يكون لنا لقاء على خلفية هذا التواجد والتواصل العزيز مع الوطن، أرضًا وشعباً.!! ففي ساعات صباح يوم الثلاثاء 22 شباط المنصرم (عام 2000)، كنت ادفع عجلات العربة الطبية التي تحملني، متجهاً نحو الجدار الذي يرسم عليه، وكان برفقتي صديقي توفيق حصري.. وما أن رآنا د. إبراهيم حتى تفجرت براكين عاصفة عاشت في كيانه على هدوء متوتر لأيام خلت.. لا أستطيع وصف تعابير المودة والاعتزاز التي أظهرها هذا الصديق والإنسان الطيب.. أي ريح تختبئ بجوف أضلاعه تقديراً ومودة لمحبيه وأصدقائه.. والتي هي بعض من عاصفة إيمانه العظيم بفلسطين.. الأرض والإنسان.!!

"نحنا والقمر جيران".... الصوت الفيروزي يشق عباب السماء، وتصدح أغانيها وتملئ المكان.. وأنا مأخوذاً بما أراه من الرقصات الإيقاعية المليئة بكل الرموز والتعابير، لفرشاته وهي ترقص في الفضاء حيناً.. وعلى بساط جداريته المنسوجة بألوان خلفيتها الزرقاء المتدرج، فوق القرمزي والبني الترابي المشرّب بالسواد، أحيانًا. كان الشبق اللوني يتراكض خلف الفرشاة، في إيقاع صهيل خيول عربية، آتية من كل مكان.. لتملئ الفضاء الممتد على مساحة لا تستوعبها العين إلا من بعيد. تتزاحم الشخوص فيها، والهامات المنتصبة، بتكرار طبقات متجددة من اللون البني والأمغر ومشتقاتها.. قامات بشرية تتجمع في تراص ملحمي إنساني جبار، تنشد نشيد العودة في خطوتها الأولى، نحو تحرير الوطن، كل الوطن.

ربما، أن هذا الحلم اللوني الأحمر، الذي يسكبه من أعماقه د. إبراهيم أبو الرب على جداريته الرائعة، يشكل للبعض حالة مبالغ فيها.. إزاء ما يبهرهم من ظاهر "النظام العالمي

الجديد", أو بعضاً من أولئك المعتمدين على السجلات الأمنية المحفوظة في أروقة الأمن القومي الإسرائيلي، وما يطمئنهم من حالة الواقع العربي المأزوم.. فيسبحون في تيارات ما بعد الحداثة والتفنن.. وأقدامهم غائرة في روث الجاهلية.!! بيد أنني اعتقد جازماً أن هذا الحلم هو حلم المستقبل، وان الإيمان به، يأتي من الإيمان بالأمة العربية وملايين الشغيلة والعمال المنتشرين على كافة أراضيها.. " هذه الجموع أن نظرت جمدتهم، فكيف بها إذا حدقت بالبنادق عابسة واجمة" مظفر النواب. فان دماء ملايين الشهداء.. ستُبوغ الفجر، وتَهزم الهزيمة.

الانفجار

يولد عطاء د. أبو الرب دون سابق إنذار.. يشبه، عند حضوره، إلى حد يعيد لحظة الانفجار المدوي، أو لحظة المخاض والولادة.. ولأجل ذلك يقوم بتحضير كافة المستلزمات الضرورية لتنفيذ العمل مسبقاً، شرط أن يكون صوت فيروز حاضراً ومسيطراً على أجواء المكان. وحين تجتمع مقومات العمل.. "أنا وصوت فيروز والحدث"، يفقد د. إبراهيم شعوره بالزمان والمكان، ويصبح خارج دائرة الحزن العادي.!! يبدأ العمل بدون أي تخطيط، تأخذ وتيرة التزايد الإبداعي في التضاعف، حتى تصل إلى حالة الانفجار العظيم.. لتنتهي مساحات واسعة من العمل الخلاق خلال ساعات يوم واحد فقط.

وقرية "يالو"، مسقط رأسه، تلك الفلسطينية التي دمرتها القوات الإسرائيلية بقيادة رابين، في حزيران سنة 1967، تشكل بالنسبة لأبي الرب فلسطين كلها.. إذ يقول "لا تستغرب أن قلت لك أن فلسطين هي ملخص للحالة العربية والإسلامية، ويالو بالنسبة لي ملخص الحالة الفلسطينية، أي الملخص، وملخص الملخص، يالو." ويقول أيضًا.. "يالو، تسكن في قلبي، رحلة عشق وعذاب، فلم يشفع لها عمرها العتيق، الكنعاني والعربي الإسلامي..

فهدمت في عام 67 بقرار عسكري، لردة فعل جندي مهزوم وهارب منذ معارك النكبة سنة 1948".

لقد شكلت "يالو" بالنسبة له، رمز القضية الفلسطينية، ورمز لحالة الردة في العالم العربي والإسلامي. وقد حملها طي أحداقه وسافر بها إلى كل مكان، فرسم الكثير الكثير من الأعمال والجداريات لها، وقد نفذ جدارية ضخمة بمادة الفحم على ورق مقوى، وصل طولها إلى خمسون متراً وارتفاعها إلى مترين.. حملت عنوان "يالو، جرانيكا فلسطين".

في الصورة : نبيل عناني وابراهيم ابو الرب واقفين.. من اليسار زاهد حرش، غسان السعدي وسليمان منصور وخال ابراهيم ابو الرب، في الخلف جدارية اريحا

وللدكتور إبراهيم أبو الرُب سِجل حافل بالعطاء والعمل الإبداعي، حيث حصل على دبلوم التربية الفنية من كلية حواره/ اربد منذ عام 1970. وتابع مسيرته في كلية الفنون الجميلة

بجامعة حلوان في القاهرة، إذ حصل على بكالوريوس الفنون الجميلة، قسم التصوير ودبلوم تربية، سنة 1976. وعلى الماجستير في الفنون الجميلة، قسم التصوير، من نفس الكلية، حول "فن التصوير المعاصر في الأردن" سنة 1982. وإجازة الدكتوراه حول موضوع "الفن الإسلامي وأثره على التجريد العربي المعاصر" من كلية الفنون في جامعة حلوان بالقاهرة سنة 1987. ولقد نال العديد من الجوائز العربية والدولية، منها جائزة الدولة التقديرية للفنون في الأردن سنة 1995. مارس التدريس منذ 1970، بداية من المرحلة الابتدائية إلى أن وصل إلى التدريس الجامعي، متنقلاً ما بين الأردن وليبيا (1971 - 1977)، ما بين جامعة البنات في الأردن وكلية التربية في جامعة قطر، وما بين جامعة اليرموك وجامعة الإسراء في الأردن خلال سنوات (1980 - 2000). وقام بتنفيذ العديد من الجداريات في أكثر من موقع في الأردن والوطن العربي، وبأحجام كبيرة، ومنها: جدارية الثورة العربية الكبرى، في مدينة الحسين للشباب وصلت أطوالها إلى 18م/7م، أكريليك على خشب مُفَرغ، عمان 1991. وجدارية ملحمية عن مذبحة الخليل.

على ميعاد

نعم يا صديقي.. أنت من يستطيع أن يجمع دوماً ما بين الواقع والرؤيا.!! لتشكل الأمل المضيء داخل سراديب ظلمات النفق البعيد.. رغم صراخ وعويل "المتفننين الوطنجيين".. ونقيق

"ضفادع النهر الصغير/ باعوا الضمير/ رقصوا على شتى الحبال..."ألبياتي.. تكاثفوا على حافتي أودية العهر السياسي السحيق، لأنهم وحدهم يجيدون الوصول إلى كل مكان، من خلال قنوات وأشكال مشبوهة، ومشابهة لهم.!! دعهم يا صديقي.. ليكونوا سجادة هذا الزمان العاهر.. فنحن معاً على ميعاد.!!

الأربعاء 15 آذار 2000 " الاتحاد" - "عيش وملح"

جدارية "مسيرة الشعب العظيم" الحديقة الاسبانية – اريحا 2000

من أعمال الفنان د. إبراهيم ابو الرب

كميل ضو

فنان وخطاط ومعلم، ولد في عام 1956 في قرية الرامة، درس الرياضيات والفلسفة في جامعة حيفا. يسكن حاليا مدينة الكرمل – عسفيا وينتج فيها، مدرس الخط العربي والرسم في مدرسة مار يوحنا الإنجيلي، حيفا. أصدر سلسلة من كراسات دراسة الخط العربي – قواعد الخط العربي من الصف الأول حتى الثامن حيث تدرس كراساته في أماكن مختلفة في البلاد.

"كميل ضو" من مجموعة "الخابية، جذور فلسطين" رسم زاهد عزت حرش

بدأ تعامله مع الحرف في جيل مبكر كخطاط في جرائد ومجلات مختلفة تصدر في البلاد. ثم بدأ بأسلوب عمل مبتكر دمج الخط والكلمة وإبداع لوحات تشكيلية من خلال الخط العربي – الحروفية. يستعمل الأشعار والأمثال والمصادر الثقافية المختلفة، حيث يبدع لنا لوحات فنية تشكيلية حيث الشكل والمضمون يتمازجا. يعتبر كميل أحد الرواد في البلاد وخارجها في مجال الحروفية والخط العربي واستعمال الحرف في بناء اللوحة التشكيلية. يستعمل ألوان الجواش، الحبر الصيني، الاكريليك والألوان الزيتية والمائية.

الخط العربي له جذور عميقة في التراث والعقيدة الإسلامية. وقد شجع الإسلام كتابة الخط والقراءة لأن الإسلام حرم الرسم. الخط العربي، خط جميل وسلس من حيث الإمكانيات والأشكال المدورة والمربعة وغيرها. الخطاطون أخذوا مكانا مرموقا عند الحاكم وهكذا أصبح الخطاط صاحب شأن مؤثر في الحكم. وقد تطور الخط العربي على مر العصور وقد تماشى الأرابسك، الزخرف العربي كالتوريق والأشكال الهندسية تماشيا رائعا مع الخط العربي، مما أعطى الخط العربي جمالا خاصا باهرا.

كميل ضو ينتج أعمالا خاصة مميزة. من جهة يتطرق ويتعامل مع الخط العربي بمسؤولية كبيرة كالقواعد وقوانين الخط، من الجهة الأخرى، يتعامل مع الحرف لكي يبدع من خلال لوحات فنية تشكيلية تخرج عن نطاق المألوف أو القوانين الكلاسيكية، كأن الحرف يخضع له ويعمل به ما يشاء. هو يتعامل مع الحرف كخطوط مستقيمة أو دائرية، يخلقها ويبدعها من جديد، يأخذ الحرف لبناء اللوحة فهو خطاط الحروفية. لوحات كميل مبنية من الحروف والكلمات يتماشى فيها الشكل والمضمون. يستعمل مقاطع من العهد الجديد، الفلسفة أو الشعر العربي الكلاسيكي والحديث.

أقيم له 14 معرضا فرديا واشترك بعشرات المعارض المشتركة بحيفا، تل أبيب، القدس، الناصرة، دالية الكرمل، اللد، شفاعمرو وطمرة ومعارض خارج البلاد في الولايات المتحدة، كوبا، البرتغال، هنغاريا وقطر

من أعمال للفنان كميل ضو

الحان "جدل" ما بين الحروف والألوان

في البدء

من روايته لميلاد الحروف في وجدانه.. يمكننا إن نقول إنهما ولدا من رحم واحد.. يتذكر كميل ضو إن علاقته بجمالية كتابة الخط العربي تعود إلى بداية عهده بمعرفة اللغة العربية كتابة وقراءة.. أي منذ سنوات عمره الأولى.. كان كلما وقع بين يديه قلم ومساحة ما.. يخط عليها بأصابع الطفولة أحرفاً عشقها عشقاً طوباوياً، دون إن يعرف لماذا، كيف، ومن أين.!! إلى اليوم ما زال كميل يتذكر ذلك الإطراء والإعجاب من عائلته وأهله ومعلميه.. على ما كان يكتبه من خط جميل ملفت للنظر.. عرف كميل بها ومنها إن ما بينه وبين أحرف اللغة المكتوبة.. اللغة العربية خاصة!! ما يشبه التوأمة والتلاحم.. حتى انه شب فتىً يتغنى بأحرف كلماته المكتوبة رسماً.. يطرب لها وبها كمتيم يعشق صبابة الخط العربي يوماً بعد يوم.

إن رسم الكلمات عاش معه.. مع أول الكلام كتابة وحروفاً.. ونما كما تنمو الدوحة المعطاءة الدائمة الخضرة.. تعطي من ذاتها ومن ظلالها ما هو طيب للآخرين.. وتلتقي العيون بأعمال طفولة هادئة.. ترسم الكلمات على مهل.. حتى أصبحت أغنية "الرسم بالكلمات" بين يديه، سيمفونية حروف بسطت معالمها على أعماله الفنية منذ تلك البدايات إلى اليوم.

محطات في سجل مسيرته الفنية

1) جاء اللقاء المميز له مع قواعد كتابة الخط العربي.. في الكلية الأرثوذكسية العربية الحيفاوية المنشأ والتاريخ، هناك توطدت علاقة ذاك الفتى الراماوي بمجد الخط العربي وفضائه اللامحدود.. كان لكلمات الجمل التي كتبها أستاذه الشاعر الأديب حنا أبو حنا.. بخط يده على بساط اللوح الأسود بطبشورة بيضاء، بذور ثبات اليقين لمجد فن الخط العربي، هذا الذي هام به الفنان الواعد كميل ضو وعايشه على مدى الأيام.

هي حقبة توالد وتواصل فطري عمقت علاقته بالخط، كارتباط أزهار الربيع بأرض فلسطين.. كما بأرض الدنيا قاطبة.. جاءت الجمل التي كان يكتبها بشكل فني جميل، الأستاذ حنا أبو حنا.. مع بداية درسه في اللغة العربية.. جمل الصرف والنحو والشعر.. جاءت لتُراكم أحلام العشق في مخيلة واحد من طلاب الأرثوذكسية.. في حقبة السبعينيات من قرن لتوه ذوى، وشكلت بدوافعها الذاتية علاقة معرفية بأصول كتابة فن الخط العربي، حروفاً ورؤيا.. فكان ميلادها دوحة امتد بها العمر لأكثر من ثلاثين عاماً.. ولا يزال.

2) مع إطلالة شبابه الأول دعاه أستاذه حنا أبو حنا ليحل محله في صحيفة "الاتحاد".. كي يعمل بوظيفة "خطاط" في الغرفة الشرقية الاتجاه.. من مبنى الصحيفة في شارع الحريري في حيفا. كان في السابعة عشر من عمره.. أحاط به كبار المثقفين الثوريين العرب آنذاك.. بداية من "الإميلين" فيها.. والى لفيف من الشعراء والكتاب والمفكرين والفنانين.. أولئك الذين عايشوا هذه الصحيفة "التاريخ" وتوافدوا إليها من كل صوب.! وهو على بساط أوراق بسيطة بيضاء، يكتب عناوين الصحيفة بعد تحرير موادها الرئيسة. ليس هذا وحسب، بل واستجابة لطلبه الذي أرسله إلى مدير مدرسة مار يوحنا الإنجيلي الأسقفية العربية أيامها.. الأستاذ ناجي فرح، الذي أعجب بخط رسالته أيما إعجاب.. فما كان منه إلا أن استدعاه، وألقى عليه مهمة تدريس فن الخط العربي، لطلاب المدرسة الحيفاوية العالية.. هذه التي سكنته وسكنها منذ تلك البداية والى ما بعد زمانه الآتي!!

كحبة القمح المغروسة في الأرض الطيبة.. جاءت هذه البدايات لتشكل الينبوع الصافي، الذي نهلت منه روح الفنان كميل ضو، وأعطته زخم إشراقاتها الفنية.. جاءت لتستمر وتتواعد وتتواصل مع الأيام.. وليصبح بما أنجزه من إعمال فنية حروفية رائعة.. واحداً من أوائل رواد فن الزخرفة الخطوطية.. والحر وفية التشكيلية في البلاد.

3) في جامعة حيفا.. أيام تلك الحقبة من بداياته.. درس الفنان كميل ضو موضوعي الرياضيات والفلسفة.. لم يختر دراسة الفنون الجميلة، رغم عن إنها كانت بوسائلها المتواضعة.. مصدره الوحيد لكسب الرزق من أجل متابعة مشوار الحياة.!! أيامها كانت فلسفة الجامعة وثورية "الاتحاد".. تشكلان جدراناً من الجدل الفكري والنفسي، بين ما هو قائم وبين من هو كميل ضو؟!! استمرت صراعات الذات في البحث عن مخرج يسدل نوعاً من الاطمئنان وراحة

البال، على فتى يعيش تشكيل الجمل الرائعة حروفاً وألواناً، مع كل فضاء يوم جديد.. إلى أن دعاه أحد زملائه في مدرسة مار يوحنا الإنجيلي، لحضور لقاء روحاني من نوع آخر!! هناك اكتشف كميل صاحب مقولة "أنا هو الطريق والحق والحياة".

هنا استقر الإيمان في نفس الفتى الشاب، إذ عرف النهر طريق مجراه الوحيد إلى البحر الكبير.

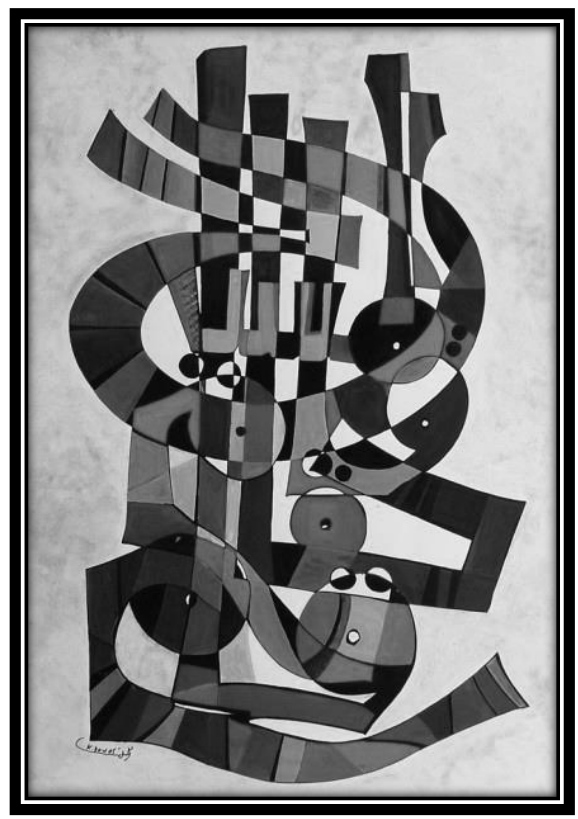

بيد أن مفهوم هذه العلاقة الذاتية امتزج بصيرورته بالبُعدين الإنساني والوطني.. وساهمت في بلورة شخصيته الفنية، ولم تتحول رغم قناعاته إلى رسالة دينية ضيقة.. بل يظهر هذه المحبة لجميع الناس دون استثناء.. فكميل ضو إضافة إلى إيمانه وعقيدته الروحية.. فهو مخزون بتراث من عاصرهم من كبار اللغة والفكر والفلسفة، من أبناء فلسطين في حقبة أواسط القرن العشرين في حيفا، مخزون من الثقافة العربية الفكرية والإنسانية.. ومن الثورية الوطنية بشكل خاص، من هنا فان مقولات في الله والأرض والإنسان والعشق والحياة نجدها كامنة فيه، وحاضرة في تشكيل لوحاته منذ ذاك الزمان.. ولم تزل!!

4) بعد سنوات من العمل في رحاب صحيفة "الاتحاد" أي في عام 1978.. ومن خلال تلك العلاقات الطيبة مع الكثيرين من روادها ورائديها.. تلك التي أتاحت له أن يتعرف على أناس فتحوا الأبواب بوجه أعماله الفنية، كي تلتقي مع نور عيون البشر.. هكذا!! ومن خلال تعارف سردي مع مديرة قسم الثقافة والفنون في بلدية حيفا.. وهي امرأة كانت تربطها علاقة قربى مع عائلة توما.. عملت على إقامة المعرض الأول لأعماله، والذي تبنته بلدية حيفا بكل احتياجاته ومتطلباته، ليشمل ما يقارب ثلاثين عملاً فنياً خطوطياً، بالحبر الصيني الأسود على مساحات صغيرة بيضاء.

كان هذا هو معرضه الأول.. لكنه كان المميز بحضوره وحاضريه!! إذ جاء إليه مثالاً لا حصراً.. طيب الذكر د. إميل توما.. والكاتب الكبير إميل حبيبي والشاعر سميح القاسم.. وطيبا الذكر علي عاشور وصليبا خميس.. وجاء أيضا الشاعر الأديب حنا أبو حنا وزاهي كركبي والفنان عبد عابدي.. وحضره أيضا طيب الذكر الشاعر عصام العباسي.. الذي كان يحث الخطاط الشاب على الرسم.. إذ كان يقول له ما بين حين وآخر.. أن بمقدور كل خطاط أن يكون فناناً تشكيلياً أيضاً. كان الحضور لفيفاً من الذين شكلوا في تلك الحقبة من تاريخنا.. رأس الحربة في الفكر والأدب والفن والسياسة!! ومما لا يمكن أن ينساه كميل ضو.. أن أكثر من نصف أعماله الخطوطية التي عرضها آنذاك قد بيعت لعدد منهم.

وبعدها بعام واحد وبعد اهتمام كبير بأعماله، أقيم له في مركز سانت لوكس بحيفا معرضا كبيرا يضم 60 لوحة. كان المبادر له القس الدكتور نعيم عتيق، رئيس مدرسة مار يوحنا الإنجيلي آنذاك، والحق يقال كما يقول كميل إن هذا الشخص قد ساند الأستاذ الفنان الشاب وهو في المدرسة وفي حياته الشخصية وكفنان. وقد جاءت أعمال كميل متكاملة مع هذا المبنى الرائع في

سانت لوكس. افتتح المعرض القس نعيم عتيق حيث أشاد بأعمال الفنان كميل الفريدة وبالانطلاقة الكبيرة التي حققها في هذا المجال. وقد كان للفنان مرسما في هذا البناء، وكان آخر معرض له في هذا البناء الرائع عام 2005 حيث عرض 30 لوحة من الخط العربي، وافتتح المعرض آنذاك القس الدكتور شحادة شحادة.

5) من خلال عمله في مدرسة مار يوحنا الإنجيلي في حيفا.. ومن خلال زيارات المطران سمير قفعيني إليها، وهو مطران الكنيسة الإنجيلية الأسقفية العربية في القدس.. والمنحدر من أصل حيفاوي.. توطدت علاقة صداقة بين أستاذ فن الخط العربي وبين المطران العربي الإنجيلي.. فما كان من الأخير إلا أن أقام سنة 1982، لصديقه الفنان الشاب، معرضاً تشكيلياً في مؤسسة (y.m.c.i) المقدسية.. ليكون واحداً من أوائل المعارض الفنية التي تقام لفنان جليلي في رحاب المدينة المقدسة.

عرض كميل ضو في هذا المعرض قرابة 32 عملاً تشكيلياً في فن الخط العربي والزخرفة.. وهي أعمال لم تقتصر على اللون ألحبري الأسود فقط، كسابقها مما عرض في المعرض الأول.. بل احتوت في فضائها على ألوان أحبار أخرى.. وتقنيات تشكيل لوني متعددة.. إنما خجولة في بداياتها.. ككل البدايات الأخرى!! بيد انه في هذا المعرض.. كما في المعرض الأول بيع العديد من أعماله لمحبي هذا الفن ألزخرفي العربي الخالص.. وهذه ظاهرة قل وجودها في تلك السنوات.. كما تكاد أن تكون معدومةً حتى في أيامنا هذه أيضاً.!! وهي تشكل في مداها النفسي والمعنوي رافعة وأداة دعم لاستمرار عمل الفنان وعطائه.

6) في حيفا مرة أخرى.. في رحاب المبنى المحاذي لكنيسة سانت لوكس.. أقيم معرض كميل ضو الثالث سنة 1987, وقد شغل المعرض المساحات المترامية في الطابقين الأرضي والأول.. ليحتوي كل منهما على نوع مختلف من أعماله.. فقد شكل القسم الأول مجموعة من أعمال فن الخط والزخرفة العربية.. وشكل القسم الثاني مجموعة من أعمال التصوير اللوني (الرسم الملون).. متعدد التقنيات، ذات الانتماء الانطباعي في تكوينه، إذ احتوت أعماله تلك على مشاهد "طبيعة صامتة" رسم فيها معالم من مدينة حيفا وأماكن ورموز أخرى.

افتتح المعرض الشاعر الأديب حنا أبو حنا.. وهو الأعرف والأقرب إلى بدايات الفنان كميل ضو.. فاثني على مسيرة الفنان كميل ضو وعلى ثباته وإيمانه بأدواته وقدراته الفنية، التي شهدت مراحل من التطور والإبداع المستمر من أيام الدراسة في الأرثوذكسية.. إلى يوم إقامة هذا المعرض الذي احتوى على قرابة 72 عملاً من أعماله الأخيرة آنذاك. وقد نوه أبو حنا إن أعمال ضو تنتمي إلى مرجعين أساسيين، هما الله والوطن.

7) مع حلول العام 1992 وبمناسبة افتتاح جاليري الكرمل.. أقيم المعرض المميز الرابع لأعمال الفنان كميل ضو.. لقد افتتح هذا المعرض الشاعر سميح القاسم، وقد أدهشه الكم الكبير للذين حضروا حفل الافتتاح.. إلى أن قال فيه وفيهم ما معناه.. إنني أتحدى أن يكون هذا العدد من الناس، في حضور حفل افتتاح معرض للفن التشكيلي في هذا الزمان في أي مكان آخر في العالم!!

احتوى معرض الكرمل على أعمال تعددت فيها أنماط وأساليب العمل الفني.. لتلتقي وتتباعد ما بين فن الخط والزخرفة العربية، وما بين الرسم بتقنيات الألوان الزيتية والمائية.. كما وبدت تظهر المعالم الخصوصية لأعمال كميل ضو.. ومنها تلك التي تتحول فيها لوحة فن الخط والزخرفة العربية.. إلى لوحة حروفية قوامها تجليات الحرف العربي في تجرده من المكنون اللغوي الكامن فيه.

8) في العام 2005 وبعد زيارة لأحد معارض كميل ضو، ترتب الدكتورة روت أورن معرضا للفنان في جامعة حيفا، ضم المعرض 30 من أعمال الفنان الأخيرة، وافتتح المعرض البروفيسور بطرس أبو منة.

أما بعد...

لقد عرف تاريخ الثقافة والفنون العربية فن الزخرفة الحروفية.. في الإسلام والعروبة، وعرفها التاريخ الإنساني لهذه الأرض قبلها أيضاً!! والإنسان هو الحياة.. وهو جدلية التحول ألكياني والكوني.. بمشيئة التطور والرقي إلى ما هو آت.. يفرز من خلال دورة الحياة أشياءً

تعود على نفسها، وابتكارات تولد من طبيعة العمل والعطاء.. فَتُشكل في مسارها الوجداني تراثا للإنسان والحضارة. وتشكل بصورة عامة.. حضارة الإنسان والطبيعة. ذلك لأنها وليدة إبداع إنساني ما، لكنها مع ولادتها وانتشارها في رحاب الرؤية والتواصل الزمني.. تصبح ملكاً للبشرية جمعاء!! فليس من ملك شخصي لإبداع إنساني فردي لأحد كان.. وإن كان وحدث شيء من هذا القبيل!! فنهاية مصيره الفناء والزوال!!

تعتبر اللغة العربية أقدم اللغات السامية وأقربها إلى الأصل، وهي أرقى تلك اللغات إطلاقا، لفصاحتها واتساع أفاقها وتناسق حروفها وتكوينات خطوطها.. وقد شهدت ساحة الإبداع العربية عبر تاريخها تنافساً واجتهاداً، يعيد الحنين إلى أصالة التراث والإلهام الروحي في استخدام الخط العربي كمادة جمالية مجردة. حتى انه "بالإمكان التعامل معه على انه مادة رمزية تشكيلية لونية ذات بعد واحد". ولقد استخدم الخط والحرف العربي في اللوحة التشكيلية الكلاسيكية في تقنيات مختلفة، كما استعمل بحالات وأشكال ذات أبعاد لونية وتشكيلية، تحمل في ثناياها تجانسا ما بين الحرف والعديد من رموز الحضارة العربية. فيظهر مرة على شكل مدن ذات مآذن وقباب ومرة على شكل خيول جامحة أو على "شكل أمواج حوار جدلي فلسفي"، كما يقول الفنان اللبناني وجيه نحلة، هذا بالإضافة إلى العديد من الأعمال الخالدة لكبار الفنانين العرب في العراق ومصر وفلسطين ولبنان وبلاد الجزيرة العربية كلها.. ممن امتازوا بهذا العمل الإبداعي وخصوصياته، فأطلق البعض منهم على نفسه صفة (الحروفيين) وأطلق على هذا النوع من الفن التشكيلي تعبير (الحروفية).

هنا نَعود لاكتشاف تاريخ امتد طيلة عصور عبر ملايين الكلمات، ليحمل في صفحاته حكايات التواصل الفطري لعشق استفرد الخط العربي به.. فكوّن من خلاله ملاحم وقصائد

زخرفية، شواهد التاريخ لحضارة لم تعرفها أية حضارة أخرى عبر هذا الزمن البعيد! فتاريخ جماليات الخط العربي يرجع إلى العقدين الأموي والعباسي، إذ اشتهر آنذاك الخطاط العربي الأول خالد أبي الهياج بكثرة كتابته للمصاحف والتجويد بها، بحيث أصبحت مؤشرا بارزا في حياته الفنية.. وفتحت آفاقا واسعة أمام هذا الفن العربي أصلا والإسلامي أيضاً.. إذ أعطت بزخمها الفطري فضاءً من الفرص، للعشق المتجانس ما بين العقيدة والحرف، وتعمدت بمياه قدسية الإحساس الإنساني، لتواصل مسيرة البقاء وتحديات التطور الزمني، بحيوية ورسوخ إلى زمن غير منظور. وقد تعاقب الخطاطون والمجودون وفنانو الزخارف والمنمنمات العربية الشرقية، المنصهرة مع حضارات سبقتها، وحضارات تجانست معها، لتنجز هذه ألكمفية* الهائلة من اللون والحركة والتشكيل.. ولا زالت تتوالد وتتزاحم طاقات بشرية جديدة، على خلق أحلام تشكيلية رائعة، من خلال هذا الفن العربي العريق.

"الرسم بالكلمات"

تسافر إلى البصيرة عبر البصر.. فالعيون نافذة القلب، لتلتقي هناك بحالات من "الرسم بالكلمات"، غزل "ضو" ضوئه في أحشائها زخارفاً عربية أصيلة، ومنمنمات تعريق وتوريق في لعبة بحرية مع الألوان والخطوط. لا حاجة هنا للبحث عن الكلمات، فهذا التكوين التشكيلي ما بين الخطوط والألوان.. ما بين الفضاء البعيد ولمسة الوجدان.. تجد انه يحكي قصة مجد اللغة العربية وزخارف هذا الشرق، بمجد من الاعتزاز المشبع بالدفء والنور والعراقة.

رسم كميل ضو الكثير من الأعمال، خاصة في مجال الفنون الحروفية المتجانسة في تكوينها، ذلك ما بين اللون والانحناء وتجويد الحروف والكلمات.. لقد اطل علينا بأعماله الجميلة منذ أوائل الثمانينيات، وأذكر من تلك الأعمال لوحة حملت كلمات فيلسوف لبنان جبران خليل

جبران، في مطلع لزومية قصيدة "المواكب".. التي رتلتها الرائعة فيروز على هيكل مذبح قدسيتها، حيث صدح صوتها بتلك الكلمات هاتفة "أعطني الناي وغن".. ولا تزال ملامح اللوحة الحروفية التي رسمها الفنان كميل ضو تسكن في مخيلتي، كحلم يتراقص بين ما أبدعه جبران وما صدح به صوت فيروز الملائكي، وكدعوة حب متفجرة إلى كل بركان قلب عاشق، قتلته سموم الحياة وغربتها، في لجة بحثه عن جنة الخلاص الأبدي.. ولم يزل يبحث عنها دون طائل!

في العديد من أعماله نوع من التبسيط. والحق يقال، إن هذا البعض جاء ما بين أواسط الثمانينيات والتسعينيات.. وجاء في بداياته الأولى بزخم أكبر.. إذ كان هاجسه ودافعه الأهم، يحتم عليه إيصال الكلمة والفكرة إلى الناس. كما ونجد في أعماله ما يشبه إعادة الصياغة الشكلية لجمل جديدة أو متكررة، لفنانين حروفيين وزخرفيين آخرين، ومثلهم هو أيضاً، حرص كميل أن يفسح المجال أمام متلقي أعماله، بأن يقرؤوا معالم كلمات لوحاته المزخرفة الخطوط. هنا كانت تضيع بعض معالم القيمة التشكيلية للوحاته، رغم الإبداعات الفطرية الكامنة فيها. إلا انه ومع تقدمه وتطور أدواته الفنية الذاتية، تحول إلى ما هو ابعد من ذلك بكثير.. والى ما هو مثير ومدهش حقاً. فإنه لم يعد يتقيد بمقروء كلمات لوحاته الفنية، وانساق خلف طبيعته التشكيلية الكامنة في أعماقه. وبمصداقية جارفة، ذهب كميل ليحقق ذلك التجريد الإبداعي للكلمات، في عملية إفراغها من لغويتها.. وصهرها في أتون التشكيل العفوي الفطري لميلاد لوحة حروفية بتول.. لوحة تشكيل حروفية ما عرفها أحد من قبل.. حتى هو لم يكن يلتقي معالم إنشائها النهائي، سوى بعد تمام ولادتها وكمال عناصرها الأساسية!! مثال ذلك لوحة "اعز مكان..." ولوحة "انأ أفكر...".

أعود واذكر انه في هذا السياق، استوقفتني لوحة هي قمة عطاء هذا الرسم اللغوي الصامت.. والتي أظهرت بكل جلاء أن روح الفنان هنا انفصلت كلياً عن روح اللغة وأبعادها الاستيعابية والرمزية.. ليخرج من بين يديه عمل فني خاص، يندرج في سياق ما أوتي من تجريد تشكيلي، على يد كاندنسكي وبيكاسو وما بعدهما.. من تجريد انفعالي قوامه لعبة التكوين والبناء التشكيلي للوحة ما.

وهناك لوحة "وخير جليس.." عصية على الاقتحام!! أنت تدخلها كي تعيش فيها للحظات.. إلا أنك ما تلبث أن تشعر إنها هي التي تعيش فيك.!! وترحل معك إلى كل مكان. هنا لم يبق أمامك أيها الزميل الفنان كميل ضو.. سوى أن تدخل في عرف الصوفية، كي تتوحد مع ذاتك وترسم لوحتك الآتية "بالكلمات"!! عليك أن تدخل في مرحلة خارج نطاق جاذبية التأثير الواقعي والموضوعي، كي تسافر في رحاب العفوية وبراءة الخلق الطفولي.. وتحقق حلم "الرسم بالكلمات" كل مرة من جديد!! وأما كل ما تبقى أو جاء بعد ذلك، فإنه يندرج في سياق "فن الخط".. وما هو إلا كلمات مرسومة بخط جميل.!!

ختامًا.. مسك الختام!

يبقى الفنان كميل ضو مسكوناً بهواجس عذبة راقية مرهفة الإحساس، مصدرها "كلمات ليست كالكلمات".. تلك المولودة بعفويتها من بطن الحياة المتراكمة عبر الزمن.. كأزهار البرقوق وفروع السندان.. تسكن الجُمل المحببة إليهِ في فضاء ذهنه.. تذهب وتعود، وترسم حروفها في الهواء بموسيقى "عرائس المروج".. والناي والخلود!! وعلى حين غرة، وفي لحظة بريق يتساقط كضوء الشمس على كتلة من جليد، تنبعث في روحه تجليات لونية لحروف جملة ما.. وتتكون في غضون انجازها على المساحة البيضاء.. قصيدة تشكيلية للوحة قوامها الحروف والألوان.

كذا الأمر حين تقرأ في بعض أعماله الأخيرة، من خلال رحلة الخطوط والألوان، ومساحة التشكيل العفوي الرائع، ملامح إلوهية مشيئة الخلق.. وهكذا تلهث عيناك وهما تبحثان عن علاقة حرف هنا بحرف هناك.. فتضيعان في متاهات لحن أنغام الحروف، لتجد ناظريك شاخصين في غابة تشكيل لوني رائع، يطغى بظلاله وأضوائه، وعلاقة الألفة والصراع فيه، على ما كنت تبحث عنه دون جدوى!! حتى يتركك لإحساس جمالي، قوامه هذا البعد التجريدي، لفضاء حروفية الخط العربي وقيمته الذاتية والحضارية.!! هكذا، بكل ما فيه من عمق وبساطة الحروف، الكلمات، وتكوين جملة ما.. تجد أنك أمام لوحة تشكيلية مستوفاة كامل الشروط الإبداعية لإنجازها.. بل لخلقها دون غيرها من الأعمال والروائع.

تقرأ في أعمال كميل ضو الحروفية.. نماذج من التعبيرية والرمزية والتكوينية والتكعيبية والتجريد.. وتقرأ في بعضها نماذج كلاسيكية ضوئية أيضاً.. كلها في لمسة إنشاء خاصة تستطيع أن تعرف من بوتقة تكوينها الشمولي، أنها تعود لشخص واحد.. لفنان يدعى كميل ضو.

شفاعمرو 23.08.2006

ميشيل نجار

ولد الفنان ميشيل نجار في عكا عام 1923، مع حلول نكبة1948 هجر إلى بيروت، درس الفنون وتخصص في فن الخط العربي.

في عام 1982 اضطر الهجرة من بيروت واستقر في بلجيكا، بعد خمسين عاما عاد إلى مسقط رأسه عكا وأقيم له معرض متنقل برعاية الاتحاد الأوروبي في مؤسسة الأسوار وفي حيفا ورام الله.

التحق نجار بمنظمة التحرير الفلسطينية مبكرا، فور افتتاح مكتب لها في بيروت عام 1964، وعمل متطوعا فيها قبل أن يصبح خطاطا محترفا في مكتب رئيسها ياسر عرفات وما لبث أن ترأس شعبة المعارض فيها وفي رصيده اليوم آلاف اللوحات.

عمل في بيروت، في البداية في مكاتب تجارية، فصمم إعلانات لبضع سنوات قبل أن يرافق منظمة التحرير في فعالياتها الفنية والثقافية متطوعا،

حقق نجاحات في تنظيم معارض تراث الشعب الفلسطيني في عواصم العالم بدءا من 1970.

ونظم نجار وهو عضو اتحاد الفنانين التشكيليين البلجيكيين أيضا، أول معرض فني شخصي لأعماله عام 1983.

ويُدرس نجار في صالة «أرابسك» في بروكسل حيث يتعلم طلاب عرب وأجانب أصول الكتابة بالخط العربي ويتواصل المعلم مع تلامذته بالفرنسية.

أهلاً بك ميشيل نجار في عكا

بصدد افتتاح معرض "حركات الحروف" في مؤسسة الأسوار

افرحي وتهللي يا حجارة أسوار عكا، فما زال الطيبون يصنعون لك تاريخاً مجيداً، وينسجون الضوء العربي فيه من خلال إيمانهم بأنهم الجزء الحي من ترابك.. فها هو صاحب الأسوار، صاحب عقد الجلنار، الذي درجنا على بيادر إصداراته، ونهلنا من تلك الكتب التي شكلت زادنا الثقافي والوطني.. ها هو الأستاذ يعقوب حجازي، يصدر لنا أعمال جديدة توقظ فينا الثقة للعطاء المتجدد ونحن نودع القرن الذاهب لينام في كتب التاريخ، ويشد من يقظتنا ونحن نستقبل زماننا الآتي. ففي سياق التكريم الأدبي لأبناء شعبنا الطيبين، أبناء طينته الغنية بالعطاء الوجداني المرتبط بالإنسان وبالوطن.. قام أيضًا وبمشاركة الفنان عبد عابدي وبحضور جمهور محب، بافتتاح معرض "حركات الحروف" للفنان الفلسطيني ابن مدينة عكا، المغترب

ميشيل نجار، في السادسة من مساء الثلاثاء 1999/7/27 والذي استمر لغاية 1999/7/29 في استقبال متذوقي هذه اللهجة التعبيرية المرتبطة بالفنون الشرقية منذ القدم.. فيا أيها الفارس الأسمر، حقاً ما زال هناك حلماً يلعب حافيّ القدمين على رذاذ حشائش القلب.. فتركه، فأن له موعداً مع الفجر.!!

كان يخبو ويشع ضوء برج الفنار.. والشمس ذاهبة لتستحم في بحر عكا، مودعة ذلك النهار.. فاستفاقت أسوار المدينة على أنغام الفرح وهي تحتضن ابنها الآتي من بعيد.. هذا الرجل ذو الشعر الأبيض، ذو النظرة الخائفة الباحثة عن أحلام الطفولة الضائعة في بقايا الأزقة والحواري.. جميعها تبتسم مرحبة به، مرحبة بعودته المجزوءة إلى مسقط رأسه، مرحبة بحركات الحروف الملتوية في أعماله اللونية وأعماله البيضاء، برسائل العشق المنقوشة كبقايا كلمات تكسرت من وحشية الزمن وحيوانية الإنسان.. يقول طاغور، شاعر الهند العظيم: "الإنسان أسوء من الحيوان حين يكون حيواناً".! والحيوان الاستعماري هو الذي جزء الصلة بين مواقع هذه الأرض، فجعل الحروف تضيع تحت وطأة مسامات اللون القاني والأمغر والصلصالي والسلقوني والكثير الكثير من الألوان المتشابكة المتباعدة التي تريد أن تروي قصة ما. لكنها

لتوها ترتجف خائفة، فتغوص داخل شفافيتها اللونية الكثيفة فيضيع معها تشكيل الحرف الذي تاه بعد هذا العمر الطويل بين الحرف والحروفية. أن هذه التكوينات الحرفية لم تنطلق لترسخ أقدامها إلا في بعض الأعمال المتشكلة من ذات التشابك ألزخرفي المتداخل يبعضه كصورة شرقية عمرها ألف عام.. تتزاوج بها القوافي والثنايا كما تتزاوج بقايا عروق الأغصان والأوراق والتعريق في منمنمة عربية منقوشة، ربما، على إبريز أحد حجارة جامع الجزار العريق.

هناك تواصل لوني في بعض الأعمال.. حين تحمل البحر إليها، وتحمل أيضًا بقايا قصص العشق التي كان ينسجها الشاطئ وهو يرنوا إلى السور العتيق، ليسأله أن كان يدرك ماذا يحدث هناك...؟ على حبيبات الرمل الصفراء حين يضطجع العشاق.. وحين تركض أقدامهم السمراء تاركة تجويفات في ثنايا الشاطئ.. وبعد هنيهة تأتي الموجة وتعيد انسياب الرمل إلى حاله المعهود.. أية حكاية عنها كتب هذا العكي المغترب قصراً في بلاد الغربة الباردة.؟ وهل ما زال يحمل بعضًا من ألوان حجارة هذا المكان؟؟ عندما يتجول خاطرك عبر نافذة العيون في أعمال الفنان ميشيل نجار وتلتقي باسمه موقعاً باللغة العربية على أعمال أنجزت هناك في تلك البقعة من ارض الغرب.. يأخذك الفرح، فمنذ زمن بعيد وهو يعيش في مدينة بروكسل، منذ أن اجتهد الفنان عبد عابدي لإقامة معرض لأعماله هناك.. فاستضافه ليشاركه ذلك المعرض الذي تحول إلى معرض ثنائي تحت عنوان "وجهان في الغربة". لم تلتقِ عكا وحيفا بالتربة عن طريق البحر.. إنما التقت في تلك الأيام في ذلك العمل الذي اشترك فيه ابن عروس الكرمل وابن أسوار عكا، بعيداً عن لجة التواصل البحري بين تراب الوطن الواحد. هل نقشت هذه الحروف المتحركة التي يحملها الفنان ميشيل نجار شيئاً عن ذلك اللقاء يا ترى.؟ أم أن صخب الحياة وصراع البقاء غيب عن الذاكرة الكثير من القصص الصغيرة التي يتكون منها نسيج ثوب حياتنا الطويل.؟ ما أجمل أن نلتقي في الغربة.. فنصبح أبناء الوطن العزيز الواحد، وما اعز أن نلتقي في الوطن لنجدد الصلة بأجزاء ضاعت أو سرقها الذين يحاولون انتشالنا من لجة

الذكريات.. ليكتبوا لنا أدبيات تاريخية جديدة عن العلاقة الثقافية ما بين القاتل والضحية.. كان يردد طيب الذكر أميل حبيبي في أدبياته مقولته (لا تلوم الضحية). فكيف نقبل أن يوضع هذا اللحن ويوزع على شكل زخرفة شرقية صنعها الغرب، من فتات موائده، ليفتتح المعرض الأول في متحف "تيفن" كانطلاقة لسلسة المعارض التي ستقام للفنان ميشيل نجار؟؟ هناك، والعدد الأكبر من أبناء الشعب الآخر، الذي أصبح "شريكاً شرعياً" على حد قول السيد خالد درويش، الذي تحدث باسم مركز ثقافة السلام في رام الله، ليعبر عن مدى العلاقة الثقافية بين شعبي هذه البلاد. واعتقد أنه يجب إلا يكون هنالك ازدواجية في الرؤية.. ففي الواقع والحقيقة فان هناك شعب غاصب وشعب مغتصب.. أما على صعيد الحياة الثقافية والمواجهة الحضارية، فكما هو معروف عبر مسيرة التاريخ فان الحضارات تتداخل فيما بينها لتكون حضارة العصور القادمة.. دون أن نضطر للخلط ما بين علاقتنا الثقافية بثقافة الآخرين وتزوير الحقيقة التاريخية.. فمهلاً، هل كان هذا هو الثمن الذي عليك أن تدفعه أيها الفنان ميشيل نجار لقاء تحقيق حلمك الكبير؟ الذي تجسد في إقامة بعض معارض لأعمالك على ارض الوطن؟؟ أم أن الحلم الحقيقي اندثر في مرحلة الانسياق للتطبيع الثقافي حين ارتقت أعمال الفنية الهادئة جدران متحف "تيفن" المرتفع على ارض عربية فلسطينية "شاء من شاء وأبى من أبى".؟

لكنني أتمنى إن يكون لمعرضك الذي احتضنته مدينة عكا طعمًا آخر.!! طعم رحيق البحر واللون الممتد بشفافيته حيناً، وحيناً بكثافة الزمن والبعد والحنين. لتتجلى حركة الحروف في هذه الأعمال ولتعبر عن الصوت الحقيقي حين تكون قريبة من البيت أكثر.. بل في داخل أروقة البيت والبلد الحبيب.. ربما لأنها استقرت على جدران مؤسسة الأسوار حيث هناك التاريخ المشترك فيما بينها.. فواحدها يعرف الآخر من رائحته، من لون عينيه، من حركة الضوء فيه.. فذلك الاغتراب ألقصري الذي خيم على معرض "تيفن"، برغم الإمكانيات العصرية المكونة له، كان وليد الغربة المتجددة بدعم مؤسسات عالمية ومحلية ذات قدرات تأثيرية بالغة.. لكنه

تحول داخل أروقة مدينة عكا إلى أغنية شعبية يعرفها الجميع. فيتردد ذلك الصدى اللوني والحرفي في أزقتها وممراتها المظللة ويتمشى على مهل لأنه ابن المكان، حتى وان كان فارق الغربة بينهما كبير.. فأهلاً بك ميشيل نجار مرة أخرى، بل ألف مرة، وكنا نود أن نقول لك أهلاً بعودتك المستمرة إلى ارض الوطن.

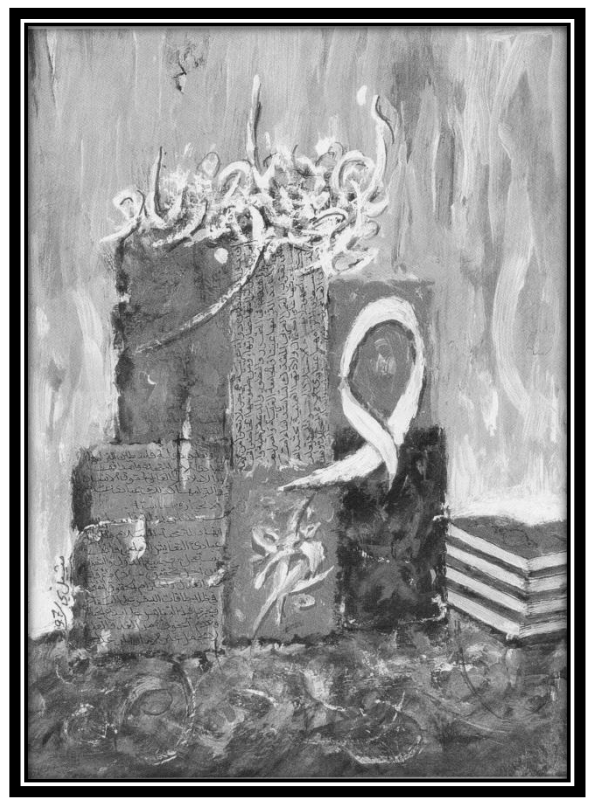

لقد حاولت أن اكتشف ماذا يختبئ وراء هذا التجلي القائم ما بين متحف "تيفن" و "بيت الكرمة" من جهة، والسوق الأوروبية من جهة أخرى.. فتذكرت ما قاله مظفر النواب "ويزيدك عمق الكشف غموضاً.. فالكشف طريقاً عدمية.." لكني حتماً أكتشف روعة اللحن والأغنية المنبعثة من رواق وأزقة عكا حين ارتفعت حروف الفنان ميشيل نجار من جعبته لترتقي مسامات جدران مؤسسة الأسوار.. وحين قومتها ورتبت الأبعاد فيما بينها أيدي رجل طيب كالأستاذ يعقوب حجازي.

الصور التي ضمن المادة هي لوحات من أعمال الفنان ميشيل نجار

صحيفة "الاتحاد" الحيفاوية 03.09.1999

سيسيل كاحلي

1958 ولدت في بلدة ترشيحا في الجليل.

1978 درست الفن التشكيلي في قسم الفنون في جامعة حيفا.

1980 أصدرت ثلاث دواوين شعر وكراستين رسم لأعمالها.

1) "تكوين" يعنى بموضوعات زخرفية

2) "أزقة في الناصرة" رسومات تسجيلية لأبنية ومواقع أثرية في الناصرة

95- 2005 عملت في مجال التعليم في الفنون في معاهد فنية مختلفة، منها المعهد العالي للفنون في الناصرة، وفي دار الفن في الناصرة. وعملت في مجالات عديد من الفعاليات وورش العمل الفنية في الوسط العربي خاصة.

1996 أقامت معرضاً خاصاً لأعمالها في صالة فندق سانت جبريئيل في الناصرة

2000 شاركت في معرض أقيم في جامعة "فرنسيس" في شيكاغو

2000 شاركت في معرض مركز "الفينيق" في الأردن

2000 شاركت والفنان زاهد حرش في مشروع النحت الدولي العاشر "حجر في الجليل" الذي أقيم في معلوت ترشيحا، وأنجزا معاً تمثال من الرخام حمل عنوان "حنين جليلي". وحصلا على شهادة تقدير على ذلك.

2005 أقامت مشروع "سبعون عامًا لفيروز". معرض لوحات زيتية لأعمالها تحت عنوان "على الأرض السلام وفي الناس المسرة" تضمن 13 لوحة بمقاييس متعددة وصل أكبرها إلى مقياس 300/200 سم. وتنقل المعرض ما بين الناصر وحيفا وشفاعمرو.

شاركت في العديد من المعارض الجماعية، أقامت عددًا من المعارض الشخصية على نفقتها الخاصة. كما شاركت في العديد من المعارض الجماعية، في القرى والمدن العربية.

أقامت "دار الفنون" في الناصرة، وهي مدرسة مستقلة وغير منهجية تقوم على برنامج دورات تعليم الرسم لأبناء الناصرة من كافة الأجيال.

مارست سيسيل كل أنواع الفنون التشكيلية تقريباً، أي من الخط إلى الغرافيك مروراً بالألوان الزيتية والاكريليك والمائية والسيراميك والتصميم والغرافيك.. كما مارست فن النحت بالحجر والخشب والطين. ومنذ سنوات تتعمق في خلق أسلوب جديد يرمي الى دمج أعمال نحتية من الطين "السيراميك" على سطح اللوحة الزيتية.

أسلوبها تعبيري تأثيري، تختلط عناصره ما بين الواقعية والخيال، وفي مجمل أعمالها هناك رواية ما، هناك حكاية وجدلية ما بين اللوحة والمتلقي. وهي غير متأثرة بما أنتجته المدرسة الإسرائيلية من نماذج وحالات، رغم إنها تتلمذت في إحدى معاهدها التي خرجت العديد من الفنانين العرب الذين طغت على أعمالهم تلك الروح المتأثرة بما يحمله الإسرائيلي من النزوع إلى عوالم حداثية متأثرة بالنمط الأمريكي.

سيسيل فنانة ملتزمة بقضايا شعبها الوطنية والإنسانية، وقد حافظت طيلة مسيرتها الفنية والشخصية على نقاوة السيرة والمسيرة. وكل ما وصلت إليه سيسيل من نجاح أو تقدم يعود الفضل فيه إلى ذاتها العصامية، وإلى مثابرتها وتصميمها على العطاء المستمر.

أقامت سيسيل معرضًا لأعمالها في فندق سانت جبريئيل في الناصرة.. لم أتمكن من زيارته بسبب الإعاقة التي أعاني منها.. مع الأيام توطدت العلاقة فيما بيننا.. فكتبت عن أعمالها وعن تلك المناسبة هذه الكلمات:

كلمة.. تأخرت ثلاثة أعوام!

كان من المفروض أن اكتب هذا المقال قبل ثلاثة أعوام

عن الفنانة سيسيل كاحلي ومعرضها الأول

هذا الثنائي التكويني في التشكيل المزدوج لمادة الطين المحروق والألوان الزيتية يحمل في ثناياه حالة جديدة من التفاعل الحسي ما بين الكتلة والمساحة.. ففي إحدى اللوحات المعبئة بتوشيحات الألوان الدافئة المتجانسة بهدوء مصطنع مع الألوان الباردة لتخلق أفقًا آخر.. هناك شبه نافذة تشكلت من الطين المحروق فتحت وكأنها صفحة من كتاب عتيق، لتظهر من خلالها خطوط وانحناءات لونية حزينة، تكمن فيها الرؤية الغامضة لما هو آتٍ..! هذا التشابك الذي لم أعد أذكر منه سوى الشعورالمشبع بالدهشة، وأنا التقي به في تلك اللوحة، وفي لوحة أخرى تجوب فضائها القريب البعيد، حركةعاصفة لونية حارة منبعثة من أشلاء إناء غامض، لتضرب أغصان زيتونة رومية غضة تعيش حالتين في جذعها الأسفل.. فهي بالأساس قائمة على اللوحة المسطحة بالألوان الزيتية لتعطي أبعادًا تعبيرية لكل ما يحمله زيتون الأرض العربية من عزة في التاريخ والذاكرة، وفي الحالة الثانية هي جزء من ورقة الطين المحروق الجاثمة في بقعة متصلة ما بين الزيتونة الأم وزيتونة أخرى انتزعت منها.. تعيش على الأرض الطينية الجافة، تلك الزيتونة الصغيرة.. تشبه قصتنا المنسوجة في إبداعات الإنسان الفلسطيني على ورقة ليست وطن، وليست امتداداً لأي وطن.. فلا هي حقيبة ولا هي جوازاً للسفر أيضًا.

كان لقاؤنا الأول ذات مساء أخذت تنطوي علية ظلمة شبه خريفية تملأ الرئتين برائحة أوراق الشجر المتناثرة في زوايا المكان.. كان ذلك مساء يوم الخميس 1996/8/22..

موعد افتتاح معرضها الأول في قاعة فندق سانت جبريئيل في الناصرة. رضي المكان بحجته ورضيت أنا بنصيبي! فلم التقِ مع أعمالها وجهاً لوجه.. كانت حديقة يانعة أمام الفندق تحمل شيئاً من دفء الصيف وبرودة المساء، وكان عدداً لا بأس به من المدعوين، كل وصحبه، اجتمعوا على احتساء فنجان من القهوة العربية.. من بينهم عدد من مبدعينا، التقيت بينهم بأحد أصدقائي الطيبين وصحبه.. انضممت إليهم! وطلبت من النادل الذي كان هناك.. أن يروي لها، أنني أطلب رؤيتها لأخذ بعض المعلومات عن المعرض، لكنه استصعب أن يحفظ اسمي الذي لم تكن تعرفه هي أيضًا، فحدثها عن حالتي..!! فما أن لمحتني حتى تركت كل من أحاط بها، وأعطتني كل اهتمامها وإنسانيتها.. لقد أحسست بصدق وأمانة إنها ثمنت بشكل بالغ، أن يأتي إنسان معاق من اجل تغطية معرضها، أحاطتني بإنسانيتها حتى غدا الحديث ودي فيما بيننا وكأننا نعرف بعضنا منذ زمن بعيد.. فاكتشفت بعد فترة وجيزة ولقاء عفوي آخر، أن هكذا هي سيسيل كاحلي.. طيبة، إنسانية، هادئة، متواضعة وخلوقة أبدًا. كنت أيامها أحاول المساهمة في إرساء ثوابت صحيفة أخرى، ذهبت لأخذ بعض المعلومات والصور، ليكتب واحد منهم عن معرض سيسيل.. لكن الكلام لم يأتِ..!! وها أنا اليوم أحاول أن أسدد دين مر علية ثلاث سنوات لمن يحق لها أن تستوفى حقها كاملاً دون أي تأخير..!!

"رجع أيلول.." والتقينا على موعد مسبق في بيتها المشبع بدفء الشمس ودفء أصحاب المكان. فنثرت حولي عينات عن آخر أعمالها.. كنت أدور حول نفسي كمن يجلس على كرسي محوري.. استشف بنهم جائع تلك المساحات الممتدة أمامي من التشكيل اللوني والرمزي الصارخ.. أحاول ارتشاف وقراءة الرموز والتعابير اللونية المنبعثة بوضوح يصل إلى حد الغموض. فهذه الأعمال تحمل طاقة إبداعية بكفاءة ذاتية راسخة، ترى من خلالها أن سيسيل استطاعت أن تعي بحسها العميق تلك الحركة التي تريدها الفرشاة من أجل أن تنقل الصورة الجدلية للون وللرمز معاً.. وهي أيضًا حالة متقدمة من التجانس اللوني التعبيري، في هذه الأعمال الإنطباعية

المشبعة بالرمزية اللونية والتشكيلية. أن القلق الإنساني المنعكس من الواقع الذي يعيشه واقعنا الحالي.. هو الهاجس المضطرب في تلك العاصفة اللونية الممتدة في فضاء بعض أعمالها، وفي البعض الآخر هو حالة من العبث الذي يحاول فرض حالة من اللامعقول في طابعه الفئوي على مجمل مقاعد حياتنا اليومية.!! كم من الهموم تحمل هذه الأعمال..؟ وأي خوف يعتري تلك الزيتونة الواقفة بعناد في خضم العاصفة المنبعثة من إناء يغلفه الغموض.. إلى أين يمضي بنا الغد؟! حاولت أن استفز مشاعرها لتروي لي بعض من قصتها الذاتية والشمولية في كل ما حاولت أن استشفه من خلال تلك الأعمال.. لكن صمتها استمر مدوياً كناقوس يقرع بعناد صحراوي، يجول في أروقة اللوحات الماثلة أمامي يردد

تلك المقولة بعزم ولحن حزين.. "إلى أين تبحر السفينة؟؟".

لم تحمل أعمالها أي عنوان.. فهي تطرح تساؤلات عديدة من خلال ما تحتويه من جدل لوني تعبيري، يضعك أمام حالة من الترقب والإنتظار، وربما يضعك أمام المسؤولية الكاملة عما سيحدث في الأيام الآتية.. فهذا الجرح الذي يدمينا جميعاً، ولا زلنا نسامح السكين التي افتعلته في نسيج علاقاتنا.. هذا الصراع الذي جاء ليُجّهز على كل ما هو جميل وطيب

فينا.!! من أين لنا أن ندرك حدود سطوته وكوابيسه البعيدة؟ لو استطاع الفنان أن يغير ويحمل الواقع على ارض الواقع وليس على مساحات اللوحات الخشبية والقماش الأبيض فقط.. لكان بالإمكان أن تتحول تلك العاصفة الهوجاء إلى موجات خفيفة من نسيم السحر.. أما تلك الزيتونة المبعدة قصراً على ورقة صلبة من الطين المحروق ممددة بالجفاف، فقد كان بإمكانها أن تعود للزيتونة الأم.. فتزيد من ظلالها الوارفة وتشد من عزمها على متابعة الاستمرار والبقاء.!! لكن أحلام المبدعين تظهر على شكل أحلام غريبة يحملها بعض الناس بخوف وروية، حتى تصبح قناعات وثوابت على مدى الأيام والسنين.. فتأتي الساعات العظيمة التي تحمل في أحشائها ذلك الحلم الكبير، فتشارك جميع السواعد في صياغة واقع من العزة والكرامة يبشر ببناء غدٍ أفضل.!! كيف لنا؟ أن تتحول ريشة الفنان إلى "عصا موسى" لتمنع عنا هذا الطوفان الآتي ليغرقنا في بحر من الهمجية والقبلية الجاهلية! بعد كل هذه العصور من الحضارة والشعاع الإنساني المضيء!! سوى ذلك، لا يبقى لنا إلا صرخة أطلقها الشاعر مظفر النواب.. **"كوني عاقر ارض فلسطين.. فهذا الحمل دنيء ومخيف".!**

أكثر من نافذة أو فتحة في جدار، ترى في لوحات سيسيل كاحلي.. ففي تلك التي تحدثت عنها في البداية، حالة يكتنفها الغموض للغد الآتي.. لكنها استعملت النافذة كأداة مدنية حضارية، انتقل الإنسان معها بشكل استثنائي إلى حالة أكثر رقيًا من الناحية الإنسانية والمدنية، وهي بذلك تستصرخ ضمائرنا كي نعود إلى عصر الله ونترك عصر الوثنية.. **"لا افهم أبدا يا بيروت.. لا افهم كيف نسيت الله وعدت لعصر الوثنية"** هكذا صرخ الشاعر نزار قباني في وجه بيروت **"الذبح من الشريان إلى الشريان".!!** وفي لوحة أخرى حملت إطار من الألوان الضاحكة الساخرة سجنت داخله زيتونة حزينة، نسي أصحابها أن يسألوا عنها.. فجاءت إليهم من خلال تلك النافذة لتذكرهم بنفسها ولتسأل بدورها عنهم.. ربما أرادت أن تقول

لهم "تصبحون على وطن".. هل أصبحنا الضحية التي تلعب دور القاتل؟ والى متى سنترك أولئك الذين يعدون العدة لحرق الأخضر واليابس على فيالهم؟

سيسيل كاحلي، ابنة بلدة ترشيحا الشامخة الأبية، فتاة امتلأت وجدانيًا من ذلك الأفق الجمالي الممتد حتى حدود البحر.. من ربوع تلال جليلنا الأخضر، اختزنت كل ما في الإنسان من قدرة على العشق لتحتضن هذه الأرض، فهي هاجس دائم يولد ويتجدد على سطح لوحاتها لتعطي منظوراً جمالياً لتلك الربوع، وتحمل في جزيئاتها قصة الإنسان الفلسطيني والتحديات التي لم يحن الوقت بعد لتغيير طابعها.. وكأن مائة عام من البؤس لا تكفي.؟ قبل معرضها الأول بسنتين، أي في عام 1994 قامت سيسيل كاحلي بالاشتراك مع وليد خليف وسهير ذياب بإصدار كتاب "البوم" توثيقي عن مدينة الناصرة يحوي معالمها التاريخية.. كتاب بالكلمة والصورة، اجتهدت سيسيل في ان تنقل الجزء الأكثر جمالية للمواقع المختارة لكتاب "بصمات".. كتب في مقدمته الأستاذ رياض العبوشي: "إذا كان يعجز أهل الناصرة اليوم أن يحولوا بعض هذه المعالم إلى متحف، فان مشروع هذا الألبوم سيبقى وثيقة هامة لمدينة لا يمكن أن تسقط من الذاكرة، وسيظل ملهماً لأهل الهمة أن يحموا تاريخ المدينة من الأعداء والنسيان.." لم يلقى هذا العمل الاهتمام الموازي له من قبل مؤسساتنا وهيئاتنا الرسمية والشعبية، ورغم ذلك فانه سيكون الوثيقة الأكثر صدقاً وأمانة في تاريخ الناصرة.. وان الأجيال القادمة ستعرف قيمته الفريدة في زمان غير هذا الزمان.

" الاتحاد " الجمعة 24 تشرين أول 1999

يا دار في العلالي..

أهلا بميلادكِ الجديد.. الآتي مع موسم القطاف وأفراح الخوابي.. أهلاً برياح تشرين، وحبات زيتون تتساقط عن أغصانها لتقبل أرضها البكر ككل المواسم.. أهلاً بالفرح الحزين، الماثل في عطاء شعبنا المستمر.. أهلاً برسالة الموت في سبيل الحياة.

لو سألوني يومها، لما ملكت إجابة قاطعة تستند إلى اليقين، حيث كان ذلك مجرد شعور يعتمد على ما في القلب من أمنيات!.. يوم كتبت مقالة في صفحة "عيش وملح".. تحت عنوان "من اجل زماننا الآتي"، لألقي بعضاً من الضوء على مشروع "دار الفنون"، وذلك في الرابع عشر من نيسان، حيث جاء فيها.. **"نحن بحاجة لأنبياء يسيرون على الجمر.. وثوار يعتصمون بقداسة قضيتهم، إلى أن تشرق شمس الألوان والظلال، على أطفالنا في زماننا الآتي.. وها هي سيسيل كاحلي تسير على الجمر في رحلة عطائها المستمر، ترش الماء على أزهارنا الواعدة"**.. ويلتوي الكثير من الأغصان والأزهار على سفوح الكرمل، وتزهر باقات النرجس البري على ضفاف الأودية.. وتمضي ستة أشهر منذ نيسان إلى الآن.. لتفاجئني سيسيل مرة أخرى، بخصب أحواض النعناع والياسمين، ونضوج بساتين البرتقال والليمون.. في "دار الفنون".! وبأنها، ومن حولها، قد أعدوا مساحة للوعي في دار البنفسج والزيزفون، حيث أثمر عطاؤهم بافتتاح "المعرض الأول" مساء الأربعاء 2000/11/15 في قاعة القديس انطون في الناصرة.

فَرحنا المُوَشَى بالدموع.. ففي شطر القلب لظى من اللهيب، إذ تتساقط على شغافه في الشطر الآخر من أرضنا المقدسة، أزهار فلسطين.!! ويعاني شعبنا الفلسطيني من الحصار..

والنار.. والدمار.! ورغم ما يحل به، بنا، من موت وشهادة في سبيل الحياة!... فإننا ورغم الجراح، نفترش مساحة للفرح من أجل البقاء، من أجل استمرار شيئاً من الابتسام على شفاه الأطفال.! فكل من موقعه، علينا الحفاظ على حياة هذا الشعب، لأنه يجب أن يكون هناك بقاء.. فحين ينتشر البقاء، يولد الأمل.. وحين نغرس الأمل، تنبت الأحلام.. حين ينبت الحلم، تزهر الحياة.!

تعربشت على جدران قاعة القديس انطون معلقات الروح، التي نسجتها أولاً الأيادي البيضاء الغضة، لأطفال لم يتجاوزوا بعد الرابعة من ربيعهم..! شطحات تبعث الضوء في الحياة، مسامات لون تمثل تلقائية البعث على مساحة بيضاء..!

هؤلاء ليس لهم وليس بهم أي تصنع أو رياء، إنما هم البراءة والنقاء، أتت إعمالهم بدافع الطاقات الكامنة في قلوبهم الصغيرة، عبر ما التقطته عيونهم العذراء، التي لم تلقحها بعد شراسة الصراع الغبي للتملك والتسلط.. هذه هي الطفولة حين تبتسم لوناً على الورق، هذه هي الطفولة حين تغني قصائد اللون على قيثارة من قصب.. هذه هي الطفولة، وحسب!

لوحة زيتية من مجموعة "وعلى الأرض السلام " التي أنجزتها سيسيل تكريمًا للسيدة فيروز

اجتمعت وتناثرت في أروقة المكان قرابة 150 عمل، ما بين لوحة ورسمة، تمثال من السيراميك وتجسيد من الطين، لأكثر من سبعين مشارك ومشاركة.. هي خلاصة إنتاج شامل للرسامين العاملين في دار الفنون، ولمعظم الذين شاركوا في دورات الفنون من الكبار والصغار.. ليتشكل هذا العرس الرائع للألوان! وليهزج هذا الصمت الثائر في عبق المكان، وليصبح علامة أولى على درب إعداد التربة الخصبة، التي ستنبت إبداع أنساني رائع.. بموعد ما في زمن ما!

مساحة متوارثة للإبداع

لم نولد على شرفة تطل على اللوفر ونهر الراين، ولا التقينا بأعمال متيس وفان كوخ ومونيه.. لم نستيقظ أمام كنيسة سكستين الرابطة في ارض الفاتيكان، من ثقل أعمال عباقرة عصر النهضة منذ خمسة قرون..! لم نخطُ خطواتنا الأولى على مشارف أهرام الجيزة، ولا لثمنا كيلوبترا لنمسح ماعلق على وجنتيها من رمل الصحراء..! وما اغتسلنا بماء دجلة والفرات..! وحتى حاضرة البتراء، لوقت قليل كانت حرام علينا! فأي ارض خصبة هذه التي تستطيع أن تورثنا مساحة للرؤيا، كي تأجج فينا جذوة الإبداع؟ فما لدينا سوى قصيدة العشق المستمر، قصة الجار للجار، ورغيف خبز مستعار! وقنديل زيت يضيء فناء الدار.. وأبراج حمام فوق بيادر القمح، وجدار من الصبار.. وصوت ينبت من الأرض زعتراً وجلنار! هكذا تولد الحضارات، من رحم الطبيعة والتحدي، من رحم المأساة والدمار.

اليوم وقد أصبحنا نحفظ أسماء مبدعينا في اللغة المقروءة وفي اللغة البصرية أيضاً، صرنا نتحسس هذا التشكيل، وهو يحبو على ضفاف عيوننا كنسيم الصباح، نتوجس فيه الخير، فيزورنا حلم استنباط طاقات خلاقة تنغرس بذورها في الأجيال القادمة.. بواسطة

الرؤية والحاكاة.. "لتأتي الأيام العظيمة التي تحمل في أحشائها ضربات عشرات السنين من النضال" لينين.. تحمل عبق الحمل والولادة وانبثاق براعم العطاء.!

"سيسيل كاحلي" من جدارية "الخابية، جذور فلسطين" رسم زاهد عزت حرش

ثبت بُطلان كثير من القناعات في ظل اكتشافات العلم الحديث. وإحدى هذه القناعات أنه كي نرسم نحتاج إلى الموهبة.. وأن ليس بالإمكان تعلم الرسم.!! بيد أن الحقيقة غير ذلك، فقد درج الأطفال في سنواتهم الدراسية الأولى على تعلم تشكيل رموز ما، هي عبارة عن الحروف التي تتكون منها الكلمات فيما بعد، والتي هي أيضاً تصبح رموزاً لدلالة نفسية ما، وحين تجتمع بعض الكلمات تؤلف الجمل الدالة على المعرفة. من هنا فان الإنسان العادي يمكنه أن يعبر بالرسم عما يراه بصرياً!! وإن كان ذلك بشيء من العفوية والتلقائية المختلفة عن الإنشاء الإبداعي للرسم.

إن تاريخ الفنون هو تاريخ الحضارة الإنساني، وكل من يتزود بمعرفة الرسم والفنون التشكيلية الأخرى، وعياً وممارسة.. فانه يتزود بالإحساس الذي يمنحه المناعة ضد اليأس والتشرذم، والذي يعمق فيه أصول التفاؤل في علاقته مع الحياة. كما أنه ليس بالضرورة أن كل من يتعلم الرسم يصبح فنانًا.. بيد أنه يكفي أنه يستطيع من خلال تعرفه على المقومات الأولية للفنون التشكيلية بوجه عام، والرسم بوجه خاص، أن يعتنق نظرة فلسفية تمكنه من اكتشاف جماليات الكون والطبيعة والحياة. وذلك أيضاً يؤهله بالمزيد من القدرة على التركيز والمثابرة لخوض معترك الحياة، مما يتيح الفرصة للمتزود بفرح الألوان بتعميق آفاق الخيال لديه، أن يستجلي أفاق العلوم التطبيقية ويفلح فيها.

هكذا ترنم في أعماقي لحن فيروزي يردد صداه بفرح عظيم.. لأهديه لدار الفنون والقائمين عليها.. "يا دار في العلالي، يا مزينة بالقصب.. ع جبهة الليالي اسمك ضوي وانكتب.. يا دار في.. العلالي"

صحيفة "الاتحاد" الحيفاوية 17.11.2000

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
اهداء	5
بداية	7
لا بد أن يقال	13
ما يشبه المقدمة	19
خصوصية المنظر الطبيعي	22
موجز تاريخ الفن التشكيلي في فلسطين	27
الكتاب الأول	41
حنا مسمار	43
إسماعيل شموط	53
بطرس لوسيا	75
سامية حلبي	89
ناجي العلي	127
ابراهيم حنا ابراهيم	137

تمام الاكحل	145
عبد عابدي	161
برهان كركوتلي	173
مصطفى الحلاج	183
كامل المغني	191
خليل ريان	199
ابراهيم النجار ابو الرب	207
كميل ضو	219
ميشيل نجار	235
سيسيل كاحلي	241

السـيرة الفـنيـة

مواليد 6 شباط 1956 - شفاعمرو.. ولد لأبوين سوريين هاجرا إلى فلسطين منذ أيار 1946 للحصول على التعويضات، لقاء عمل الوالد في صفوف الجيش البريطاني إبان الحرب العالمية الثانية.

استقرت الأسرة في مدينة شفاعمرو منذ ذلك الحين، ومرت عليها أيام صعبة أسوة بالفلسطينيين العرب أبناء هذه الأرض.. شارك الوالد في كفاح الحزب الشيوعي ضد التهجير والتشريد التي قامت بها العصابات الصهيونية انذاك.

1971-1970 تعلم حتى المرحلة الثانوية في شفاعمرو، وعاد لإتمام الدراسة الثانوية من خلال مدرسة ليلية فيها.

1976حصل على دبلوم في الرسم الهندسي / فنون معمارية من (التخنيكوم) كلية تقنية حيفا.

1975 اشترك في أول معرض جماعي أقيم في المدرسة الثانوية البلدية في شفاعمرو.

1977 انضم فعلياً إلى صفوف الحزب الشيوعي، ومن ثم الجبهة، على الرغم من أنه عانى منذ الطفولة من شلل الأطفال، ومنذ عام 1993 تطورت حالته المرضية وأصبح مقعداً تنقل بواسطة الكرسي الطبي المتحرك.

1980 أقام المعرض الثنائي الأول بالاشتراك مع الرسام/الصحفي وليد ياسين – حيث أقيم المعرض في شفاعمرو وأنتقل إلى كفرياسيف ومن ثم إلى الاحتفالات بعيد النصر على النازية بغابة الجيش الأحمر في القدس.

1995- 1996 – 1997 نظم وشارك في معارض مشتركة للفنانين العرب تحت عنوان "مهرجان الإبداع الفني 1-2-3" الذي أقيم بدعم من جمعية المخلص في شفاعمرو.

1997 بدأ الكتابة في صحيفة "الاتحاد" الحيفاوية، في موضوعات الفنون التشكيلية. حيث كتب مقالاً أسبوعي في مجال القراءة البصرية للفنون التشكيلية، في ملحق صحيفة "الاتحاد" واستمر حتى أواخر 2002.

1998 شارك في مهرجان عيد الأعياد الذي تنظمه كل سنة بلدية حيفا وبيت الكرمة في حي وادي النسناس.

1999 نظم معرض "القدس ووتريات فلسطينية" للفنان الفلسطيني كامل المغني في شفاعمرو وعكا والناصرة.

1999 نظم معرض "المرأة في عين المرأة" لسبعة فنانات عربيات، حيث أقيم في عكا وشفاعمرو.

1999 أقام معرضاً شخصياً (حنين) في مركز الشوا الثقافي – بمدينة غزة، نظمه اتحاد الشباب الديمقراطي.

2000 أقام معرضاً شخصياً تحت عنوان "آذار الأرض والمرأة" في كلية الهندسيين "مار الياس" في عبلين أفتتحه الأديب الشاعر حنا أبو حنا.

1998 بدأ بتقديم دورات في الرسم لطلاب الابتدائية في - دير راهبات الناصرة - شفاعمرو.

1998 بدأ برسم الأيقونات البيزنطية في مرسم الأيقونات التابع لجمعية سوا في دير الراهبات. ومركزًا لكافة الفعاليات والمشاريع الفنية التشكيلية في "جمعية سوا"، ومنها العمل على إنشاء رابطة سوا للفنانين التشكيليين في شفاعمرو.

2000 صمم وأنجز جدارية بمساحة 15 م 2، رسم على السيراميك، للمدرسة الابتدائية في الزرازير.

2000 شارك في معرض جماعي للفنانين العرب في إسرائيل، أقيم بكلية إعداد المعلمين العرب في حيفا، شارك فيه 18 فنان عربي. وضم ثلاثة أعمال من أعماله لوحتين وتمثال.

2000 ساهم بدور مركزي في تخطيط وانجاز تمثال من الرخام "حنين جليلي" في مهرجان معلوت ترشيحا العاشر، بالاشتراك مع الفنانة سيسيل كاحلي.

2001 حصل على ترخيص من قبل "السلة الثقافية" وزارة المعارف, لتقديم محاضرات عن الرسم البيزنطي بشكل خاص والفن التشكيلي بشكل عام, لطلاب المدارس الإعدادية والثانوية.

2001 أقام معرضًا شخصيًا حمل عنوان "تقاسيم على جسد الوطن" في المركز الثقافي الفرنسي، في مدينة الناصرة، افتتحه البروفيسور غاوي غاوي عميد كلية الفنون في جامعة النجاح الوطنية والمهندس رامز جرايسي رئيس بلدية الناصرة.

2001 – 2003 شغل منصب رئيس المجلس العام لمسرح الميدان في حيفا والناصرة.

2002 نظم وشاركت في معرض جماعي للفنانين الفلسطينيين تحت عنوان "قطرات ضوء فلسطينية"، شارك فيه 18 فنان من الأراضي المحتلة ومن أبناء الوطن الباقين في وطنهم. حيث أقيم في قاعة مسرح الميدان في حيفا.

2002 شارك في المعرض الجماعي للفنانين الفلسطينيين الذي أقيم في مدينة فلامسبورغ الأمريكية، والذي قامت على تنظيمه الفنانة الفلسطينية سامية حلبي.

2002 اقتنت الفنانة سامية حلبي لوحة "اميل حبيبي" رسم بالحبر على الورق المقوى 70/100سم.

2005 شغل منصب المدير الإداري لمهرجان الفن الايمائي الدولي الأول في شفاعمرو.

2005 شارك في معرضين تحت عنوان "الفن التشكيلي من اجل المقاومة" أقيما في مدينة نيويورك الأمريكية، قامت على انجازهما الفنانة الفلسطينية سامية حلبي.

2006 عين مديرًا اداريًا ومنظمًا لمشروع "مواسم الفيروز" من قبل "جاليري السريا" في الناصرة حيث اقيم معرضًا ضم اعمال تناولت مسيرة وشخصية السيدة فيروز واصدار كتاب "مواسم الفيروز" الذي تحمل كتابته واعداده زاهد عزت حرش.

2015 اقتنيت بعض اعماله من قبل د. رمزي دلول لمتحفه الخاص القائم في بيروت.. وتمثال من الخشب للمتحف الوطني في بيت لحم.

2016 في شهر اب اتم انجاز جدارية بمقياس 280/380 سم تشكلت من 25 قطعة من الورق المقوى رسم عليها 136 شخصية ابداعية فلسطينة حملت رسوم اشخاص بداية من اوائل القرن العشرين وحتى اوائل القرن الحالي.

2016 اصدر ديوانه الاول بعنوان "تقاسيم على جسد الوطن"

انتهى الكتاب الأول ويتبعه الكتاب الثاني

عنوان الكاتب:

زاهد عِزَّت حَرَش، ص.ب. 59 شفاعمرو 20200 الجليل

البريد الالكتروني: Zahed.harash@gmail.com

رقم الجوال: 7734776 - 050 – 972 - 00